وزارة التعليم العالي والبحث العلميّ

الجامعة المستنصريّة

كلّيّة التربية / قسم اللّغة العربيّة

الدراسات العليا

رسائل ابن الأثير

دراسة في ضوء علم اللّغة النّصّيِّ

رسالة تقدّم بها

علي صبري عطوان

إلى مجلس كلّيّة التربية في الجامعة المستنصريّة ، وهي جزء من متطلّبات نيل شهادة الماجستير في اللغة العربيّة وآدابها .

بإشراف

الأستاذ المساعد الدكتور

فراس فخري ميران

شباط /٢٠١٥م **جمادى الأولى / ١٤٣٦هـ**

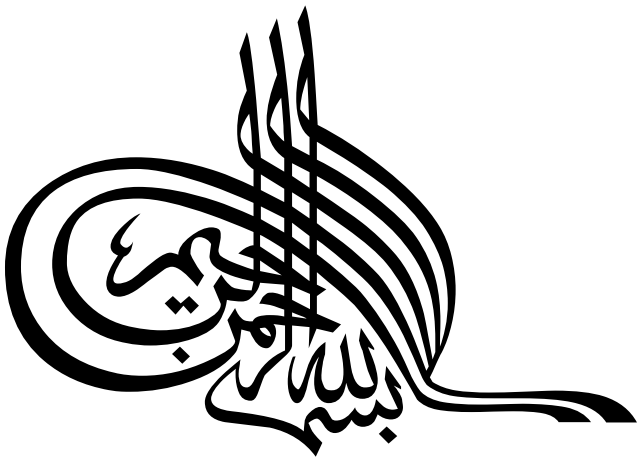

﴿ قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي (٢٥) وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي

(٢٦) وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي (٢٧) يَفْقَهُوا قَوْلِي (٢٨) ﴾

صدق الله العليّ العظيم

(طه: من الآية (٢٥) إلى الآية (٢٨))

الإهداء

إلى مصابيح الدُجى وأعلام الهداية محمّد وآله الطّاهرين (صلّى الله عليه وعليهم أجمعين) . . .

إلى أبي الذي ما زلتُ أذكر عطفَه وحنانَه وأنا ابن الخامسة من العمر . . . إليه حيّاً كان أو ميّتاً . . .

إلى أمّي الغالية التي كانت ولا زالت لي (أمّاً وأباً) . . .

إلى أخواني نصير ومحمّد . . .

وأخواتي أم عليّ وأم غدير . . .

إليهم عملي هذا .

المُحتَوَيَاتْ

الموضوع	الصفحة
المقدمة	١
التمهيد : ابن الأثير وطبيعة لغة الترسُّل	٤
الفصل الأوّل: السبك في علم لغة النّص وفي رسائل ابن الأثير	
توطئة	١٧
المبحث الأوّل: مفهوم السبك في علم لغة النّص	١٩
المبحث الثاني: السبك النحوي في رسائل ابن الأثير	٣٨
المبحث الثالث: السبك المعجمي في رسائل ابن الأثير	٦٨
المبحث الرابع: السبك الصّوتي في رسائل ابن الأثير	٨٦
الفصل الثاني: الحبك في علم لغة النّص وفي رسائل ابن الأثير	
توطئة	٩٥
المبحث الأوّل: مفهوم الحبك في علم لغة النّص	٩٧
المبحث الثاني: مظاهر الحبك في رسائل ابن الأثير	١٠٧
الفصل الثالث: المعايير التداولية في علم لغة النّص وفي رسائل ابن الأثير	
توطئة	١٤٧
المبحث الأوّل: القصديّة والمقبوليّة في علم لغة النّص وفي رسائل ابن الأثير	١٤٨
المبحث الثاني: التّناص في علم لغة النّص وفي رسائل ابن الأثير	١٦٨
المبحث الثالث: المقاميّة في علم لغة النّص وفي رسائل ابن الأثير	١٨٩
المبحث الرابع: الإعلاميّة في علم لغة النّص وفي رسائل ابن الأثير	٢٠٠
الخاتمة	٢٠٧
الملحق	٢١٠
المصادر والمراجع	--
ملخص الانكليزي	--

المقدمـــة

المقدمة

الحمدُ لله على ما كان ، ونستعينه من أمرنا على ما يكون ، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين محمّد وآله الطّيبين الطّاهرين ، وصحبه المُنتَجَبين

وبعد ...

فإنّ ثمّة جهودًا تُبذل منذ خمسينيات القرن الماضي لتأسيس فرع جديد في الدراسات اللّغوية يُعرف بـ(علم اللّغة النّصّي) يرمي إلى الانتقال من تحليل الجملة إلى تحليل النّص ، بوصفه وحدة لغوية ذات بِنية دلالية واحدة ، وأنّه يَنظر في العلاقات التي تترابط بها الجمل داخل النّص ، وكذلك يَنظر إلى العلاقات التي تربط النّص بسياقه .

هذا الاتجاه الجديد في الدرس اللّغوي نال نصيباً وافرًا من العناية والاهتمام ، واتّجه كثير من الباحثين إلى إغناء البحث في مناهجه ، والعمل على تطويرها إلى أن اكتملت – تقريباً– خصوصيات هذا العلم المُميّزة له من العلوم الأخرى في بداية السبعينيّات التي تُعد بدايته الحقيقة.

وقد دفع هذا التطوّر في مناهج البحث اللّغوي الكثير من الباحثين العرب إلى محاولات جادّة في تأصيل هذه النظرية اللّغوية في التراث اللّغوي ، ومحاولات أخرى في تطبيق هذه النظرية على نصوص عربيّة ترمي إلى إعادة قراءة التراث النّحوي والبلاغيّ والأدبي قراءة لسانية معاصرة .

ومن هنا سعت هذه الدراسة للكشف عن السمات النّصّية لأنموذج من نماذج التراث الأدبي المتمثل بـ (رسائل ابن الأثير) وإعادة قراءتها بوساطة علم لغة النّص الذي يقوم على الإحصاء والوصف والتّحليل.

وتبرز أهمية دراسة نصوص الرسائل في أنها تُعد مجالًا جيدًا للدراسة النّصية ؛ لكون الرسالة نصاً يقع بين طرفين محددين (المرسل والمتلقي) يجمعهما زمان واحد ويرتبطان في السياق نفسه ، فهو حدث اتصاليّ مثاليّ بين شخصين يمثل مادة مثالية للدراسة النّصية .

وقد اختيرت أربعون رسالة من رسائل ابن الأثير مادة للتحليل من مجموع ثلاثمئة وثلاثة رسائل تجنباً للتكرار الذي ينافي منهج البحث العلمي ، وتقع هذه الرسائل في ثلاث مجموعات ، ضمَّت الأولى (١٦٩) رسالة بتحقيق أنيس المقدسي ، والثانية (٧٨) رسالة بتحقيق د.نوري حمودي القيسي وهلال ناجي ، والثالثة (٥٦) رسالة بتحقيق هلال ناجي ، وقد أُشير إلى هذه المجموعات في هوامش البحث بعنوان (رسائل ابن الأثير/ المقدسي) ،(رسائل ابن الأثير / القيسي ، هلال) ، (رسائل ابن الأثير / هلال) ، ورُقِّمت هذه الرسائل المختارة ترقيماً خاصّاً بوصفه إجراءً منهجياً خاصاً بالدراسة يبدأ بالتسلسل (١) وينتهي بالتسلسل (٤٠) [١] .

وقد اعتمدت الدراسة أساساً على المنهج الذي قدّمه دي بوجراند ودريسلر المتمثّل بالمعايير النّصية السبعة : (السبك، والحبك ، والتناص ، والمقامية ، والإعلامية ، والقصدية ، والمقبولية) بوصفه المنهج الأكثر شمولاً ، مع الإفادة من الجهود الأخرى للباحثين في هذا المجال .

وقد فرض الاعتماد على هذا المنهج أن تكون خطة الدراسة مبنية على مقدمة وتمهيد وثلاثة فصول وخاتمة .

جاء التمهيد بعنوان (ابن الأثير وطبيعة لغة الترسُّل) ، وقد تضمّن نظرة موجزة عن التعريف بحياة ابن الأثير وثقافته التي كان لها أثر بارز في تراثه الإبداعي المتمثّل برسائله ، مع التعرض لفن الترسّل وما طرأ على طبيعة لغته من تغيير، إلى أن وصلت إلى ما هي عليه في مدرسة الصناعة اللفظية التي ينتمي إليها ابن الأثير ، وقد كان اختيار الباحث هذه المفردات في التمهيد مقصوداً لبيان السياق اللّغوي وغير اللّغوي الذي جاءت عِبرَه الرسائل .

وتضمّن الفصل الأول أربعة مباحث ؛ تناول الأول منها بيان مفهوم السّبك وأنواعه عند علماء لغة النّص ، وبيّن الثاني مظاهر السّبك النحوي في رسائل ابن الأثير ، ودرس الثالث مظاهر السّبك المعجمي ، وشمل الرابع بيان مظاهر السّبك الصوتي.

---

[١]) ينظر الملحق في الصفحة /٢١٠

وضمّ الفصل الثاني مبحثين ؛ عُقِدَ المبحث الأول لبيان مفهوم الحبك ومظاهره عند علماء لغة النّص ، أما المبحث الثاني فبيَّن مظاهر الحبك في رسائل ابن الأثير .

أمّا الفصل الثالث فقد احتوى على المعايير التداولية عند علماء النّص ومظاهرها في رسائل ابن الأثير ، وقد تضمن أربعة مباحث ؛ الأول تناول القصدية والمقبولية في علم لغة النّص وفي رسائل ابن الأثير ، والثاني تناول التناص في علم لغة النّص وفي رسائل ابن الأثير ، والثالث تناول المقامية في علم لغة النّص وفي رسائل ابن الأثير ، والرابع تناول الإعلامية في علم لغة النّص وفي رسائل ابن الأثير .

وأمّا الخاتمة فتضمّنت أهم النقاط التي وصل إليها البحث ، والنتائج التي أشّرها ، وفي الختام لا يَسَع الباحث إلا أن يقدّم شكره الجزيل وامتنانه الكبير إلى الأساتذة الأجلّاء كلّهم ، والزملاء الكرام على كلّ ما قدّموه من توجيه ونصيحة ليرى هذا البحث النور ، وأخصُّ بالذكر منهم الأستاذ المساعد الدكتور المشرف فراس فخري ، الذي لم يألُ جهدًا في إخراج هذا البحث بالصورة التي ظهر عليها ، وزميلي العزيز علي سعد الذي كان صاحب الفضل في اختيار هذا الموضوع ، فإنّي أدعو لهم جميعاً بكلّ خير .

وأخيرا أسأل الله تعالى التوفيق والسداد في جميع الأمور ، والحمد لله ربّ العالمين وصلّى الله على محمد وآله الطّيبين الطاهرين .

الباحث

التمهيد

التمهيد

ابن الأثير وطبيعة لغة الترسُّل

أولا:- نظرة في حياة ابن الأثير :-

هو أبو الفتح نصر الله بن أبي الكرم محمّد بن محمّد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني ، المعروف بابن الأثير الجَزَريّ ، الملقّب ضياء الدين[١] ، ويُعرف بالجَزَري نسبة إلى جزيرة ابن عمر التي وُلد فيها سنة ٥٥٨ هـ ، وهي بلدة فوق الموصل[٢] .

نشأ ابن الأثير في هذه الجزيرة ، ونهل العلوم بها ، ثم انتقل به والده إلى الموصل ، إذ عكف على دراسة اللّغة وعلومها والآداب العربية ، وحفظ القرآن الكريم ، وكثيراً من الأحاديث النبوية ، واشتغل بالعلوم ، وكان محفوظه من الشعر العربي شيئاً لا يُحصى ، منه دواوين أبي تمام ، والبحتري ، والمتنبّي[٣].

وكانت هذه الثقافة الواسعة سبيلاً مُوصلاً إلى المناصب الرفيعة ، فصار كاتباً لديوان الإنشاء وكان قد بدأ عمله مُنشِئا في الدواوين في خدمة الأمير مجاهد الدين الذي تولّى زعامة الموصل سنه إحدى وسبعين وخمسمئة بالنيابة عن سيف الدين غازي[٤] .

وبعدها قصد الملك الناصر صلاح الدين في دمشق سنة ٥٧٨ هـ ، فجعله في خدمته ، فلبث بضعة أشهر ثم صار إلى خدمة ولده الملك الأفضل نور الدين فاستوزره هذا [٥] .

ويعزو بعض الباحثين سبب ترك ابن الأثير ديوان السلطان والانتقال إلى ديوان الملك الأفضل أنّ القاضي الفاضل الذي وَصَل ابن الأثير لخدمة صلاح الدين وجد

---

[١]) ينظر : وفيات الأعيان : ٥/ ٣٨٩ – ١٩١ ، وينظر : تاريخ آداب اللّغة العربية : ٣/ ٥٣ ، وينظر : تاريخ الأدب العربي ،كارل بروكلمان: ٥/ ٢٧١

[٢]) ينظر : تاريخ الأدب العربي ، عمر فروخ : ٥٣٥/٣

[٣]) ينظر : الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور / ٩(مقدمة المحققين) ، وينظر : رسائل ابن الأثير / القيسي ، هلال / ٤ (مقدمة المحققين)

[٤]) ينظر : ضياء الدين ابن الأثير ، سيرة ومنهج / ١٧-١٨

[٥]) ينظر : أدباء العرب في الأعصر العباسية / ٣٤٢

فيه مزاحماً خطراً ؛ فآثر إبعاده بوسيلة مهذّبة عن طريق قيام الملك الأفضل بطلب ابن الأثير من أبيه صلاح الدين . وكان ابن الأثير يرى نفسه أحقّ برئاسة ديوان الإنشاء لدى السلطان من القاضي الفاضل [١] .

لذلك عمد ابن الأثير في كثير من رسائله إلى معارضة القاضي الفاضل ، فإذا أنشأ القاضي رسالة أنشأ مثلها ، وغرضه الرئيس في ذلك الكشف عن تفوقه لعلّه يستأثر بديوان السلطان[٢] .

ولمّا توفي صلاح الدين الأيوبي سنة ٥٨٩ هـ استقلّ ابنُه الملك الأفضل نور الدين بمملكة دمشق ، استقلّ نصر الله ابنُ الأثير بالوزارة ورُدّت الأمور إليه ، وصار الاعتماد عليه في الأحوال [٣] .

وأجمع المؤرخون على أنّ ابن الأثير وقع في أخطاء سياسية ، وأساء العِشرة من أهل دمشق ، فحسّن للملك الأفضل إبعاده أمراء أبيه عنه وأكابر أصحابه ، وأن يستخدم أمراء غيرهم؛ فجرّت عليه هذه السياسة وعلى مخدومه الوبال والخسران [٤].

فقد سار هؤلاء الأمراء إلى مصر ، إلى أخيه الملك العزيز عثمان ، فأحسن استقبالهم ، وأكرم مثواهم ، وولاّهم أمور دولته ، يتدبّرون له أمورها ، وأوغروا صدر الملك العزيز على أخيه الملك الأفضل ، ولم يعمل ابن الأثير على إصلاح الحال ، وتصفية الأمور بينهما بالود ، بل سار بالشوط إلى نهايته وكانت نهايته وبالاً عليه ، فحمل الملك العزيز على أخيه الملك الأفضل في دمشق سنة ٥٩٠ هـ وطرده منها سنة ٥٩٢ هـ ، وحصره في ولايته (صرخد) ، أمّا وزيره ابن الأثير فقد ذهب من دمشق بعد أن هدّده أهلها بالقتل [٥] .

---

[١]) ينظر : رسائل ابن الأثير / القيسي ، هلال / ٧ (مقدمة المحققين)

[٢]) ينظر : المصدر نفسه / الموضع نفسه

[٣]) الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور /١٠(مقدمة المحققين)

[٤]) ضياء الدين ابن الأثير ،سيره ومنهج/ ٢١-٢٢

[٥]) ينظر : تاريخ الأدب العربي ، كارل بروكلمان : ٥/ ٢٧٢ ، وينظر : الوشي المرقوم في حل المنظوم / ٦ (مقدمة المحقق)

فأقام في سنجار بعد أن ودّع الملك الأفضل وأيامه الحِسان في دمشق ، أمّا الملك الأفضل فقد ذهب إلى مصر سنة ٥٩٥ هـ ليُدبّر أمر الملك المنصور محمّد بعد موت أبيه الملك العزيز ولم يبقَ للمنصور إلا الاسم بعد أن استولى الملك الأفضل على أمورها ولم يَطُل أمره فيها ، ولحقه ابن الأثير إلى هناك استجابةً لدعوة الملك الأفضل ، ولم يَطُل أمرهما فيها ، إذ انتزعها الملك العادل من يده ، فخرج الملك الأفضل منها ولم يخرج ابن الأثير ؛ لأنّه خاف على نفسه من جماعة كانوا يريدون الفتك به ، فخرج منها مستتراً [١].

ولمّا استقرّ الملك الأفضل في سميساط عاد ابن الأثير إلى خدمته ، وأقام عنده مدّة ثم فارقه في سنة ٦٠٧ هـ ، واتّصل بخدمة الملك الظاهر صاحب حلب أخي الملك الأفضل ، ومن ذلك الوقت انتهت علاقة ابن الأثير بهذا الملك ، وكانت المدّة التي رافقه فيها ربع قرن قضاها بالصراع ، والحروب ، والمطاردة ، والتشرّد في الأمصار ، وكانت الظروف التي مرَّ بها عصيبة[٢].

ولم تطل إقامة ابن الأثير عند الملك الظاهر ، ففارقه وعاد إلى الموصل ولم يستقر بها أيضاً ، فورد اربل ولم ينتظم بها شأنه فسافر إلى سنجار ثم عاد إلى الموصل واتّخذها مقاماً له ، وتولى ديوان الإنشاء لملكها القاهر عز الدين مسعود الثاني ، ثم لابنه ناصر الدين محمود ، ولأتابكه بدر الدين لؤلؤ ، وذلك في سنة ٦١٨ هـ ، وظلَّ كاتب الإنشاء حتّى وافاه أجله سنة ٦٣٧ هـ ببغداد ، وكان قد توجّه إليها رسولا من صاحب الموصل[٣].

هذا هو الجانب السّياسي الموجَز من حياة ابن الأثير ، الذي كان له مساس وأثر في حياته الكتابية والفنية ، فقد جاءت رسائله تعبيرا عن هذه الحياة الحافلة بالأحداث ، وجاءت تصوّرها تصويرا صادقا ، وتصوّر البيئة وطبيعة العصر ، و

---

[١]) ينظر : ضياء الدين ابن الأثير ، سيرة ومنهج / ٢٦-٢٧ ، وينظر : الوشي المرقوم في حل المنظوم /٦(مقدمة المحقق)

[٢]) ينظر : ضياء الدين ابن الأثير ، سيرة ومنهج / ٢٧

[٣]) ينظر : الوشي المرقوم في حل المنظوم /٧ (مقدمة المحقق)

تعكس صورة صادقة للأحداث الكبرى في حياة الأمّة ، في هذه الحقبة من الناحية السّياسية والعسكرية و تكشف عن البُعد الاجتماعي في ذلك العهد.

ثانيا :- ثقافته :-

كانت حياة ابن الأثير حركة لا تهدأ في السياسة ، كما هي في العلم والثقافة ، فكان ينتقل في البلدان وافداً على الملوك والأمراء ، محتكّاً بكبار العلماء في عصره من مختلف التخصّصات اللغوية والأدبية ، فهو لا يفتأ يقصد أهل العلم ويتحدّث إليهم ، يقول: ((وكنت سافرت إلى الشام في سنة سبع وثمانين وخمسمائة ، ودخلت مدينة دمشق فوجدت جماعة من أدبائها يلهجون ببيت من الشعر ابن الخياط ...فقلت لهم هذا البيت مأخوذ من شعر أبي الطيب المتنبي في قوله ...))[١] .

ويقول : ((وسافرت إلى الديار المصرية في سنة ست وتسعين فوجدت أهلها يُعجبون ببيت من الشعر يَعزونه إلى شاعر من أهل اليمن يُقال له عماره ... فقلت لهم : هذا البيت مأخوذ من شعر أبي تمام ...))[٢] .

هذا التنقّل بين البلدان أتاح له الإطّلاع على الكثير من الثقافات والعلوم المختلفة، يساعده في ذلك ما لديه من معرفة ببعض اللّغات[٣] ، فهو يشير في أكثر من موضع إلى معرفته باللّغات والقراءة فيها . يقول في كتابه المثل السائر وهو يتحدّث عن الكناية والتعريض : ((واعلم أن هذين القسمين من الكناية والتعريض قد وردا في غير اللّغة العربية ، ووجدتهما في اللّغة السريانية ، فإنّ الإنجيل الذي في أيدي النّصارى قد أتى منها بالكثير))[٤]. ويقول : ((وممّا وجدته من الكناية في لغة الفرس ...))[٥] .

---

١) المثل السائر : ٣/٢٢٣-٢٢٤

٢) المصدر نفسه: ٣/٢٢٤

٣) ينظر : الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور / ٣٢ (مقدمة المحققان)

٤) المثل السائر : ٣/ ٧٥

٥) المصدر نفسه / الموضع نفسه

واطّلع على كتاب (الفصول) في الطب لأبقراط بلغته اليونانية[١] ، قال : ((وأول كتاب الفصول لأبقراط في الطب قوله : العمر قصير والصناعة طويلة وهذا الكتاب على لغة اليونان))[٢] .

ولا يخفى ما لهذه المعرفة باللّغات الأجنبية من أهمية يحتاجها الكاتب في ديوان الإنشاء الذي ترد إليه مراسلات مختلفة من كثير من البلدان[٣]؛ ((لذا لزِم على الكاتب أن يكون على ثقافة تامة بلغات هذه البلاد التي يرتبط معها بمعاهدات ، أو اتفاقيات ، أو مصالح مشتركة ، فإذا كان كاتب الإنشاء ملمّاً بمثل هذه اللّغات كان أقدر على مراسلتهم ، وقراءة كل ما يَرِد منهم للسطان الحاكم))[٤] .

ولم يقتصر ابن الأثير على العلماء والأدباء في رفد ثقافته ، بل كان يحاول الإفادة من كلّ ما حوله من النّاس وعاداتهم وأقوالهم ، فيستخلص الحكمة من أتفه الأمور ، وأيسرها ويوصي الكاتب أن يأخذ من كل ما حوله فيقول : ((اعلم أنّ الكاتب يحتاج إلى التشبّث بكلِّ فن ، والنّظر في كلّ علم ، وإرصاد السمع لمحاورات النّاس، فإنه لا يُعدم من ذلك فائدة ؛ فإنّ الكلمة الحكمة ضالّة المؤمن ، فحيث وجدها فهو أحقُّ بها . وقد تتبّعت أقوال النّاس في محاوراتهم ، فاستفدتُّ فوائد كثيرة ، حتى من أكّار وفلّاح ، وعجميّ من الأعجام الأغتام ، ومن يجري مجراهم ... فإنّ صاحب هذه الصناعة ينبغي أن يعلم ما تقوله النادبة في المأتم ، وما تقوله الماشِطة عند جلوة العروس ، وما يقوله المنادي في السّوق على السلعة))[٥] .

وهناك مصادر جعلها ابن الأثير بمثابة قبلة لكلّ كاتب إذا ما أراد أن يبلغ درجة الإبداع والاجتهاد في الكتابة ، فهو يقول : ((الكاتب إذا أحبّ الترقّي إلى درجة الاجتهاد في الكتابة ، فإنّه يحتاج إلى أشياء كثيرة ... إلا أنّ رأسها وعمودها وذروة

---

١) ينظر : نقد النثر / ١٠٠

٢) المثل السائر : ١٤٥/٣

٣) ينظر : صبح الأعشى :١/ ١٦٦- ١٦٧

٤) نقد النثر / ١٩٥

٥) الوشي المرقوم في حل المنظوم / ٤٨-٤٩

سنامها ثلاثة أشياء ، هي حفظ القرآن ، والإكثار من حفظ الأخبار النبوية ، والأشعار))[١].

فقد أُولع بالقرآن الكريم بوصفه قمّة في الفن الأدبي والبلاغي تتجدد معانيه بتجدد تلاوته ، فهو يقول عنه : ((هذا الأمر قد لابسته ، ومارسته ، ودارسته ، فوجدته يحتاج إلى تلاوة دائمة ، ومواظبة لازمة ، وكنت إذا مررت بسورة من السّور يسنح لي في حلِّ معانٍ منها مآرب وأوطار ، وأظنّ أنّي قد استوفيت ما أريده منها ، ثمّ أتلوها بعد ذلك فتسنح لي معانٍ غير تلك الأُوَل ، وكذلك كلمّا تجدّدت التلاوة تجدّدت معانٍ بعد معانٍ ...)) [٢] .

فالقرآن الكريم عند ابن الأثير يُعدّ مصدراً أساسيّاً من المصادر التي بَنى عليها ثقافته الكتابية والنقدية ، ومنه يستوحي أفانين الكلام ، ويعقد أبواباً للبيان ، فهو يقول : ((... ومنها أنّه إذا عرف مواقع البلاغة وأسرار الفصاحة المودعة في تأليف القرآن اتّخذه بحراً يستخرج من الدُرر والجواهر ، ويودعها مطاوي كلامه ، كما فعلته أنا فيما أنشأته من المكاتبات ، وكفى بالقرآن الكريم وحده آلة وأداة في استعمال أفانين الكلام))[٣].

وكما جعل القرآن الكريم مصدراً أساسيّاً من مصادر ثقافة الكتاب كذلك فعل مع الأحاديث النبوية الشريفة التي جعلها من الأدوات التي تلزم المترشّح للصناعة الكتابية فهو يقول: ((وكنت أتعبت نفسي زماناً في ذلك حتى جمعت فيه كتاباً يشتمل على أكثر من ثلاثة آلاف خبر من الأخبار النبوية ، كلّها يُحتاج إليها في أسباب الكتابة ، وكنت أُلزِم نفسي مطالعة ذلك الكتاب لزوم المحتفِل ، ولا أزال في مطالعته كالحالِّ المرتحل ، حتى صار لديّ منضوداً ، وفي لسان قلمي معقوداً ، وكذلك ينبغي للمترشّح لهذه الصناعة))[٤].

---

[١]) المثل السائر: ١٠٢/١

[٢]) الوشي المرقوم في حل المنظوم / ٢٦

[٣]) المثل السائر : ٦١/١

[٤]) الوشي المرقوم في حل المنظوم /٢٦ – ٢٧

لقد سار ابن الأثير على هَدي من سبقه من الأدباء في تأكيد أهمية القرآن الكريم والأخبار النبوية الشريف بعَدِّها جزءاً من المكوّنات الأساسيّة لثقافة الكاتب ، غير أنّهزاد على تلك الأهميّة ((أنّ طريق الاجتهاد في الكتابة هو الذي يعتمد على الصياغة الفنية المبتكرة لآيات القرآن الكريم ، ونصوص الحديث الشريف لا على سبيل التضمين المُمَيّز ، وإنّما على سبيل التضمين المنتظم الذي يجعل الكلام على نسق ونظام واحد ، فكان ما أدخله فيه مبتكراً له ، وهو سمّاه (بالحلّ) وهو ممّا يدخل في هذه الصناعة ويتلائم مع متطلّباتها))[١].

وكان للشّعر نصيبٌ كبير من ثقافة ابن الأثير ، فهو يقول : ((ولقد وقفت من الشعر على كل ديوان ومجموع ، وأنفذت شطرا من العمر في المحفوظ منه والمسموع ، فألفيته بحرا لا يُوقَف على ساحله ، وكيف يُنتهى إلى إحصاء قولٍ لم تُحصَ أسماء قائله؟ فعند ذلك اقتصرت منه على ما تكثر فوائده ، وتتشعّب مقاصده ، ولم أكن ممّن أخذ بالتقليد والتسليم في اتباع من قَصر نظره على الشعر القديم ، إذ المراد من الشعر إنما هو إيداع المعنى الشريف في اللّفظ الجزل واللّطيف)).[٢]

وزيادة على تلك المرتكزات التي كان يستند إليها ابن الأثير في ثقافته ، كانت لديه معرفة واطّلاع على مصادر أخرى أثرَت قريحته النّقدية والإبداعية ، كمعرفته بأحكام الشريعة الإسلامية ، والأديان ، والمعتقدات ، والمذاهب المختلفة ، ومعرفته بأمثال العرب وحِكَمِها ، ودراسته لتاريخ العرب ومما حولهم من الأمم[٣] ، واطّلاعه على أمّات الكتب التي ألّفها العلماء في البيان ، فهو يقول : ((... وما من تأليف إلا وقد تصفّحت شينه وسينه ، وعلمت غثّه وسمينه ، فلم أجد ما يُنتفع به في ذلك إلا كتاب (الموازنة) لأبي القاسم الحسن بن بشر الآمدي وكتاب (سرُّ الفصاحة) لأبي محمّد عبد الله بن سنان الخفاجي))[٤] ، علاوة على كتب أخرى ذكرها في

---

[١]) نقد النثر / ١٨٩

[٢]) المثل السائر :٣/٢٢٥

[٣]) ينظر : نقد النثر / ١٩٠،١٩٢،١٩٤

[٤]) المثل السائر : ١/٣٣-٣٤

أماكن متفرّقة من تراثه ككتاب الروضة لأبي العبّاس المبرِّد ، و كتاب الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني وغيرهما[١] .

لقد كانت ثقافة ابن الأثير واسعة تدلُّ عليها مؤلّفاته التي تعكس سعة باعه وبراعته في شتّى صنوف المعرفة ، التي جعلته يخوض في مختلف المجالات الأدبية كالشّعر والنثر والنّقد والبلاغة ، فقد ترك لنا ثروة أدبية تمثّلت في مؤلّفاته التي ذكرها مترجموه [٢] ، وترسّله الذي كان لحياته الصاخبة التى تقلّب فيها كرجل دولة وعلم أثر كبير فيه في ضوء تهيئة مادّة الوصف ومادّة الكتابة الإنشائية .

ثالثا :- الترسّل وطبيعة لغة الخطاب :

الترسّل فن نثري عرفه الأدب العربي كغيره من الآداب منذ القِدم ، فقد ((عُني به العرب عنايةً خاصةً منذ أقدم العصور حتى اليوم فنوّعوا أغراضه ، وحدّدوا مناهجه ، وميّزوا أنواعه ، واستخلصوا قواعده وأصوله))[٣].

والترسّل شأنه شأن سائر الألوان الأدبية الأخرى مرَّ بمراحل نمو وتطوّر عِبر العصور أصابت لغته ، وأسلوبه ، وبناءه ، وموضوعاته ، حتى وصل إلى مرحلة النّضج في القرنين السادس والسابع الهجريين ، وهو العصر الذهبي للكتابة الفنية . فما وصل إلينا من نثر بصورة عامة ، ومن رسائل بصورة خاصة من العصر الجاهلي ينماز ((بجزالة الألفاظ ، وكثرة الغريب ، وقصر الجمل المسجوعة وضعف الرابط بينها . أما العبارة فتفيض بالحِكَم ، والأمثال تتخللها الكنايات القريبة التي لا تندُّ عن الإفهام)) [٤].

ومنذ بزوغ فجر الإسلام أخذت عوامل النهضة تمهّد الطريق لهذا الفن الذي أخذ يتأدّب بأدب الأسلام ويتأثّر بأسلوب القرآن ، فقد أخذت الرسائل ((تتجّه شيئاً فشيئاً

---

[١]) ينظر : المثل السائر ٣/١٠٥ ، ١٠٦ ، وينظر : ضياء الدين ابن الأثير سيرة ومنهج / ١٦

[٢]) ينظر : رسائل ابن الأثير / القيسي ، هلال / ٤٥-٤٩

[٣]) المعجم المفصّل في اللّغة والأدب : ٣٨١/١

[٤]) بلاغة الكتّاب في العصر العباسي / ٥٢

نحو الجمال الفني ، نلمح ذلك فيما كانوا يصطنعونه من تشبيهات ومجازات لا تأتي عفو الخاطر ، ولا تصدر إلا عن روية وتفكير)) [١] .

فهي لا تقصد إلى تفنّن ، أو زخرف فنّي خاص ، وإنّما المقصود أداء الغرض في عبارة جزلة مصقولة يغلب عليها الإيجاز[٢].

وما نكاد ننتقل إلى العصر الأموي حتى نجد هناك عناية بالرسائل توفّر لها ضروباً من التجويد والجمال الفني ، و((كأنّما لم تعد الغاية أن تؤدّي أغراضها فحسب ، بل أُضيف إلى ذلك غاية أخرى ، أن تروّع القارئين والسامعين بتحبيرها وتنميقها ، وكأنّها قطعة موسيقية ، أو لوحات تصويرية ، ولم يقفوا بذلك عند ظاهرها ، فقد أخذوا ينوّعون في معانيها ويفرّعون ويطنبون صوراً مختلفة من الإطناب))[٣] .

ومن المُلاحَظ انّ معالم الصّنعة في فنِّ الكتابة في هذه المرحلة بدأت بالظهور حيث الإطالة والسجع والتصوير ، وتجاوز الكاتب الإقناع إلى مستوى الإمتاع وكثرة التفاصيل .وظهر كُتّاب مشهورون تزعّموا فن الكتابة ، وتركوا أثراً كبيراً في فنّ الترسّل بما جسّدوه في ترسّلهم من توليد المعاني ، وتوكيدها بالترادف ، والدقّة في تصويرها ، واستعمال المحسّنات اللّفظية ، كالتّضاد ، والطباق ، والمقابلة ، والاستعارة ، والتّشبيه ، والمجاز ، والتّرصيع ، وغلبة التفكير المنطقي الذي يتجلّى في حسن تقسيم الرسائل وترتيب الأفكار ، كلُّ ذلك ظهر جليّاً في ترسّل عبد الحميد الكاتب ١٣٢هـ [٤] .

---

[١]) بلاغة الكتّاب في العصر العباسي / ٦١

[٢]) ينظر : الفن ومذاهبه في النثر العربي / ١٠٦

[٣]) الفن ومذهبه في النثر العربي / ١٠٦ ، وينظر : تاريخ الأدب العربي ، عمر فروخ : ٣٧٥/١

[٤]) ينظر: فن الترسّل عند عبدالحميد الكاتب وابن العميد / ٧٣-٧٤ (رسالة ماجستير)

وجاء بعده سهل بن هارون ٢١٥هـ الذي يُعنى في ترسّله ببسط الأدلة ، واستعمال المنطق ، وبسط العبارة بسطا يظهر فيه التقطيع الصوتي ، والترادف الموسيقي المُدعم بالسجع [١].

وجاء بعدهم الجاحظ ٢٥٥هـ الذي أرسى قواعد مدرسة التحليل ، والتفريع ، والاستطراد في الكتابة ، وقد استمدّت هذه المدرسة أسلوبها من رافدين زاخرين هما طريقة عبد الحميد الكاتب القائمة على الاطناب والازدواج ، وطريقة سهل بن هارون القائمة على التّحليل والتّعليل والجدل والحوار ، فقد جمع الجاحظ في طريقته بين هاتين الطريقتين ، وزاد على الأولى حسن التقسيم ، وجمال الإيقاع ، والتقصّي ، وكثرة الاستطراد ، وزاد على الثانية جانب الفكاهة الساخرة ، وتوليد المعاني ، ثم أوغل في كلِّ هذا بقوة حتّى كان في إيقاعه أوقع ، وفي تحليله أدقُّ وأبرع[٢] .

وقد عُني الجاحظ بالألفاظ والمعاني معاً دون أن يجور أحدُهما على الآخر ، فكانت عبارته ((متينة السّبك ، جزلة الألفاظ ، محكمة الربط ، وثيقة الحلقات ، وربّما كان من العسير – في بعض عبارات الجاحظ – أن تنزع لفظاً من موضعه ، أو تستبدل به غيره من ذوي قرابته ، أو تقدّمه على ما أخّره ؛ لأنّه كان يرى لكلّ معنى لفظاً خاصّاً لا ثاني له))[٣] .

ثم تلت مدرسةَ الجاحظ مدرسةُ السجع والبديع التي يتزعّمها الكاتب ابن العميد ، التي تنماز بغلبة السجع على طابعها ، واستعمال المحسّنات البديعية كالجّناس ، والطّباق ، والتّورية ، والتّكلف في ذكر المجاز ، والاستعارة ، والتّشبيه ، والتأثّر بموسيقى الشعر وأوزانه ، فاهتمّوا بتناسق الجمل ، وتساوي الفقرات ، واتّحاد حروف الرويّ مع كثرة الاقتباسات من القرآن الكريم والأحاديث ، والأمثال ، والحِكَم .[٤]

---

[١]) ينظر : فن الرسائل عند سهل بن هارون وعمرو بن مسعدة ، دراسة موضوعية فنية / ١١٨،١٢٨ (رسالة ماجستير) ، وينظر : الفن ومذاهبه في النثر العربي / ٥٠- ١٥١

[٢]) ينظر : بلاغة الكتّاب في العصر العباسي / ١٤٨

[٣]) المصدر نفسه / ١٤٩

[٤]) ينظر : تاريخ آداب اللّغة العربية :٢/٢٦٩-٢٧١ ، فن الترسّل عن عبد الحميد الكاتب وابن العميد / ١٣٢-١٣٣(رسالة ماجستير)

وبمجيء القرن السادس الهجري ظهرت ملامح جديدة للكتابة تأصّلت واستقرّت أساليبها على يد القاضي الفاضل ، فكانت (مدرسة الصناعة اللّفظية) التي ينتمي إليها (ابن الأثير) ، وقد ((أوغلت هذه المدرسة في الزخرف اللّفظي ، وبخاصّة التورية ، والجناس، ومن ثم ظهرت أساليبها المسجوعة موشّاة أيضاً بألوان البديع الأخرى من طباق ، ومقابلة ، وتلميح ، وتوجيه فضلاً عن ترصيعها بآيات القرآن ، وغُرر الأقوال ، ومُحكَم الأمثال ، وفرائد الشعر المنثور ... وهكذا كانت هذه المدرسة مَعرضاً حافلاً بمختلف الأساليب اللّفظية البرّاقة))[١] .

نلاحظ انّ الترسّل بدأ بلغة بسيطة خالية من التعقيد ، ولا يُعنى فيها بالتحبير الفني ، بل يُعنى فيها بتأدية الغرض بصورة موجزة ، وأكثر ما يبرز ذلك في الرسائل التي تؤدّي غرضاً سياسيّاً ، حتّى وصلت لغة الرسائل إلى ما وصلت إليه في زمن ابن الأثير من توظيف لفنون الزخرف اللّفظي ، وهذا ما يتلاءم وطبيعة النثر عامّة ، والرسائل خاصّة ومقاصدها في ذلك العصر ، فقد عَدَت الكتابة على الشعر وشاركته في موضوعاته التي اختصَّ بها ، كوصف الحروب والدعوة إلى الحماسة ، والتفاني في الجهاد ، والموضوعات الاجتماعية ، كالوصف ، والأدبية كالمعارضات[٢] .

ومن الطبيعي أن تكون لغة هذه الموضوعات وما وراءها من مقاصد على قدرٍ كبيرٍ من التأثير في المتلقّي في ضوء الاعتماد على شكل النّص الذي يضع أهمية مضافة لأهمية مضمون النّص ، فشكل النّص هنا أصبح أداة وغاية في وقت واحد[٣] .

ولكن هذه الغاية لا تلبث أن تتحوّل إلى غاية وسطية ، أو وسيلة – بصورةٍ ما– بين الغاية المضمونيّة للنّص وضمانات تحوّلها إلى مُنجز فعلي في السلوك البشري للمستهدفين بالخطاب عن طريق مخاطبة القلب ، والوجدان ، والمشاعر المختلفة.[٤]

---

[١]) بلاغة الكتّاب في العصر العباسي / ١٨٩

[٢]) ينظر : الوشي المرقوم في حل المظلوم / ١٣– ١٤ (مقدمة المحقق)

[٣]) ينظر : علم النص ، دراسة جمالية نقدية / ٧٢

[٤]) ينظر : السياق وتوجيه دلالات النص / ٢١٥

وعلى هذا المعنى قامت البلاغة في أصل نشأتها ، فهي فن الإقناع والتأثير والتغلب على الخصوم في المعارك الكلامية ، وهي سياسة في القول تُعنى بالكلام بوصفه فعلا وممارسة عملية ، لا بوصفه شكلا معزولا عن المقاصد التأثيريّة التي توظّف فيها رسائل التعبير لتحقيق المقصد الإقناعي التأثيري لأنه قطب الرَّحى فيها.[١] وزيادة على ما تحقّقه هذه الفنون اللّفظية والبديعية من غايات تأثيرية وإقناعية ترتبط بقصديّة المنتج ، كذلك تعمل على زيادة إحكام الربط بين أجزاء النّص الواحد على نحو ما سيأتي في مباحث السّبك من ترادف ، وتوازٍ تركيبي ، وسجع ، وجناس ، وغيرها من فنون البديع التي تعتمد – في الأعمّ الأغلب– على وجود علاقة ما صوتيّة ، أو تركيبيّة ، أو دلاليّة بين وحدات النّص[٢] .

ومن هنا فإنّ ما آلت إليه لغة الرسائل من تطوّر في عصر ابن الأثير أسهم إلى حدٍّ كبير في إكساب الرسائل صفة (النّصية) في ضوء النظر إلى الوظيفة الانتباهية والتأثيرية التي تؤديها هذه اللّغة ، وذلك بحرصها على إبقاء الإتصال مع المتلقي والتأثير فيه [٣] ، وكذلك بالنظر إلى ما تؤديه هذه اللّغة المُثقلة بفنون البديع من وظيفة تحقيق شبكة من العلاقات بين أجزاء النّص على المستوى السّطحي (الشكل) ، والمستوى العميق (المضمون) التي تشدُّ أجزاءه[٤].

وبهذا يتأكّد ما ذهب إليه علماء النّص من أنّ البحث النّصي ما هو إلا امتداد تاريخي لقضايا البلاغة القديمة ، وقد ذكروا عدداً من الفرضيات التي تلتقي فيها قضايا البلاغة مع القضايا المُلحّة في علم لغة النّص منها[٥] :-

١- أن بين النّصوص المختلفة التي تُعبِّر عن تشكيلة معينة من الأفكار نصوصا أرقى من سواها.

---

[١]) ينظر: في بلاغة الخطاب الأدبي ، بحث في سياسة القول /١٢

[٢]) ينظر : أساليب البديع في نهج البلاغة / ٣١

[٣]) ينظر : لسانيات النص ، النظرية والتطبيق / ٢٣٠ ، وينظر : التحليل اللغوي للنص / ١٥٩

[٤]) ينظر : أساليب البديع في نهج البلاغة / ٣٢-٣٣

[٥]) ينظر : الدرس النحوي النّصي في كتب إعجاز القران الكريم / ١٢٥ ، وينظر : مدخل إلى علم لغة النص/ ٣٩

٢- من الممكن تقييم النّصوص بدلالة ما تُحدِثه من أثر في جمهور المستقبلين .

الفصل الأول

السّبك في علم لغة النّص وفي رسائل ابن الأثير

المبحث الأول : مفهوم السّبك في علم لغة النّص

المبحث الثاني : السّبك النّحوي في رسائل ابن الأثير

المبحث الثالث : السّبك المعجمي في رسائل ابن الأثير

المبحث الرابع : السّبك الصّوتي في رسائل ابن الأثير

توطئة

تركّز الدراسات اللّسانية النّصية الحديثة في مستواها الأول على التلاحم بين أجزاء النّص ، وروابطه الداخلية ، وإبراز الخواص التي تؤدّي إلى تماسكه ، والتي تحقّق فيه سمة النّصية ؛ لأنّ أيّ نصّ لغويّ هو وحدة لغويّة مهيكلة ترتبط عناصرها بروابط معيّنة، تتحقّق بها خاصيّة الاستمراريّة في النّص .

وهذه الروابط هي ما يُطلق عليها (وسائل السّبك والحبك)، فمنها ما يهتم بالرابط الشكليّ (السّبك) ، ومنها ما يهتم بالترابط المضمونيّ (الحبك) ، وهذان المعياران من أوثق المعايير صلة بالنّص.

والسّبك هو أحد هذه المعايير السبعة التي اقترحها دي بوجراند ((لجعل النّصية أساسًا مشروعًا لإيجاد النّصوص واستعمالها))[١] ،وهو ما سنتناوله في هذا الفصل .

وقد اختير مصطلح (السّبك) من دون غيره من المصطلحات المترجمة كالتماسك والتّضام والربط النحويّ [٢] ، والاتّساق [٣] ، لوروده في التراث العربيّ ، ولوضوح دلالته بين اللّغة والاصطلاح .

فقد أورده الجاحظ في البيان والتبيين ، وذلك بقوله : ((وأجود الشعر ما رأيته متلاحم الأجزاء ، سهل المخارج ، فتعلم بذلك أنه قد أُفرِغ إفراغًا واحدًا ، وسُبك سَبكاً واحدًا ، فهو يجري على اللّسان كما يجري الدّهان)). [٤]

وأورده أسامة بن منقذ (٥٣٠) هـ في كتابه (البديع في نقد الشعر) ، فقال: ((خير الكلام المحبوك المسبوك الذي يأخذ بعضه برقاب بعض)) [٥] ، فهو يشير هنا إلى التّرابط والتّماسك بين أجزاء الكلام .

---

١) النّص والخطاب والأجزاء / ١٠٣

٢) ينظر: الدرس النحوي النصي في كتب اعجاز القران الكريم/ ١٤١

٣) ينظر: لسانيات النّص ، مدخل إلى انسجام الخطاب / ١١

٤) البيان والتبيين: ٦٧/١

٥) البديع في نقد الشعر / ١٦٣

مضافا لذلك أنّ المعنى اللّغويّ للسّبك لا يبعد عن هذا المفهوم ، فهو يدلّ على إذابة الشيء وإفراغه في قالب معيّن. جاء في اللّسان :((سبك الذهب والفضّة ونحوه من الذائب يسبِكُهُ سَبْكاً وسبَّكه ذوَّبه وأفرغه في قالب)).[١]

((ومن المجاز هذا كلام لا يَثبُتُ على السّبك وهو سبّاك للكلام)) [٢].

فهناك ترابط مفهوم بين المعنى اللّغوي والمعنى الاصطلاحي ، فالسّبك عملية جمع شكلٍ معيّنٍ وتأليفه وإنتاجه ، كذلك الكلام عمليّة جمع نصّ معيّنٍ وتأليفه، شعرًا كان أو نثرًا .

ومن الملاحظ أنّ أغلب الباحثين المحدثين العرب يميل إلى استعمال مصطلح (السَّبْك) [٣] ؛ ولهذا وقع الاختيار على هذا المصطلح من دون غيره ، مع ضمان حقّ الباحثين الآخرين الذين آثروا استعمال غير هذا المصطلح ، وذلك بإيراد مصطلحاتهم كما هي في سياق كلامهم ، فالمقصود من كلامهم واحد وإن اختلفت التسميات .

---

[١]) لسان العرب : ١٢ /٣٢٢ مادة (سبك)

[٢]) أساس البلاغة : ١ /٤٣٥ مادة (سبك)

[٣]) ينظر : السّبك في العربية المعاصرة / ٢، وعلم لغة النّص والأسلوب / ٢٦، والترابط النّصي في ضوء التحليل اللساني للخطاب / ٦٦، ونظرية علم النص/٧٨ ، ونحو النّص ، اتجاه جديد في الدّرس النحوي/ ٩٠

المبحث الأول

مفهوم السّبك في علم لغة النّص

أُسِّس مفهوم السّبك على الترابط الشكليّ للنّص ، فهو معيار يُعنى بظاهر النّص ودراسة الوسائل التي تتحقق بها خاصية الاستمرار اللفظي ، أي إنّ هذا الترابط ((يترتّب على إجراءات تبدو بها العناصر السطحيّة على صورة وقائع يؤدّي السابق منها إلى اللاحق ، بحيث يتحقّق بها الترابط الرصفي)) [١].

ويعني ظاهر النّص ((الأحداث اللّغوية التي تنطق بها ، أو نسمعها في تعاقبهما الزمني والتي نخطها أو نراها ... وهذه الأحداث أو المكونات ينتظم بعضها مع بعض تبعًا للمباني النّحوية ، ولكنّها لا تشكّل نصّاً إلا إذا تحقّق لها من وسائل السّبك ما يجعل النّص محتفظاً بكينونته واستمراريّته)) [٢].

فمعيار السّبك على هذا النحو يتحقّق في ضوء الوسائل النحويّة في النّص ، ومدى قيامها بترتيب الوقائع في المستوى السطحي للنّص ، كبناء العبارات والجمل ، واستعمال الضمائر وغيرها من الأشكال البديلة ، فهو مرتبط بالدلالة النحويّة .

وقد ذكر الدكتور سعد مصلوح أنّ هذه الوسائل يجمعها مصطلح عام وهو مصطلح الاعتماد النحوي ويتحقّق في شبكة هرميّة متداخلة من الأنواع هي [٣]:-

١- الاعتماد في الجملة.
٢- الاعتماد فيما بين الجمل.
٣- الاعتماد في الفقرة أو المقطوعة.
٤- الاعتماد فيما بين الفقرات أو المقطوعات.
٥- الاعتماد في جملة النّص.

ويتضح من هذا أنّ معيار السّبك لا يختصّ بنحو النّص فحسب، وإنّما لابُدّ منه على

---

١) النّص والخطاب والإجراء / ١٠٣

٢) نحو آجرومية للنص الشعري / ١٥٤

٣) ينظر: المصدر نفسه / الموضع نفسه

مستوى الجملة أيضًا ؛ لأنّه ((يتعلق بمجموعة الروابط النحويّة التي تربط بين أجزاء الجملة))[١] .

ومن ثمّ يعني السّبك : ذلك الترابط بين التراكيب والعناصر اللغويّة المختلفة لنظام اللغة ، إذ تتّحد التراكيب والعناصر وتتآزر لتشكّل كُلًّا متآلفًا ، متناسقًا .

فهو يهتم بالوسائل اللغويّة (الشكليّة) التي تصل بين العناصر المكوّنة لجزء من خطاب أو خطاب برمّته.

و((من أجل وصف اتّساق الخطاب / النّص يسلك المحلِّل – الواصف – طريقة خطّية ، متدرّجاً من بداية الخطاب – الجملة الثانية منه غالبا– حتى نهايته ، راصدًا الضمائر والإشارات المحيلة – إحالة قبلية أو بعدية – مهتمًّا أيضًا بوسائل الربط المتنوّعة كالعطف ، والاستبدال ، والحذف ، والمقارنة ، والاستدراك ، وهلم جرّا. كلُّ ذلك من أجل البرهنة على أنّ النّص / الخطاب يشكّل كُلًّا متآخذًا))[٢].

من هذه الزاوية يُنظر إلى السّبك على أنّه روابط شكليّة تقتصر على البنية السطحيّة الظاهرة للنّص.

((في حين نجد أنّ تعريف هاليداي وحسن يتمثّل في كون مفهوم التماسك... مفهومًا دلاليًّا يشير إلى علاقات المعنى الموجودة بين طيّات النّص))[٣].

ويبدو أنّ الوظيفة الدلاليّة الناتجة من استعمال أداة معيّنة دون أخرى هي المنطلق في هذا المفهوم ، وهو ما أطلق عليه الدكتور تمّام حسّان (المناسبة المعجميّة) التي عدّها شرطًا من شروط الإفادة التي يتوقّف عليها الاعتراف بأنّ سلسلة منطوقة بعينها كلام أو لغو[٤]. ((فإذا قال قائل (فهم الهواء قميصه) فليس بين كلمات هذا القول مناسبة لأن الفعل (فهم) يتطلب فاعلاً عاقلاً وليس الهواء كذلك (أي إنّ الفعل قد أُسند إلى غير من هو له) ، وهذا الفعل نفسه يتطلّب مفعولاً معقولاً غير محسوس

---

١) نحو النّص بين الاصالة والحداثة/ ١٠١

٢) لسانيات النّص ، مدخل إلى انسجام الخطاب / ٥

٣) دراسة لسانية للعلاقات النّصية في مطولات السيّاب/ ١٠٦

٤) ينظر : مقالات في اللّغة والأدب : ٢/ ٢٥٦

ولكنّ القميص محسوس. أضف إلى ذلك أنّ الهواء ليس له قميص حتّى يمكن أن يتعدّى إليه الفعل .

هذه المفارقة المعجمية بين عناصر القول هي سبب انتفاء الإفادة ، وهذا الانتفاء أقوى مطعن يمكن أن يوجّه إلى السّبك)) [١].

((فالتماسك – كما يراه هاليداي– ليس مجرّد خاصّية ترتبط بالبنية السطحيّة للنّص في مستوياتها النحويّة /المعجميّة حسب ، بل هو خلق دلالي ناتج عن عمل نحويّ بشكل واسع ، ويمثّل إدراكًا تلقائيًّا للخيارات الدّلاليّة)) [٢].

فالسّبك إذاً ضرورة حتميّة لوضوح دلالة النّص ((وكلّما قدّم الكاتب نصًّا مترابطًا ومرتّباً أصبح التّماسك في عقل القارئ أكثر وضوحًا)) [٣] .

أهمية السّبك :-

((يعدّ السّبك من أهم المعايير النّصية عند علماء لغة النّص ، فهو عنصر جوهري في تشكيل النّص وتفسيره))[٤] ؛ لهذا عُني به المهتمون بنحو النّص وحاولوا حصر أدواته وتصنيفها وبيان وظائفها ومحاولة إعمامها، فبها يتمُّ تنظيم عالم النّص.

لذلك فإنّ البحث في وسائل السّبك هو في الوقت نفسه بحث في ما يميّز النّص ممّا ليس نصًّا. [٥] فلا يمكن عدّ أيّ توالٍ جزافي للجمل على أنّه نصّ. [٦]

فالسّبك يُعنى بتنظيم بنية المعلومات داخل النّص ، ويساعد القارئ في معرفة أوجه الترابط المتحرّكة عِبر شبكة النّص بما يضمن استمراريّة الوقائع والأحداث في النّص.

---

١) مقالات في اللغة والأدب: ٢/٢٥٦- ٢٥٧ .

٢) دراسة لسانية للعلاقات النّصية في مطولات السياب / ١٠٦

٣) نظرية علم النّص / ٧٩

٤) المصدر نفسه / ٨٠

٥) ينظر :لسانيات النّص ، مدخل إلى انسجام الخطاب / ١٢

٦) ينظر: التحليل اللغوي للنص / ٢٥

وإذا كان السّبك يعتمد على متتالية الجمل التي تربط بينها أدوات ووسائل لغويّة تكشف عنها (خطية النّص) فإنّ الإنسجام أو(الحبك) يعتمد على السّبك [١].

إذ إنّ الوحدة الدلالية للنّص تأتي من السّبك الموجود بين الجمل المكونة للنّص، فكلّ جملة تعطي نوعاً من الترابط مع الجملة التي تسبقها والتي تلحقها بما يضمن تكوين وحدة دلالية متماسكة أضفتها وسائل الربط الموجودة في النّص التي تجمع أطرافه المتباعدة ، فإحكام البنية الشكلية (السّبك) يتبعه إحكام للبنية الدلاليّة (الحبك)؛ لذلك حصر بعض العلماء أهميّة السّبك في ((جعل الكلام مفيداً ، ووضوح العلاقة في الجملة ، وعدم اللبس في أداء المقصود ، وعدم الخلط بين عناصر الجملة ، واستقرار النّص وثباته وذلك بعدم تشتيت الدلالة الواردة في النّص)) [٢].

نخلُص من هذا إلى أنّ أهمية التماسك النّصي (السّبك) تكمن في [٣]:-

١ - التركيز على كيفيّة تركيب النّص بوصفه صرحا دلاليا .

٢- إعداد روابط التماسك المصدر الوحيد للنّصية .

٣- معرفة ما هو نصّ وما هو غير ذلك .

٤- الربط بين الجمل المتباعدة زمنيّاً .

<u>الأبعاد الوظيفية للسبك :-</u>

إنّ دراسة أدوات السّبك وتحليلها تمكننا من إدراك طبيعة العلاقات المبنيّة داخل كيان النّص ، وهذا التحليل هو عملية إحاطة بالنّص من حيث هو تسلسل ونسيج تسعى الظواهر اللغوية المتنوعة فيه إلى تنامي النّص وتناسله ، وتضمن له استمراره بوساطة التكرارات ، والإحالات ، والبدائل المعجميّة ، والضمائر ، وغيرها. [٤]

---

[١]) ينظر :لسانيات النص، النظرية والتطبيق /١٣٨

[٢]) نظرية علم النّص /٨٠ ، وينظر علم اللّغة النّصّي بين النظرية والتطبيق :٧٤/١

[٣]) ينظر : علم اللغة النّصّي بين النظرية والتطبيق: ١/ ١٠٠

[٤]) ينظر : المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب / ١٩

ومن المؤكّد أنّ هذا النسيج وما يتضمّنه من توظيف لأدوات السّبك سواء كانت نحوية ، أو معجمية ، أو صوتية ((يرجع إلى ما يعنيه المتكلمون ، وكيف يعبرون عن علاقتهم بالمستمعين ، وكيف يختلف تعبيرهم من سياق إلى سياق)). [١]

فهناك اختلاف بين المتكلّمين في طريقة اختيار اللّغة ، وفي الحكم المستَخدَم .

فقد يواجه المتلقّي نصوصا لا توظف فيها وسائل السّبك ، وإنما توضع الجمل مجردة من الروابط و((هذا النوع من الكتابة تمليه حيناً ضرورات تواصلية أو تجارية ... وقد تكون خلفه– أحياناً أخرى – مقصدية إبداعية إبتكارية)) [٢].

وقد يعمد المتكلّم إلى تكثيف الروابط في نصّ ما ، وتقليلها في نصّ آخر . وهذا ما تناولته بعض الدراسات ، فهي تركِّز على دلالات تلك الروابط على العديد من المحاور [٣]:–

الأول : كثافة الروابط بين أجزاء النّص :– وتفيد في تحديد المعلومات الأساسية والمعلومات الثانوية ، فكلما زادت الروابط بين أجزاء النّص كانت متصلة بالفكرة الأساسية ، وكلما ندرت الروابط أو انعدمت كانت هذه الأجزاء تقدم معلومات ثانوية يمكن الاستغناء عنها عند كتابة ملخص لمحتوى النّص .

الثاني : المسافة بين الروابط :– أو توزيع الكثافة بين الروابط ، إذ إنّ علاقة الربط تكون أوضح كلما قلَّت المسافة بين الروابط.

وكذلك ((يجب الأخذ في الاعتبار أنّ أدوات السّبك تختلف من نصّ إلى آخر تبعا لنوع النّص ، وتبعاً لاختلاف المؤلّفين ، سواء من حيث عدد الروابط أو أنواعها؛ لأنّ هذه الروابط تلعب دوراً وظيفيّاً ليس باعتبارها وحدات نحويّة تربط بين الجمل بعضها ببعض ، بل باعتبارها وحدات وظيفيّة تلعب دوراً في تكوين النّص كوحدة دلاليّة)). [٤]

---

١) نظرية علم النّص / ٨٢

٢) لسانيات النّص ، مدخل إلى انسجام الخطاب/ ٥

٣) علم لغة النّص ، النظرية والتطبيق / ١٠٣

٤) نظرية علم النّص /٨٢

فهناك أدوات تؤدي معاني وظيفيّة متعدّدة ، وهي في داخل السّياق ؛ فلكلّ تركيب معناه الوظيفي الذي تحدوه القرائن المختلفة [١].

لذلك فالبحث في السّبك وأدواته يرتبط بالضرورة بوصف طبيعة الروابط الشكليّة لسطح النّص ، والوظائف التي تؤدّيها هذه الروابط في ضوء سياق النصّ.

أدوات السبك:-

تعدّدت أقوال علماء النّص في الأدوات التي يتحقق بها السّبك النصّي ، وهي في الغالب تختلف عن بعضها ، إلا أنّ ذلك لا يمنع أنّ تكون هناك أدوات مشتركة بينهم ، متفقون عليها ، وليس هذا الاتّفاق إلا إبرازاً لأهمية تلك الأدوات التي اشتركوا في ذكرها في سبك النّص [٢].

فقد قدّم هاليداي ورقية حسن خمسة مصادر لتحقيق السّبك ، وهي (الإحالة ، والاستبدال ، والحذف ، والوصل ، والاتّساق (السّبك) المعجمي[٣] .

وتدخل (الإحالة والاستبدال والحذف والوصل) تحت مفهوم السّبك النحوي .

أما السّبك الصوتي ، فكانت هناك إشارات ضئيلة إلى مجموعة الوسائل الشّكلية التي تؤدّي إلى ترابط النّص ، مثل: الوزن والقافية والتنغيم ، وهي وسائل مهمة في ترابط أنواع من النّصوص العربية كالرسائل ، بما تتضمّنه من سجع أو جناس ، وهو ما يُسمّى في البلاغة بعلم البديع [٤].

وعليه سيكون الحديث على ثلاثة أنواع من السّبك ، وهي : (السّبك النحوي) ، و(السّبك المعجمي) ، و(السّبك الصوتي).

---

[١]) ينظر: دراسات في الأدوات النحوية /٦٨،وينظر: النّص اللّغوي بين السبب والمسبّب/٥٢-٧٤

[٢]) ينظر : علم اللّغة النّصّي بين النظرية والتطبيق : ١/ ١١٥

[٣]) ينظر :لسانيات النّص ، مدخل إلى انسجام الخطاب / ١٦- ٢٤

[٤]) ينظر: علم لغة النّص ، النظرية والتطبيق / ١٢٥ ، ونظرية علم النّص / ١١٦ – ١١٧

أولا:- السّبك النحوي:-

ويتحقّق في ضوء الوسائل اللّغويّة التي تربط عناصر النّص فيما بينها ، والخواصّ التي تؤدّي إلى تماسكه ، و((العوامل التي تجعل الجملة النّصية تتعالق فيما بينها محكمة النسيج ، بالتركيز على الرابط في جميع المستويات النّصية دون فصل)). [١]

ويحصل السّبك النحوي بمجموعة أدوات هي :-

١- الإحالة [٢]:-

((تُطلق تسمية(العناصر الإحالية)على قسم من الألفاظ لا تملك دلالة مستقلة ، بل تعود على عنصر أو عناصر أخرى مذكورة في أجزاء أخرى من الخطاب. فشرط وجودها هو النّص. وهي تقوم على مبدأ التماثل بين ما سبق ذكره في مقام ما، وبين ما هو مذكور بعد ذلك في مقام آخر)) [٣].

فالإحالة عمليّة استرجاع لمدلولات ذُكِرَت في مرحلة سابقة ، أو عملية استقدام مدلولات يتوقّع القارئ مجيئها بمرحلة لاحقة في النّص . وهذه العملية تتم عن طريق العنصر الإحالي الذي يتطابق في الخصائص الدلالية مع العنصر المحيل إليه [٤].

فهي تمنح العنصر خاصية الاستمرارية ، وتسهم في بناء النّص عن طريق سلاسل الإحالات الرئيسة والفرعية التي تغطي النّص .

وعناصر الإحالة هي : الضمائر ، وأسماء الإشارات ، والأسماء الموصولة ، وأدوات المقارنة ، وبعض العناصر المعجمية من قبيل نفس ، عين ،بعض...الخ. [٥]

---

١) الخطاب الأدبي ورهانات التأويل / ٢٤٨

٢) تناول علماء النّص هذا المفهوم تحت مجموعة من المصطلحات (كالصيغ الكنائية ، والإحالة المتبادلة ، والإحالة النّصية، والإرجاع أو الإرجاعية أو المرجعية) ولكنّ أكثرها استعمالا هو مصطلح (الإحالة) . (ينظر: علم لغة النّص ،النظرية والتطبيق /١١٩)

٣) نسيج النّص / ١١٨

٤) ينظر : لسانيات النّص ، مدخل إلى انسجام الخطاب / ١٧

٥) ينظر : علم لغة النّص ،النظرية والتطبيق / ١١٩ ، نظرية علم النّص /٨٣ ، مدخل إلى علم النّص ومجالات تطبيقه/٩٠

وتُقسم الإحالة على نوعين رئيسين [١]:-

أولهما : - إحالة خارجية ؛ وفيها يُحيل عنصر في النّص إلى شيء خارج النّص، ولا تدخل تلك الإحالة في إطار السّبك ، وإنّما يُنظر لها في أطار سياق الموقف الخاص بالنّص.

والآخر:- إحالة داخلية: - وهي الإحالة النّصية ، وتتفرع إلى:-

١- **إحالة قبلية** :- وفيها يشير العنصر المحيل إلى عنصر آخر متقدّم عليه ، وهي الإحالة الأكثر شيوعاً.

٢-**إحالة بعدية** :- وفيها يشير العنصر المُحيل إلى عنصر آخر يلحقه[٢].

وعلى أساس المدى الفاصل بين العنصر الإحالي ومفسره،تنقسم الإحالة إلى نوعين[٣] :-

أ- **إحالة ذات مدى قريب** : وتجري في مستوى الجملة الواحدة ، إذ لا توجد فواصل تركيبية جُملية .

ب- **إحالة ذات مدى بعيد** : وهي تجري بين الجمل المتصلة ، أو المتباعدة في فضاء النّص ، وهي تتجاوز الفواصل أو الحدود التركيبية القائمة بين الجمل .

٢- الاستبدال :-

وهو استبدال عنصر في النّص بعنصر آخر، وهو عملية تتمّ داخل النّص.[٤]

---

[١]) نظرية علم النّص / ٨٤

[٢]) هناك خلط وعدم وضوح في تعبير الدكتورة عزّة شبل عن الإحالة القبلية والبعدية ، فهي تعبّر عن الإحالة القبلية بـ (الإحالة السابقة البعدية) ، وعن الإحالة البعدية بـ (الإحالة اللّاحقة القبلية) . ينظر : علم لغة النّص ، النظرية والتطبيق / ١٢٣

[٣]) ينظر : نسيج النّص / ١٢٣- ١٢٤

[٤]) ينظر : لسانيات النّص ، مدخل إلى انسجام الخطاب / ١٩

ويختلف عن الإحالة في كونه ((علاقة تتمّ في المستوى النّحوي – المعجمي بين كلمات ، أو عبارات ، بينما الإحالة علاقة معنوية تقع في المستوى الدلالي)) [١].

وينماز الاستبدال عن الإحالة أيضاً في ((أن معظم حالاته قبلية ؛ وذلك أنّ العلاقة بين الكلمات فيه تكون بين عنصر متأخّر وعنصر متقدّم)) [٢].

مثال[٣]: فأسي جدُّ مثلومة ، يجب أن أقتني [فأساً] أخرى حادّة .

فكلمة (أخرى) عوضت كلمة (فأسي) وقامت مقامها ؛ مما أدّى إلى أن تزيد علاقة الجملة الثانية بالأولى.

فالاستبدال يضطلع بمهمّة إعادة تحديد العنصر المُستَبدَل في السّياق ، وتكون العلاقة بين طرفي الاستبدال ليست مطابقيّة كما هو الشأن في الإحالة ، بل تقوم على الاستبعاد والتفاعل وتحديد الجديد [٤].

ينقسم الاستبدال على ثلاثة أنواع [٥]:-

أ- **<u>استبدال اسمي :-</u>**

ويتمّ باستعمال عناصر لغوية اسمية ، مثل (آخر ،آخرون ، واحد ، ذات ، نفس). كقوله- تعالى-:﴿ قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَنْ يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِأُولِي الْأَبْصَارِ﴾ (أل عمران /١٣). فقد استبدل كلمة (أخرى) بكلمة (فئة).

<u>ب- استبدال فعلي:-</u>

ويمثّله استعمال الفعل (يفعل) مثل: هل تظنّ أنّ الطالب المكافح سينال حقه ؟ أظنّ أنّ كلّ طالب مكافح يفعل.

---

[١]) لسانيات النّص ، مدخل إلى انسجام الخطاب / ١٩

[٢]) مدخل إلى علم لغة النّص ومجالاته تطبيقه / ٩١، وينظر: لسانيات النّص ، مدخل إلى انسجام الخطاب / ١٩

[٣]) ينظر :لسانيات النّص ، مدخل إلى انسجام الخطاب /٢٠

[٤]) الخطاب الأدبي ورهانات التأويل /٤٦ وينظر: لسانيات النّص ، مدخل إلى انسجام الخطاب /٢١

[٥]) ينظر: نحو النص، إتجاه جديد في الدرس النحوي /١٢٣-١٢٤ ، علم لغة النّص ، النظرية والتطبيق/١١٤-١١٥

فالكلمة (يفعل) فعلية استُبدلت بكلام كان المفروض أن يحلّ محلّها ، وهو (ينال حقّه).

جـ – استبدال قولي :-

ويكون باستعمال (ذلك ،هذا) مثل قوله تعالى : ﴿قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا﴾ (الكهف /٦٤)

فكلمة (ذلك) جاءت بدلاً من الآية السابقة عليها مباشرة : ﴿قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنْسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا﴾ (الكهف /٦٣).

يبدو واضحاً وجليّاً كيف أنّ الاستبدال في الأمثلة السابقة كان له أثر كبير في سبك النصّ، وإحداث الترابط بين الجمل.

٣- الحذف :-

((يعد الحذف ظاهرة لغوية مشتركة بين اللغات الإنسانية ، وإن كانت تتفاوت في بروزها بين هذه اللّغات ، ويميل اللّغويون العرب إلى أنّ اللّغة العربية تفوق غيرها في بروز هذه الظاهرة ؛ لأنّ من أهمّ سماتها الإيجاز)) [١].

والحذف :هو((استبعاد العبارات السطحيّة التي يمكن لمحتواها المفهومي أن يقوم في الذهن ، أو أن يوسع ، أو أن يُعَدل بواسطة العبارات الناقصة)) [٢].

فالحذف لا يكون إلا بوجود قرينة أو دليل يدلّ عليه ، إذ يكوّن الحذف فجوة أو منطقة فراغ يضطرّ المتلقّي أن يملأها ويستدلّ عليها من مكان آخر في النّص محققّا بذلك ترابط ما بين أجزاء النّص.

لذلك ((يكثر الحذف في النّصوص دون الجمل المنفصلة ، والذي يساعد على ذلك هو أن النّص بناء يقوم على التماسك والاتّساق ، وهذان العاملان يساعدان منشئ النّص على الاختصار، وعدم الإطالة بذكر معلومات فائضة ؛ لذا يشترط في

[١]) السّبك في العربيّة المعاصرة / ١١٦

[٢]) النّص والخطاب والإجراء / ٣٠١

الحذف أن يبدأ النّص بجملة تامّة تراعي القواعد النحوية ، أمّا في الجملة التالية فإنّ علماء النّص يعتمدون على ما يُسمّى بالتبعيّة النحوية ، أي تبعية الجملة التالية للجملة السابقة)) [١].

إنّ وجود دليل على المحذوف داخل النّص شرط من شروط السّبك ؛ وذلك لأهميّة المذكور في تحقيق المرجعيّة بينه وبين المحذوف ، وهذا ما يُطلق عليه الدّليل المقالي على المحذوف [٢].

تتعدّد أنواع الحذف في اللّغة العربية: فقد يكون الحذف للأسماء ، أوحذف للأفعال ، أوحذف للحروف ، أوحذف للجمل ، أو العبارة ، وقد قسّم هاليداي ورقية حسن الحذف على [٣]:-

١-الحذف الاسمي:- مثل : أيّ قميص ستشتري؟ هذا هو الأفضل ؛ أي هذا القميص.

٢-الحذف الفعلي :- مثل : ماذا كنت تنوي ؟ السفر ؛ أي أنوي السفر.

٣-الحذف القولي أو (داخل ما يشبه الجملة):- مثل: كم ثمن هذا القميص ؟ خمسة جنيهات .

٣- الربط بالأداة :-

تضمّ اللّغة العربية الكثير من الأدوات والعبارات التي تربط بين الكلمات والجمل والتراكيب فيما بينها ، وتختلف هذه الأدوات في المعنى الوظيفي الذي تؤدّيه في التركيب ؛ لذلك جمعوا هذه الأدوات بمختلف معانيها في قسم واحد ، وهو قسم (الأدوات المنطقية) ؛ ((لأنّها علامات على أنواع العلاقات القائمة بين الجمل ، وبها تتماسك الجمل ، وتبين مفاصل النّظام الذي يقوم عليه النّص)). [٤]

---

١) الدلالة والنّحو / ٢٥٣

٢ ينظر: نظرية علم النّص / ٨٨

٣) ينظر: لسانيات النّص ، مدخل إلى انسجام الخطاب / ٢٢ ، نحو النّص،إتجاه جديد في الدرس النّحوي /١٢٧

٤) نسيج النّص / ٣٧

وقد اختلف العلماء فيما بينهم في تصنيف هذه الأدوات اعتماداً على أبعادها الدلاليّة ومعانيها الوظيفيّة ، فمنهم من جعلها تسعة أصناف : صنف يُفيد الإضافة مثل :(الواو) ، وصنف يُفيد التعداد مثل :(أولاً ، ثانياً...) ، وصنف يُفيد الشّرح مثل: (لأن، بمعنى...)، وباقي الأصناف تُفيد التّوضيح ، والتّمثيل ، والرّبط العكسي، والسّبب ، والاختصار، والتعاقب الزمني [١].

ومنهم من جعلها خمسة أصناف : (أدوات الفصل ، والفصل ، والاستدراك ، والتفريع أو الإتباع ، والربط الزمني).

إلا أنّ هناك من أشار إلى أنّ هذا التصنيف تقريبي فقط ، ((خاصّة وأنّ العديد من الروابط تتداخل في معانيها، بحيث يمكن إدراج رابط واحد ضمن أكثر من صنف . بعبارة أخرى ، يمكن أن يكون للترابط الواحد أكثر من معنى)) [٢].

وعليه سنورد التصنيف الذي اعتمده هاليداي ورقية حسن وهو[٣] :-

أ- **<u>الربط الإضافي:-</u>**

وهو الذي يربط الأشياء التي لها الحالة نفسها ، أو يكون بينهما تماثل دلالي ، وغالباً ما يُشار إليه بوساطة الأدوات:(الواو ، وأيضا ، وكذلك ، وأو، وأم).

((والاختيار من بين هذه الأدوات في النّص هو اختيار بلاغي ، فالواو تُفيد معنى الاشتراك ، و(أو) تعطي معنى البديل)). [٤]

ويمكن أن يدخل تحت هذا المفهوم عبارات تحمل معنى التشابه الدلالي ، مثل: (على نحو مشابه ، ومثل هذا ، وبالطريقة نفسها) ، أو تحمل معنى المقارنة المنفية مثل: (من ناحية أخرى ، وعلى العكس ، وبالمقابل) ،أو تحمل معنى الشرح

---

١) ينظر : نظرية علم النّص / ٩٥

٢) مدخل إلى علم النّص ومجالات تطبيقه/٩٥

٣) ينظر :لسانيات النّص ، مدخل إلى إنسجام الخطاب /٢٣

٤) علم لغة النّص ، النظرية والتطبيق / ١١١

والتفسير، مثل: (أعني ، بمعنى آخر)، أو التي تحمل معنى التّمثيل ، مثل: (مثلاً ، على سبيل المثال) [١].

ب- الربط الإستدراكي :-

وهي الأدوات التي تربط بين شيئين متنافرين أو متعارضين ،كأن يكونا سببًا ونتيجة غير متوقعة ، ومن تلك الأدوات : (لكن، بيد أنّ ، غير أنّ ، وأمّا ، خلاف ذلك ، على العكس ، في المقابل ، من ناحية أخرى ، على أيّة حال) [٢].

جـ- الربط الزمني :-

يتمّ الربط الزمني عن طريق الأدوات التي تتضمّن معنى زمن معيّن ، أو تتضمّن بيان تتابع زمني معيّن . ويعبّر عن هذا الربط بوساطة الأدوات : (ثمّ ، بعد ، على نحو تال ، في ذات الوقت ، حالاً ، في هذه اللّحظة ، مبكّراً ، قبل هذا ، سابقاً ، أخيراً ، في النّهاية)[٣] وغيرها من الألفاظ التي تعطي دلالة زمنيّة معيّنة .

د **- الربط السببي:-**

ويكون بوساطة الأدوات (لهذا، بهذا ، لذلك ، لأنّ، نتيجة لـ ، سبب لـ) [٤] ، وغيرها من الأدوات التي تعطي معنى السببيّة بين الجمل التي تربطها.

---

[١]) ينظر: علم لغة النّص ، النظرية والتطبيق / ١١١

[٢]) ينظر : نظرية علم النّص / ٩٥ ، علم لغة النص، النظرية والتطبيق / ١١١

[٣]) ينظر : علم لغة النّص ، النظرية والتطبيق /١١٢

[٤]) ينظر : المصدر نفسه / الموضع نفسه

ثانيا :السّبك المعجمي :-

السّبك المعجمي هو مظهر من مظاهر السّبك في النّص ، وهو ((العلاقة الجامعة بين كلمتين أو أكثر داخل المتتابعات النصية. وهي علاقة معجمية خالصة لا تفتقر إلى عنصر نحوي يظهرها)) [١] .

فهو يتّخذ وسائل غير الوسائل النّحوية ، ويكون ذلك عن طريق إحالة عنصر على عنصر آخر على مستوى المعجم[٢]. ويتحقّق السّبك المعجمي عبر وسيلتين هما: التكرار ، والمصاحبة المعجمية أو (التضام) [٣] .

١- **التكرار :-**

التكرار في علم لغة النص هو((شكل من أشكال الاتّساق المعجمي ، يتطلّب إعادة عنصر معجمي ، أو ورود مرادف له ، أو شبه مرادف ،أو عنصراً مطلقاً، أو اسماً عامّاً)) [٤].

ويطلق بعض الباحثين على هذه الوسيلة (الإحالة التكرارية)التي تتمثّل في تكرار لفظ أو عدد من الألفاظ في بداية كلّ جملة من جمل النّص قصد التأكيد [٥].

وعليه يُقسم التكرار على أربعة أنواع [٦]:-

أ- تكرار الكلمة نفسها :-

يندرج فيه ثلاثة أنواع :-

١- **التكرار المباشر** :- ويحدث عندما يتكرّر العنصر المعجمي من دون تغيير،

---

١) نظرية علم النّص / ١٠٦

٢) ينظر: علم لغة النّص ، النظرية والتطبيق / ١٠٥

٣) ينظر : لسانيات النّص / ٢٤ . وهذا ما عليه أغلب الباحثين ، وبعضهم جعل السّبك المعجمي في ثلاث وسائل هي : التكرار والترادف والمصاحبة اللغوية ، فجعل الترادف مستقلاً عن التكرار ،(ينظر: نظرية علم النص/ ١٠٩). في حين عدّه الآخرون من ضمن مفهوم التكرار . (ينظر : السّبك في العربية المعاصرة / ١٧٢ ، علم لغة النّص ، النظرية والتطبيق / ١٠٦ ، الترابط النّصّي في ضوء التحليل اللّساني للخطاب / ٦٧)

٤) لسانيات النّص ، مدخل إلى انسجام الخطاب /٢٤

٥) ينظر نسيج النّص /١١٩

٦) ينظر: علم لغة النّص : النظرية والتطبيق / ١٠٦

وقد مثّل هاليداي ورقيّة حسن بنموذج للتكرار المعجمي [١]:

((أغسلي وانزعي نوى ست تفاحات للطبخ . ضعي التفاحات في صحن يقاوم النار))

ففي هذا المثال تمّ السّبك عن طريق تكرار كلمة (التفاحات).

وهذا التكرار نوعان [٢]:-

- تكرار مع وحدة المرجع ، (أي يكون المسمّى واحداً).
- تكرار مع اختلاف المرجع ، (أي المسمّى متعدد).

٢- **التكرار الجزئي** : - (يعني استخدام المكونات الأساسية للكلمة (الجذر الصّرفي) مع نقلها إلى فئة أخرى مثل: (ينفصل – انفصال) و (يحكم – حكم – حكام – حكومة) [٣].

٣ – **الاشتراك اللفظي** :- وهو تكرار الكلمة نفسها مع اختلاف المفهوم مثل (ولّى – ولّى) . بمعنى ذهب للأولى ، وبمعنى أُسند إليه الحكم للثانية[٤].

ب – الترادف أو شبه الترادف :-

وهو استعمال كلمات شاملة لها معنى مشترك ، مثل: (يبتكر– يخترع) ، أو كلمات بينها تشابه دلالي ولكن هناك اختلافاً فيما بينها من ناحية الاستعمال في سياق معين ، مثل (بيت – منزل) إذ يمكن أن نقول:(الجامعة العربية بيت العرب) ولا يمكن أن نقول:(الجامعة العربية منزل العرب) [٥].

جـ – الكلمة الشاملة :-

---

١) ينظر: نحو النّص ، اتجاه جديد في الدرس النحوي / ١٠٦

٢) ينظر :المصدر نفسه / ١٠٦ – ١٠٧

٣) علم لغة النّص ،النظرية والتطبيق / ١٠٦

٤) ينظر : المصدر نفسه / ١٠٧

٥) المصدر نفسه / ١٠٨

وهو استعمال كلمة تتضمن الإشارة إلى فئة معينة ، واستعمال كلمة أخرى تشير إلى عنصر من الفئة التي تضمنتها الكلمة الأولى ، مثل (العراق – دولة) فكلمة (دولة) يُطلق عليها كلمة شاملة [١].

د- الكلمة العامة :-

يقترب مفهوم الكلمة العامة من مفهوم الكلمة الشاملة إلى حدٍّ ما ، لكنّ فيها من العموم والشمول ما يتّسع بكثير عن الشمول الموجود في الكلمة الشاملة [٢]، مثل : (شرعت في الصّعود إلى القمة ، الشيء سهل للغاية)، فكلمة (الشيء) تندرج ضمنها كلمة الصعود[٣].

٢-المصاحبة المعجمية أو (التضام) [٤]:-

وهي ((توارد زوج من الكلمات بالفعل ، أو بالقوة ، نظراً لارتباطها بحكم هذه العلاقة أو تلك)) [٥]. فهي ألفاظ اعتادت أن تأتي في اللّغة مقترنة ببعضها ، وذكر إحداها يستدعي ذكر الأخرى ، فيكون بينها نوع من التلازم الذكري أو الارتباط . مثل الكلمات (الحرب ، الأعداء ، الصراع) و(محاولة ، نجاح) و(ملك ، سلطة) وغيرها.

وتُقسم وسائل التضام على [٦]:

أ- الارتباط بموضوع معين :- كـ (المرض ، الطبيب) ، (النكتة ، الضحكة).

ب- التقابل أو التضاد:- مثل (ولد ، بنت) ، (يحب ، يكره).

ت- علاقة الجزء بالجزء :- مثل (فم ، ذقن) ، (أنف ، عين).

---

[١]) ينظر علم لغة النّص ، النظرية والتطبيق / ١٨٠

[٢]) ينظر: البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النّصية / ٨٣

[٣]) ينظر : لسانيات النّص ، مدخل إلى انسجام الخطاب /٢٥

[٤]) بعض الباحثين يستعمل مصطلح (المصاحبة اللّغوية) ينظر: نظرية علم النص/١١١، ومنهم من يستعمل مصطلح (المطابقة) ، ينظر : لسانيات النّص ، مدخل إلى انسجام الخطاب /١٣٠.

[٥]) لسانيات النّص ، مدخل إلى انسجام الخطاب / ٢٥

[٦]) ينظر :علم لغة النّص ، النظرية والتطبيق / ١٠٩

ث- علاقة الجزء بالكل :- مثل (الحجرة ، المنزل).
ج- الاشتمال المشترك :- مثل (كرسي ، منضدة).
و- الكلمات التي تنتمي إلى مجموعة منتظمة : مثل (السبت ،الأحد ، الاثنين ...).
ز- الكلمات التي تنتمي إلى مجموعة غير منتظمة:- مثل المجموعة الدالة على الألوان (أحمر ، أخضر...).

ثالثا:- السّبك الصوتي :-

لم يتطرّق أغلب الباحثين في علم لغة النّص إلى الحديث عن عناصر صوتية تسهم في سبك النّص ، باستثناء دي بوجراند الذي توقّف عند مصطلح التنغيم ، وعدّه من المحاور الصوتية الرئيسة لمصطلح السّبك ، وعدّد أنواعه بين استعمال التنغيم الصاعد ، والتنغيم الهابط [١].

وربّما يعود السبب في عدم تناول العلماء هذه العناصر الصوتية إلى انعدامها في لغاتهم[٢].

على حين تحدث بعض الباحثين العرب عن عناصر صوتية في اللّغة العربية من شأنها أن تُحدث تماسكاً نصّياً ، وذلك في ضوء دراساتهم التطبيقيّة على نصوص نثرية من اللّغة العربية [٣] ، وهذه العناصر هي :-

١- **السجع :-** وهو ((تواطؤ الفاصلتين من النثر على حرف واحد ، وهذا معنى قول السكاكي : (الأسجاع في النثر كالقوافي في الشعر)) [٤].

وهو ثلاثة أضرب:[٥] السجع المطرّف ، إذا اختلفت الفاصلتان في الوزن ، كقوله – تعالى- : ﴿مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا (١٣) وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾ نوح /١٣-١٤

---

١) ينظر: نظرية علم النّص /١١٦

٢) ينظر : المصدر نفسه / ١١٧

٣) ينظر :نظرية علم النّص ١١٧، علم لغة النّص ، النظرية والتطبيق / ١٢٥ لسانيات النص، النظرية والتطبيق/ ١٧٤

٤) الإيضاح في علوم البلاغة / ٤٠٢

٥) ينظر: المصدر نفسه ، الموضع نفسه

فإن اتّفقت في الوزن والتقفية فهو المرصّع، كقوله –تعالى– : ﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ (٢٥) ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ﴾ الغاشية /٢٥-٢٦.

وغير هذين النوعين المتوازي ، وهو أن تتّفق الكلمتان في الوزن وحروف السجع كقولة –تعالى– : ﴿فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ (١٣) وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ﴾ الغاشية /١٣-١٤

ويُقسم على أساس المسافة الفاصلة بين السجعتين على قصير ، ومتوسّط ، وطويل[١].

فالسجع يحقّق ربطاً معنوياً بين الجمل ، مضافاً لما يحقّقه من ربط موسيقيّ جميل.

٢-**الجناس:-**

((وهو تشابه الكلمتين في اللفظ .ومنه التام ، والناقص)) [٢].

أمّا الجناس التام فهو اتفاق الكلمتين في عدد حروف ، وهيئاتها ، وترتيبها، كقوله – تعالى– : ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ﴾ الروم/٥٥.

وأمّا الجناس الناقص: فهو يحدث إن اختلفت الكلمتان في عدد الحروف بزيادة حرف، أو أكثر، أو باختلاف حرف بين اللّفظين المتجانسين[٣]، مثل:(المقيم – العقيم).

فالجناس يعمل على تكوين ربط صوتي في النّص في ضوء إعادة اللّفظ ، ولكن بصورة مغايرة عن الأولى بالمحتوى ، أو بالهيئة ، أو بالترتيب. فيعمد بذلك إلى خلق نوع من التّتابع الصّوتي في النّص.

---

١) ينظر: الإيضاح في علوم البلاغة / ٤٠٤

٢) علم لغة النّص ، النظرية والتطبيق / ١٢٦

٣) ينظر: نظرية علم النّص / ١١٩

٣-<u>التوازي التركيبي</u>[١]:-

وهو ((تكرير بنية تملأ بعناصر جديدة ، أو ذلك المظهر الذي يقتضي إعادة استعمال صيغ سطحية ، تملأ بتعابير مختلفة)) [٢].

فتكرار مجيء بُنى تركيبية متوازية يؤدّي وظيفة المحافظة على استمرارية التنغيم الصّوتي داخل النّص ، فهو يجعل النثر يقترب في إيقاعه من الوزن الشعري ، ويعمل كذلك على خلق أُلفة لدى المتلقي على مستوى الشكل[٣] ، كقوله – تعالى– ﴿ وَآتَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَبِينَ (١١٧) وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ الصافات/ ١١٧–١١٨ ، فهذا((التشابه بين التراكيب المتوازية يخلق نوعاً من التوحّد يشي بترابط النّص)). [٤]

هذه هي وسائل السّبك (النحوي والمعجمي والصّوتي) التي يكاد يتّفق عليها أغلب الباحثين في علم لغة النّص ، مع وجود قَدَر كبير من المفاهيم والاتجّاهات التي لا يتّفقون عليها إلا بقدر ضئيل ؛ بسبب تشعّب هذا العلم إلى حدّ بعيد [٥].

وسيتمّ تعرّف مظاهر السّبك وأدواته في رسائل ابن الأثير في المباحث اللاحقة لهذا المبحث إن شاء الله (تعالى) .

---

[١]) بعض الباحثين جعلوا التوازي التركيبي في السّبك النحوي ؛ إذ فيه تكراراً للبنية النحوية ، ولكن ذلك لم يمنعهم من بيان التماثل الصوتي في هذه التراكيب والذي يحقق بدوره تماسكاً صوتياً .ينظر: (نظرية علم النّص : ١٠١ ، والبديع بين البلاغة العربية واللّسانية النّصيّة : ١٢٦ ، وعلم لغة النّص والأسلوب / ٥٥)

[٢]) لسانيات النّص ، مدخل نظري إلى انسجام الخطاب /٢٢٩–٢٣٠

[٣]) ينظر : علم لغة النّص ، النظرية والتطبيق / ١٣١

[٤]) نظرية علم النّص / ١٠٠

[٥]) ينظر: علم لغة النّص ، المفاهيم والاتجاهات / ١٧

المبحث الثاني

السّبك النّحوي في رسائل ابن الأثير

يتحقّق السّبك النحوي في رسائل ابن الأثير عن طريق مجموعة من الوسائل، هي :-

أولا:- الإحالة

ثانيا:- الربط بالأداة

ثالثا:- الحذف

رابعا:- الاستبدال

أولاً:- الإحالة :-

للإحالة أثر كبير في ربط أجزاء الجملة الواحدة من ناحية، وربط العديد من الجمل بعضها مع بعض ، إذ يتكوّن نصّ كامل مترابط الأجزاء بوساطتها من ناحية أخرى.

وقد تنوّعت وسائل الإحالة في الرسائل ، فهناك إحالة الضمائر ، وهي تعدّ المصدر الرئيس في الإحالة ، وأدواتها هي الضمائر :(أنت، أنا، نحن، هو، هي...) ، والضمائر المتّصلة هي (ياء المتكلم ، كاف الخطاب ، هاء الغيبة ، تاء الفاعل ، واو الجماعة ...).

وهناك إحالة بأسماء الإشارة ،والأسماء المحولة ، وبعض العناصر المعجمية ، والظروف. وسيتم تسليط الضوء على كلّ عنصر من هذه العناصر إن شاء الله (تعالى).

١- الإحالة بالضمائر :-

الضمير عند النّحويين العرب هو الأصل في الرّبط بين الجمل ؛ لأنّ الجملة في الأصل كلام مستقل ، فإذا ما قَصَد المتكلم جعلها جزءاً من الكلام فلا بدّ من رابطة تربطها بالجزء الآخر ، وتلك الرابطة هي الضمير ، إذ هو الموضوع لمثل هذا الغرض [١].

[١]) ينظر: الربط بين الجمل في اللّغة العربية المعاصرة / ١٢٤

((فتشكيل المعنى أو إبرازه يعتمد على وضع الضمائر داخل النّص ، إذ إنّ هذه الضمائر من بين الوسائل التي تحقق التماسك الداخلي والخارجي . ومن ثم أكد علماء النّص أن للضمير أهمية في كونه يحيل إلى عناصر سبق ذكرها في النّص)) [١].

تكوّن الإحالة بالضمائر النسبة الأكثر حضوراً في رسائل ابن الأثير ، فهي تعمل على ربط أطراف الرسالة الواحدة بما تحويه من مراجع رئيسة ومراجع ثانوية داخل النّص، وتعمل كذلك على ربط النّص بالسياق (المنتج، والمتلقي) بوساطة الإحالة الخارجية.

ففي الرسالة رقم (١) بلغت مجموع الضمائر المحيلة (١٩٦) ضميراً، مكوّنة شبكة من الإحالات الرئيسة والفرعية التي تقوم بالربط عبر استمرار المعنى ، من دون التصريح بالمراجع التي تحيل عليها مرّة أخرى تجنّباً للتكرار .

فهناك (٦٢) ضميراً من هذه الضمائر يعود للمرسل إليه من أول الرسالة إلى آخرها، فهو يقول في بداية رسالته بعد ذكر المودّة وبذلها لأخيه : ((وكنت بذلتها للأخ السيد الجليل مؤيد الدين ملأ الله يده بعطائها)) [٢] ، ثم يستمر بإعادة هذا المرجع (مؤيد الدين) في الرسالة عن طريق الضمائر :(كشف لنفسه ... يلائم حاله في قدم صدقه ... اختياره جوار الله ....إقباله على العزلة... وما كان(...) ليصبر .... إلا ليرقى(...) عند الله ... تشهد له... شهدت عليه ... فلا يعرى بمفارقته ... وقد نبذه خلف ظهره ...ولا شك أن يقينه ...يجعله... تجارته... يكفيه... رحله... ينبغي له...حجه...فكأنه...عليه...تجارته...فيه...به... أبيه... عليه ... إياه... منه ...إليه ... له ... داره ...قصده...) [٣] .

فكلّ هذه الضمائر تُحيل إلى مرجع واحد وهو الشخص المرسَل إليه (مؤيد الدين) ، وهو المفسّر لكلّ هذه الضمائر التي تكتسب أهميتها بصفتها نائبة عن الاسم (اسم

---

١) علم اللّغة النّصّي بين النظرية والتطبيق ١٦١/١

٢) رسائل ابن الأثير / القيسي ، هلال / ١٣٩

٣) المصدر نفسه / ١٣٩- ١٤١

المرسَل إليه) . فالضمير نفسه مبهم يحتاج إلى ما يفسّره ، وبالعودة إلى مرجع ذلك الضمير يرتفع هذا الإبهام.

ومن المعلوم أنّ الغرض من الربط بالضمير هو الاختصار وأمن اللبس بالتكرار وإعادة الذكر ، فوجود الضمائر يشير إلى تعلق الجمل بصاحب الضمير ، ولولا وجود الضمائر لنشأ لبس في فهم الانفصال بين الجمل [١]، ولملّ القارئ من كثرة تكرار ما يعود إليه الضمير.

فهي تعمل على تنظيم أجزاء الجملة الواحدة ، بل إنها تنظم تتابع الجمل بعضها ببعض حتى يكون الخطاب كلاً موحداً .

والملاحظ أنّ الكاتب يعدل في نهاية الرسالة عن الإحالة بضمير الغائب إلى الإحالة بكاف الخطاب فيقول: (وقد نظرت إليك ... فوجدت محتدك ...ومنشأك مصريّاً ... وبغيرك يا أخي ...) [٢]، فيتحول من الإحالة النّصية إلى الإحالة خارج النّص ، فيعتمد بذلك إلى ربط النّص بالسياق (المنتج والمتلقي) .

وعلى الرغم من هذا فإنّ قلب اتّجاه الإحالة لا يفكّك وحدة النّص وبنيته الدّلالية ؛ ((فالإحالة علاقة دلالية ومن ثم لا تخضع لقيود نحوية ، إلا أنّها تخضع لقيد دلالي وهو وجوب تطابق الخصائص الدلالية بين العنصر المحيل والعنصر المحال إليه))[٣].فوحدة المرجع هي الحاكمة على صحّة الإحالة .

لكن هذا لا يعني أنّ الإحالة المقامية والإحالة النّصية متساويتان في دورهما في سبك النّص ، فالإحالة المقامية ((تساهم في خلق النّص ، لكونها تربط اللّغة بسياق المقام، إلا أنّها لا تساهم في اتّساقه بشكل مباشر ، بينما تقوم الإحالة النّصية بدور فعال في اتّساق النّص)) [٤].

والملاحظ أنّ ابن الأثير يعمد إلى العدول عن الإحالة من ضمير الغائب إلى

---

١) ينظر : نظام الإرتباط والربط في تركيب الجملة العربية / ١٥٣

٢) رسائل ابن الأثير / القيسي ، هلال / ١٤١- ١٤٢

٣) لسانيات النّص ، مدخل نظري إلى انسجام الخطاب / ١٧

٤) المصدر نفسه / ١٧- ١٨

كاف الخطاب في أكثر من رسالة ، ففي الرسالة رقم (٢) يخاطب المتلقي بضمير الغائب بعد أن يذكره في بداية الرسالة ، فالكلمات (صدره – أمره– نحره– دهره– نذره –شريكه – شخصه) تحيل إلى المتلقي ، ثم يعدل عن هذا الأسلوب إلى أسلوب الخطاب المباشر بكاف الخطاب (منك – دونك – فيك – لمثلك – عليك – قدحك – سرحك – أنت – سلطانك – شانك – أمرك – نهرك) [١].

ولا يقتصر ابن الأثير في هذا الأسلوب على خطابه المتلقي فقط ، بل حتى عندما يتحدّث عن نفسه في بعض رسائله يعدل في الإحالة عن ضمير الغائب إلى ياء المتكلم ، ففي الرسالة رقم (٧) يفتتح الرسالة بقوله : ((كتب الخادم هذا الكتاب ليلاً وخاطره يغنيه عن الاستضاءة بمصباح)) [٢] ، ويستمر بالإحالة إلى كلمة (الخادم) بضمير الغائب (انّه – يديه – ينبّه – ينظر – يستملي) [٣] ، ثم يعدل فجأة إلى الإحالة بياء المتكلم والضمائر المنفصلة ، فيقول (قلبي – أعانيه – بيني– تجعلني – لي – أنا – منّي) [٤] ، ولعلّ ذلك لقصدٍ منه في العدول من الخطاب غير المباشر إلى الخطاب المباشر.

---

١) رسائل ابن الأثير / المقدسي / (٣٠١– ٣٠٢)

٢) المصدر نفسه / ٩١

٣) ينظر : المصدر نفسه / الموضع نفسه

٤) ينظر : المصدر نفسه / ٩٢

سلسلة الإحالة الرئيسة والفرعية:-

إنّ البنية الإحالية لأي نصّ تتّصل اتّصالاً وثيقاً بالبنية الدلالية له ، ففي كلّ نصّ لا بدّ من وجود بؤرة واحدة ، أو بؤر متعدّدة تعود إليها الإحالات في النّص ، مع وجود إحالات لمراجع ثانوية تعود بصورة غير مباشرة إلى البؤرة أو البؤر الأساس .

والرسائل – بصفة عامة – هي نصوص موجهة من شخص إلى شخص معين آخر، تحمل غرضاً أو أغراضاً محددة ، وهذا الهدف أو الأهداف هو المرجع الذي يستقطب النسبة الأكبر من الإحالات الضميرية – بوصفها أكثر الإحالات حضوراً في الرسائل – مكوّناً بذلك سلسلة من الإحالات التي تعود كلِّها الى مرجع واحد يمثل بؤرة النّص ، وبقية الإحالات تتوزع في الإحالة على عناصر ثانوية تابعة للبؤرة الأساس بصورة غير مباشرة.

وفي رسائل ابن الأثير نجد أن بناء هيكل الإحالات جاء متلائماً مع الغرض الذي تحمله الرسالة ، بحسب الأهمية التي يوليها الكاتب لمرجعيات كلامه الرئيسة .

ففي الرسالة رقم (١٢) – وهي رسالة كتبها إلى أحد الإخوان يعزيه بأخيه – بلغ مجموع الضمائر الإحالية في الرسالة (٤٩) ضميراً ، (١٧) ضميراً منها يحيل إلى (الشخص الميت) (انّه – يمضي (...) – له – عليه – منه – أوطانه – فقده – إخوانه – انّه – فيه) [١].

وبلغت الضمائر المحيلة على شخص المتلقي (١٢) ضميراً الذي عبّر عنه بضمير الغائب (عمله – جبله – فجعة – خوله – أبقاه- يتملّى(...)- نفسه – علله).[٢]

وفي الرسالة رقم (١٩) وهي التي أنشأها في وصف مجلس شرب ، بلغت مجموع الضمائر الإحالية في الرسالة (١٠٧) ضمائر ، جاءت (١٠) ضمائر منها لوصف اليوم الذي عقد فيه المجلس :(به – نحوه – لذكراه – يعدله – كفته – قضيته – عليه). [٣] و(٢٧) ضميراً محيلاً إلى الأصدقاء وعصبة المجلس :(عليهم – صوراً

---

[١]) ينظر :رسائل ابن الأثير / المقدسي / ٢٣٧- ٢٣٨

[٢]) ينظر : المصدر نفسه / ٢٣٨

[٣]) ينظر : المصدر نفسه / ٧٢- ٧٣

– نسبوا – امتزجوا – حضروا – مجالسهم – كنا – تفقهنا – تعاشرنا – تخرقنا – تواسينا –أمرنا)[1] ، و(١٦) ضميراً محيلاً إلى الخمرة (اسمها – عزّت (...) – بها – لها – عليها – شأنها – كأسها – تُزف (...) – تُغترس (...) – غرستها) [2]، و (١٧) ضميراً أحال إلى الساقي (يؤنث (...) – يذكر (...) – يصغر (...) – يكبر (...) – يقدر (...) – حسنه – منظره – ينتقل (...) – بريقه – صفوه – يسعى (...) – طرفه) [3].

ويبدو أن عنصر الوصف في الرسالة هو الذي جعل الضمائر تتوزّع بصورة تكاد تكون متقاربة وذلك لضمان تغطية شبكة الإحالات للعناصر الرئيسة التي تتكوّن منها لوحة الوصف.

وهكذا في أغلب الرسائل تتوزع الضمائر الإحالية بحسب أهمية المرجع ، وكما هو مبين في الجدول رقم (١)

رقم الرسالة	موضوع الرسالة	المرجع الرئيس الأول وعدد إحالاته	المرجع الرئيس الثاني وعدد إحالاته	إحالات ضميرية فرعية	العدد الكلي للإحالات الضميرية
١	موعظة وبيان مودة	المتلقي (٦٢)	المنتج (٣٣)	١٠١	١٩٦
٣	شوق وشكوى من الزمن	المنتج (٣٩)	المتلقي (٢٨)	٢٢	٨٩
٤	شكوى من المكان	المكان (٣٤)	المنتج (٣١)	٢٨	٩٣
١٠	تهنئة بالحج	المتلقي (٢٦)	.....	٣٤	٦٠
١٢	تعزية	المتوفى (١٧)	المتلقي (١٢)	٢٠	٤٩
١٣	شكرا على هدية (سجادة)	السجادة (١٢)	.....	١٥	٢٧
١٧	فخر واستنكار على المتلقي	المنتج (٣٥)	المتلقي (٣٢)	٥٦	١٢٤
١٩	وصف مجلس شرب	الخمر والساقي (٣٣)	اصدقاء المجلس (٢٧)	٤٧	١٠٧
٢٤	وساطة في احد الاشخاص عند احد الملوك	صاحب الحاجة (٢٨)	الملك (٢١)	٣٠	٧٩

جدول رقم (١)

[1]) ينظر :رسائل ابن الأثير / المقدسي / ٧٣

[2]) ينظر : المصدر نفسه / ٧٣

[3]) ينظر : المصدر نفسه / ٧٣

نلاحظ أن كثافة الضمائر التي تحيل إلى مرجع رئيس واحد أو مرجعين تعمل على تكوين نسيج نصي مترابط الأجزاء، وكذلك الإحالات الفرعية فهي وإن كانت تحيل إلى عناصر فرعية متعددة ، إلا أن هذه العناصر تعود بصورة غير مباشرة إلى المراجع الرئيسة .

٢- الإحالة بالإشارة :-

تُعدّ أسماء الإشارة من العناصر المهمّة في سبك النّص ، فهي تتجاوز الربط بين عناصر الجملة الواحدة إلى الربط بين عناصر منفصلة ومتباعدة في النّص.

وإذا كانت الضمائر تسجّل النسبة الأكثر حضوراً في النّص ، فإنّ أسماء الإشارة تعد عنصراً قوياً وفعّالاً في النّص ، تكاد توازي في عملها عمل الضمائر ، إذ يمكن استعمال أسماء الإشارة استعمالا مكثّفا ، أي مشيراً إلى عدد كبير من الأحداث السابقة له ؛ رغبة في الاختصار، أو اجتناباً للتكرار .[١]

فهي تربط جـزءاً سابقاً من النّص بجزء لاحق ، وهو ما يسميه هاليداي ورقية حسن (الإحــالة الموسّـعة) ، أي إمكانية الإحـالة إلى جملة بأكملها ، أو متتالية من الجمل [٢].

وفي رسائل ابن الأثير عملت أسماء الإشارة على ربط أجزاء النّص عن طريق الإحالة إلى كلمات مفردة أو الإحالة إلى جملة أو إلى أكثر من جملة .

ففي الرسالة رقم (٢) يقول ابن الأثير:((وعلاقات الدنيا مرض ، فمن شاء فليزدد من ذلك المرض))[٣].

فاسم الإشارة (ذلك) جاء محيلاً إحالة قبلية إلى كلمة (مرض) السابقة ، وهو ليس أي مرض ، وإنّما ذلك المرض الذي قصد به (علاقات الدنيا).

---

١) ينظر : علم لغة النّص والأسلوب / ٣٧- ٣٨

٢) ينظر: لسانيات النّص ، مدخل نظري إلى انسجام الخطاب / ١٩

٣) رسائل ابن الاثير /المقدسي /٣٠٢

وفي الرسالة نفسها يقول:((وما زال للمملوك مقاصد في تهذيب الأصحاب ، وهذا التهذيب يسمّى رياضة)) [١] ، فعمل اسم الإشارة (هذا) على ربط الجملة السابقة باللّاحقة في ضوء إحالته على الكلمة المضافة (تهذيب الأصحاب) .

فأسماء الإشارة في هذه الأمثلة جاءت محيلة إلى كلمات مفردة أو مضافة ، على حين نجد في نماذج أخرى من الرسائل أنّ أسماء الإشارة تعمل على ربط الجمل في ضوء الإحالة على جمل كاملة . ففي الرسالة رقم (١) يقول : ((وقد نظرت إليك أيّها الأخ فوجدت محتدك غريباً مغربياً وذلك معدن النبوة والجفوة ،ومنشأك مصرياً وذلك مظنّة المذق تحت الرّغوة)) [٢] ، فجاء اسم الإشارة (ذلك) محيلاً إلى الجملة التي تسبقه في كلا الموضعين .

وفي رسائل أخرى يحيل اسم الإشارة إلى مجموعة جمل مترابطة ، فيعمل بذلك على ربط أجزاء كبرى من النّص فيما بينها ، فيجعل النّص كُلّا متماسكا .

ففي الرسالة رقم (٧) يصف ابن الأثير الشمعة فيقول :((وذاك أنّ لها قدّا أَلفِي القوام ، مشتبها في نحوله واصفراره بحال المستهام ، وهي والقلم سيّان في أنّهما إذا قُطع رأساهما صحّا بعد السّقام ، ومن عجيب شأنهما أنّ روحها تحيى بجسمها وبالأرواح تكون حياة الأجسام)) [٣]. ويستمر في وصف الشمعة ثم يقول: ((وهذا الوصف ...)) [٤]، فأحال باسم الإشارة (هذا) إحالة قبلية إلى فقرة وصف الشمعة التي تتكوّن من أكثر من جملة .

ويقول في الرسالة رقم (٣٣) : ((حللت أرضاً أضاءت آفاقها ، واتسعت أرزاقها ، يتهلل بها وجه الزمن العبوس ، وتذكر بأيام الجنة في جمع الشهوات للنفوس ، فاستعذبتها مورداً ومجنى ، واتّخذتُ بها رغد العيش ذخيرة ليس تفنى ، ويزين ذلك

---

١) رسائل ابن الأثير / المقدسي / ٣٠١

٢) رسائل ابن الأثير / هلال / ١٤١

٣) رسائل ابن الأثير / المقدسي / ٩١

٤) المصدر نفسه / الموضع نفسه

إنّي في خدمة ملك))[1] . فاسم الإشارة (ذلك) يحيل إحالة قبلية على مجموع الجمل السابقة .

وفي موضع آخر نجد أنّ اسم الإشارة يعمل على ربط كلّ الرسالة بخاتمتها ، ففي الرسالة رقم (١٠) التي كتبها ابن الأثير إلى بعض الإخوان يهنيه بالحجّ يقول في نهايتها: ((وهذه الأسطر توجهت إليه)) [2] ، فيحيل باسم الإشارة (هذه) على مجموع الرسالة فيتعمد بذلك إلى ربط مضمون الرسالة بخاتمتها .

وقريب من هذه الوظيفة ما يؤديه اسم الإشارة (هذا) من دور في التهيئة للانتقال من موضوع إلى آخر ، وهو ما يعرف بـ (فصل الخطاب). [3]

فالمنتج يعمد إلى جعل اسم الإشارة (هذا) حلقة وصل بين سلسلتين دلالتين في النّص ، فيكون انتقال المتلقي من هذه السلسلة إلى هذه السلسلة بواسطة هذه الأداة التي أحكمت الربط بين هاتين السلسلتين .

ومنه ما ورد في الرسالة رقم (١٩) التي يصف فيها مجلس شرب ، فهو يستغرق في وصف المجلس والخمر والساقي والجلسة ثم يقول :((هذا والوقت جنح للأصيل فرقت حواشيه)) [4]، فانتقل بالقارئ من وصف الجلسة وعناصرها إلى بيان الوقت وسيرورته بوساطة اسم الإشارة (هذا).

نلاحظ أنّ الربط بأسماء الإشارة في الرسائل يختلف من حيث المدى ، فبعضها يحيل على كلمات مفردة وبعضها يتوقف عند حدود الجملة الواحدة ، وبعضها يتجاوز الجملة الواحدة إلى مجموعة من الجمل ، وبعضها يتجاوز مجموعة الجمل إلى سائر الجمل في النّص فيربط بين المفاصل الدّلالية في النّص .

---

[1]) رسائل ابن الأثير / القيسي ، هلال/ ٦٤

[2]) رسائل ابن الأثير / المقدسي / ١٨٠

[3]) ينظر:البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النّصية / ١٧١

[4]) رسائل ابن الأثير / المقدسي / ٧٤

٣- الإحالة بالاسم الموصول :-

((الموصول هو الاسم الذي يفتقر إلى عائد أو خلفه وهو الاسم الظاهر – وإلى جملة صريحة أو مؤولة)) [١].

وسُمّيت الأسماء الموصولة بهذا الاسم ؛ لأنّها توصل بكلام يأتي بعدها يسمّى جملة الصّلة ، وهو من تمام معناها [٢] .

فالأسماء الموصولة وسيلة من وسائل السّبك النّصي ؛ لأنّه يستلزم وجود جملة بعده. وقد يعطف على هذه الجملة بالعديد من الجمل ؛ فيطول الكلام ويكون نصّاً كاملاً ويظلّ مرتبطاً كلّه بالاسم الموصول الأول وعلى ما يعود عليه.

فهو ((من الأدوات التي تشد من أزر التلاحم النحوي بين ما تقدم ذكره ، والعلم به ، وما يراد من المتكلم أن يعلم به ، أو يضمه إلى ما سبق من العلم به)) [٣].

وقد أدت الأسماء الموصولة دوراً مهماً في ترابط نصوص الرسائل في ضوء قيامها بالربط بينها وبين ما تحيل إليه متقدماً كان أو متأخراً .

كالذي ورد في الرسالة رقم (٢) :((وقد أُنهي إلى خبر النكبة التي ألمّت بفلان)) [٤]، وقوله في الرسالة نفسها : ((ولا يستثني من هذا الكلام إلا خلّتي التي لا يخطر مثلها على بال)) [٥]. فالاسم الموصول (التي) عمل على تقوية المعنى في كِلا المقطعين وذلك بإحالته السابقة على (النكبة) و(الخلّة).

وفي الرسالة رقم (٣) يقول : ((ويكفي من شوائبه بُعد سيدنا الذي طيّب الحياة في قربه)) [٦]، وفي الرسالة رقم (١٢) يقول ((وهكذا أهل السعادة ، تستوحش لهم الدنيا وتأنس بهم الآخرة ، وهم الذين يتمنّون إعلام قومهم)) [٧] .

فالاسمان الموصولان (الذي– الذين) ربطا السابق باللّاحق وأحالا عليه ، وقاما

---

١) معجم المصطلحات النحوية والصرفية / ٢٤٣

٢) ينظر : الموصولات في اللّغة العربية ، التأصيل والإحالة / ٥

٣) في اللسانيات ونحو النّص / ٢٣٠

٤) رسائل ابن الأثير / المقدسي / ٣٠١

٥) المصدر نفسه ، الموضع نفسه

٦) رسائل ابن الأثير / هلال / ١٢٣

٧) رسائل ابن الأثير / المقدسي / ٢٣٨

بتعويضه واختزاله ، فبدلاً من تكرار كلمة (سيدنا) ، أو (أهل السعادة) أحال عليها بالاسم الموصول ليصنع بهذه الأداة تماسكاً دلالياً يكتشفه القارئ برجوعه إلى الكلمات السابقة ليبحث عمّا يرفع إبهام هذه الأداة .

وليس ذلك في الإحالة القبلية فحسب ، بل في الأسماء الموصولة التي تحيل على لاحق تجعل المتلقي يتطلع إلى مايرفع الإبهام في الاسم الموصول ، كقوله في الرسالة رقم (٤) : ((فما ظنّك بمن يصطلي نار الأشواق وقد تمنّع من أخيه بنجوى الأوراق))[١]، وقوله في الرسالة رقم (٣٣) : ((ولا أسبابه مما يقدح فيها كذب ولا نميمة)) [٢] .

لذلك يرى بعض العلماء في الاسم الموصول ضرباً من التعريف ، أو ضرباً من الإحالة بالضمير ، لكونه يشبه الضمير في أنّه يحتاج إلى ما يفسّره [٣].

وأغلب إحالات الأسماء الموصولة في رسائل ابن الأثير (موضوع الدراسة) جاءت نصّية ، ولا يوجد فيها إحالات مقامية (خارج النّص)، إلا في بعض الرسائل ، كالرسالة رقم (١) يقول فيها :((ولست بالذي أسامح أخا المودة)) [٤]، فهو يحيل فيها على نفسه ، فيعمل بذلك على ربط النّص بسياقه .

٤- الإحالة بالظرف :-

هناك بعض الإحالات الإشاريّة الظرفيّة التي وظّفها ابن الأثير في بناء نصّه مثل : (الآن ، هنا ، هناك ، بعد ، عند ، حينئذ ، يوم).

فقد عملت هذه الأدوات على تنظيم فضاء النّص في ضوء ترتيب الأحداث وتسلسلها، وذلك بربط الجمل بعضها ببعض ، وربط النّص بسياقه المصاحب بالإحالة على مكان أو زمان معين .

---

[١]) رسائل ابن الأثير / القيسي ، هلال / ١١٩

[٢]) المصدر نفسه / ٦٣

[٣]) ينظر: في اللسانيات ونحو النّص / ٢٢٣. وقد جعل الدكتور تمّام حسّان الاسم الموصول من ضمائر الغيبة . ينظر : (اللّغة العربية معناها ومبناها / ١٠٩)

[٤]) رسائل ابن الأثير / هلال / ١٤١

فالظرف (يوم) جاء في الرسائل محيلا على أوقات ومعانٍ مختلفة يكشف عنها السياق اللّغوي وغير اللّغوي .

فقد جاء محيلا على الزمن الذي كتبت فيه الرسالة ، كما ورد في الرسالة رقم (١) ، حين يعبر عن أشواقه إلى أحد أصدقائه. يقول : ((وقد كانت في غلوائها على يأس من اللقاء ، فكيف اليوم وأنا له راج)) [١] . فهو يعمد إلى ربط النّص بزمن الحدث ؛ فتترابط عناصره باعتماد عامل الزمن مع المنتج أو المتلقي [٢].

((ويمكننا التعرّف على الغاية والغرض أو سبب الحدث الكلامي من خلال معرفتنا للزمن الذي حدث فيه الكلام)). [٣]

وقد يحيل الكاتب على زمن الحدث بغير لفظة (يوم) ، وهو يتحدث عن صلاة الجمعة ، يقول :((وهي الآن مقصورة على يوم الجمعة)) [٤]. فلفظة (الآن) ظرف يحيل إلى زمن الكاتب .

ونجد في رسالة أخرى يستعمل لفظة (يوم) في الإحالة على يوم القيامة ، كما ورد في الرسالة رقم (١٠) : ((وألحقه بدرجة من يسعى نوره بين يديه يوم يُسأل في اقتباس النور))[٥] ، اعتماداً على ثقافة المتلقّي القرآنية ، ومعرفته بالآية الكريمة : ﴿ يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ ﴾ الحديد /١٢.

وكذلك في الرسالة رقم (٣٦) يقول: ((وينفع به يوم يقول القائل فما لنا من شافعين ، ولا صديق ولا حميم))[٦].

فهذه الإحالات الخارجية تسهم في خلق النّص ؛ لأنها تربط اللّغة بسياق المقام . على حين تقوم الإحالات الإشارية الظرفية النّصية بدور مهم في سبك النّص في ضوء الربط بين أجزاء الجمل . وقد تقوم بدور الربط المكثف وذلك بالإحالة على

---

١) رسائل ابن الأثير / هلال / ١٤١

٢) ينظر: نسيج النّص / ٧٢

٣) عناصر تحقيق الدلالة في العربية / ١٧٥

٤) رسائل ابن الأثير المقدسي /١٢٥

٥) المصدر نفسه /١٧٩

٦) رسائل ابن الاثير / القيسي ، هلال / ١٢١

العديد من الجمل التي تصف موقف معين ، فيختزله الكاتب في لفظة ، أو لفظتين ، كما ورد في الرسالة رقم (١٨) ، إذ أحال بالظرف (يوم الروع) إلى العديد من الجمل التي تصف هذا اليوم ، فهو يوم ((تفرقت العساكر في مرتبعها ، وتناقلت عن مجتمعها ، فعلم العدو من أخبارها ، ما بعثه على غزوها في عقر دارها ... فنزعت يوم الروع أسنتها ، وأمسكت أعنتها))[١].

وكذلك في الرسالة (٣٦) أحال الكاتب بالظرف (حينئذ) إلى العديد من الجمل ، إحالة قبلية ،حيث يقول :((ولم تزل المراسلات تتكرّر ، والقواعد تتقرّر ، والبيعة على هذا الأمر منتظمة ، والحال فيها منكتمة ، حتى صرخ الشيطان على عقبتها ، وأظهر العدو على حصّتها ، فحينئذٍ وقعت الهجرة إلى هذا الجانب))[٢] ، فالكاتب يرسم صورة للزمن مكوّنة من عناصر مختلفة متظافرة فيما بينها ، ثم يحيل على هذه الصورة بلفظ واحد ، وهو الظرف (حينئذٍ) إحالة مكثفة.

وهكذا نلاحظ أنّ الإحالة الظرفية المقامية أسهمت بخلق النّص وذلك بربطه بالسياق ، وعملت الإحالات الظرفية النّصية على سبك النّص في ضوء إحكام الربط بين أجزائه.

٥- الإحالة بعنصر معجمي :-

وردت في رسائل ابن الأثير بعض العناصر المعجمية التي تمتلك خاصّية الإحالة ، وهي وإن كانت قليلة جدّاً مقارنة بوسائل الإحالة الأخرى ، إلا أنّه لا بأس من الإشارة إليها ؛ لكونها تدخل في ضمن العناصر التي تعمل على ربط أجزاء النّص .

ومن هذه العناصر لفظة (كل) ، وهي كسابقاتها من الوسائل لا تمتلك دلالة بنفسها ، بل تحتاج إلى ما يفسّرها ويرفع إبهامها ، وهذا ما يساعد عليه السّياق اللّغوي ، وذلك بالرّجوع إلى سلسلة الجمل القبلية أو البعدية .

---

١) رسائل ابن الاثير / القيسي ، هلال / ١١٦-١١٧

٢) المصدر نفسه / ١٢١

مثل ما ورد في الرسالة رقم (٣) إذ يقول :((وممّا شجاني أنّ عيني وقلبي يتخاصمان في محضرة ومغيبة ، فكلّ منهما سيلقى صاحبه بدعوى تكذيبه)). [١]
فالعنصر المعجمي (كل) أحال إحالة قبلية إلى (العين والقلب) ، وبذلك عمل على ربط أجزاء النّص ببعضها .
ومثل ذلك ما ورد في الرسالة (٢٨) إذ يقول:((وسَرَت بشاشته في النّاس حتّى كأنّ كُلاً منهم هو الوليُّ الحميم)) [٢] ، إذ أحالت كلمة (كُلاً) على النّاس .
وهكذا نلاحظ كيف أنّ هذا العنصر المعجمي ساهم في سبك النّصوص.

أنواع الإحالات في رسائل ابن الاثير

رقم الرسالة	إحالة نصّية قبلية					إحالة نصّية بعدية		إحالة خارجية	المجموع
	ضمير	اسم الإشارة	اسم موصول	ظرف	عنصر معجمي	اسم موصول	اسم إشارة	ضمير	
١	١٤٩	١٢	١٨	٥	--	--	١	٤٨	٢٣٣
٢	١٤٤	٧	٦	--	--	٨	--	١	١٦٦
٣	٦٠	٦	٤	١	١	١	--	٣٥	١٠٨
٤	٨٣	٣	٨	٢	٣	١	١	٢٧	١٢٨
٥	٩٧	٢	٩	٢	--	--	--	٢٣	١٣٣
٦	٦٧	٢	٤	٣	٢	١	--	٣٣	١١٢
٧	٧٤	١١	٦	٢	--	--	١	١٤	١٠٨
٨	٥٩	٥	١٢	١	--	--	--	٩	٨٦
٩	٤٣	١٠	٦	١	--	١	--	٩	٧٠
١٠	٦٤	٣	٦	٢	--	--	٣	--	٧٨
١١	٥١	١٠	٥	١	--	٣	--	١٦	٨٦
١٢	٤٨	٥	٣	--	--	٨	١	٣	٦٨
١٣	٢٥	٢	١	--	--	--	--	٢	٣٠
١٤	٣٣	٦	١	--	--	٢	--	--	٤٢
١٥	٥٦	١١	٢	١	--	٥	--	٣	٧٨
١٦	٥٨	٩	١	--	--	١	--	--	٦٩

[١]) رسائل ابن الأثير / هلال / ١٢٣
[٢]) رسائل ابن الأثير / المقدسي / ٣٢٠

١٧	٨٩	١٣	٣	٥	--	٧	١	٣٥	١٥٣
١٨	٦٨	٨	٤	٢	٤	٣	١	٢٣	١١٣
١٩	٨٢	٤	٥	٤	--	٤	--	٢٥	١٢٤
٢٠	٨٥	١٢	٥	٢	١	٦	١	٣٠	١٤٢
٢١	٤٥	١١	٦	--	--	٤	--	١٤	٨٠
٢٢	٥١	٥	٣	١	٢	٣	--	١٣	٧٨
٢٣	٨٤	٨	١٣	--	--	--	--	--	١٠٥
٢٤	٧٩	٣	٥	--	--	٢	--	--	٨٩
٢٥	٣٥	٣	١	--	--	--	--	--	٣٩
٢٦	٩٦	٩	٢	--	١	٣	--	--	١١١
٢٧	١٠٢	١١	٩	٢	--	١١	--	--	١٣٥
٢٨	٨٣	٩	٥	١	١	٢	--	--	١٠١
٢٩	٦٢	١١	٧	--	--	٨	١	--	٨٩
٣٠	٦٢	٩	٦	٣	--	٤	--	--	٨٤
٣١	١٣٦	١٥	٢٤	٤	١	١١	--	٣٣	٢٢٤
٣٢	١٢٨	٧	٩	٤	--	١٣	--	٣	١٦٤
٣٣	٥٩	٦	١	١	--	١	--	٣٦	١٠٤
٣٤	١٠٧	٦	٤	٢	--	٨	--	--	١٢٧
٣٥	١٠٨	٦	٧	٢	١	٨	--	--	١٣٢
٣٦	٥٠	٦	٤	١	--	٣	--	--	٦٤
٣٧	٦٢	٢	١٠	--	--	٣	--	٢	٧٩
٣٨	٧٤	٨	٥	٣	١	--	--	--	٩١
٣٩	١٠٤	١٣	١٥	٥	١	١١	--	١٤	١٦٣
٤٠	٨٣	٥	٧	٢	--	٤	--	--	١٠١
المجموع الكلي	٢٨٩٦	٢٩٤	٢٥٢	٦٥	١٩	١٥٠	١١	٤٥١	٤١٣٨

جدول رقم (٢)

من الجدول السابق يتبيّن لنا :

١- تتفاوت نسبة الإحالات في نصوص الرسائل تبعا لطول نصّ الرسالة ، أو قصره ، إذ نجد أنّ الرسائل الطويلة تكون أكثر نسبة في الإحالات من الرسائل القصيرة.

٢- تكّون الإحالة النّصية (القبليّة والبعديّة) النسبة الأكثر حضوراُ في مجموع الرسائل من الإحالة الخارجية السياقية ؛ فالإحالة النّصية عنصر يدخل في سبك النّص ، بينما الإحالة الخارجية تعمل على ربط النّص بالسياق.

٣- تكّون الإحالة بالضمير أعلى نسبة في الحضور مقارنة بالإحالات النّصية الأخرى ؛ وذلك لما يمتلكه الضمير من قوّة في الربط بين الجمل ، فهو الأصل في الربط بينها ، وهو الموضوع لمثل هذا الغرض .

ثانياً :- الربط بالأداة :-

يمثل الربط بالأداة وسيلة من وسائل السبك النحوي في النصوص ، على أساس أن النّص ((عبارة عن جمل أو متتاليات متعاقبة خطيّاً ، ولكي تدرك بوصفها وحدة متماسكة تحتاج إلى عناصر رابطة متنوعة تصل بين أجزاء النّص)) [١] .

فهذه الأدوات هي التي تحدد الكيفيات التي يتم بها ترابط أجزاء النّص اللّاحقة بأجزائه السابقة ، وذلك باختلاف الوظائف التي تؤديها هذه الأدوات ، فمنها ما يؤدي وظيفة الربط الإضافي ، ومنها ما يؤدي وظيفة الربط الاستدراكي ، ومنها الربط السّببي ، ومنها الربط الزمني ، وسيتم بيان هذه الأدوات التي تؤدي هذه الوظائف في رسائل ابن الأثير إن شاء الله (تعالى).

١- الربط الإضافي:-

تمثّل الربط الإضافي في رسائل ابن الأثير بمجموعة من الأدوات هي: (الواو ، الفاء ، أم ، أو ، ثم ، الكاف ، مع ذلك ، مع هذا ، فضلاً عن ، أيضاً ، وبعد).

فأسهم استعمالها بفعاليّة في بناء نصوص الرسائل بناءً متماسكاً في ضوء ربط الجمل ومجموع الجمل مع بعضها ، وكانت الواو أكثر أدوات الربط وروداً في الرسائل ؛ وذلك بحكم وظيفتها المتمثلة بالجمع بين التراكيب المستقلّة ، أو التّشريك في المعنى والإعراب . [٢]

---

[١]) لسانيات النّص ، مدخل نظري إلى انسجام الخطاب / ٢٣

[٢]) ينظر: الربط بين الجمل في اللّغة العربية المعاصرة / ١٣٣

ويظهر ذلك بصورة واضحة وجلية في مقدمات الرسائل التي يستغرقها ابن الأثير في الدعاء للمتلقي ، كما في الرسالة رقم (٣٥) : ((أدام الله سلطان الديوان العزيز النبوي ، وجعل دولته ديوان الفتوح ، ومعين النصر الممنوح ، وبسط يده في أعدائه وأوليائه بالدم المسفوك والنوال الممنوح ، ولا زالت أيامه للجدود مسالك ، وأبوابه للوفود مناسك ، وجنوده في الأرض أملاكاً وفي السماء ملائك))[١].

فعملت الواو على إشراك بعض التراكيب في المعنى ، وربط تراكيب أخرى بعضها ببعض ، وكما موضّح بالخطاطة الآتية :-

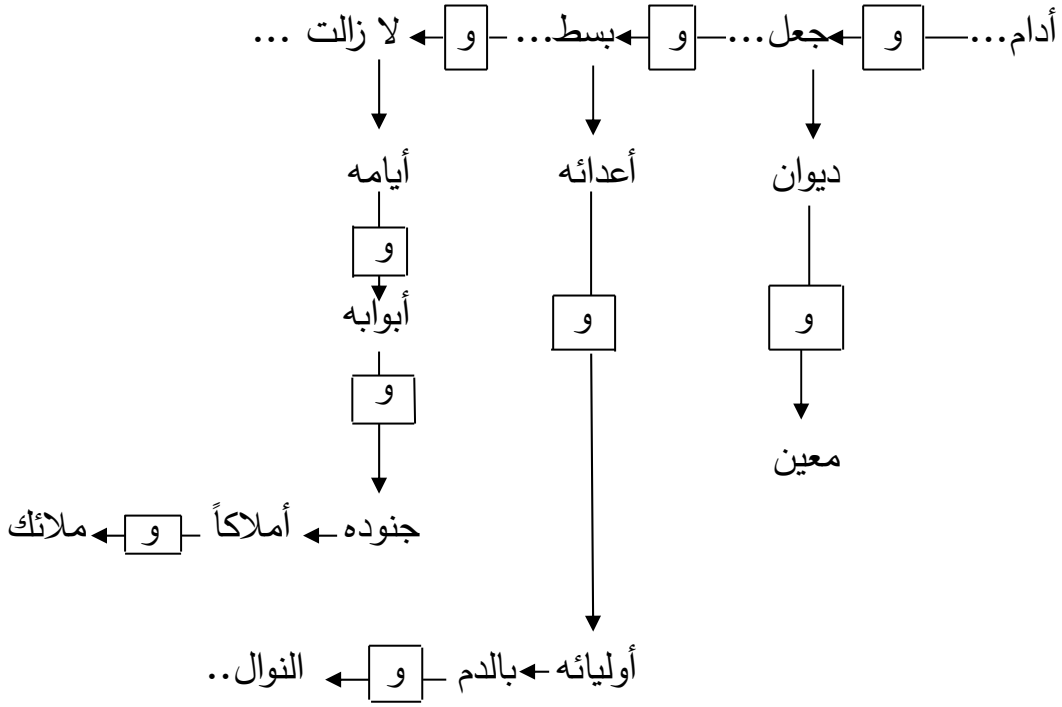

وكذلك ما ورد في الرسالة رقم (١٥) فهو يقول :((وكذلك فعل بكتاب المجلس السامي الفلاني ، متع الله عيشته بالصفاء ، ونعمته بالإصفاء ، ورفع درجته عن الأضراب والأكفاء ، وحباه من شكر الألسنة وود القلوب بالإبداء والإخفاء ، وجعل

[١]) رسائل ابن الأثير /القيسي ، هلال / ٧١

جدوده مستمدة من نوره الذي لا تطول إليه يد الإطفاء ، ولا زال ناكحاً عقيلة المعالي حتى يقال له في كلّ يوم بالبنين والرفاء)) [١] .

فاستعمال الواو يعمل على تقوية الأسباب بين الجمل ، وجعل المتواليات متصلة يبعضها ، ومن ثم فهو من العناصر الرئيسة في سبك النصوص .

أما بقية الروابط الإضافية ، فتأتي بعد الواو من حيث كثافة استعمالها في الرسائل ، وتختلف فيما بينها أيضاً في نسبة حضورها في بعض نصوص الرسائل تبعاً لما تؤديه من وظائف في النّص،وهي الفاء التي تدلّ على الترتيب والتتابع[٢].كما في الرسالة رقم(١٦):((ولكنّه شيء تضمّنه القلب فجرى على قسماته فتهللت أساريره))[٣]

و (أم) الدالة على الاستفهام للتعديد[٤] ، كما ورد في الرسالة (١٠): ((فأيّ زهرة به لم تخرج من حجابها ، أم أيّ تلعة لم تَسَل أندية شعابها ، أم أيّ خيمة لم تنزع أوتادها للقائه ، أم أيّ قليب لم تفض جمته لإسقائه))[٥].

و (أو) التي تفيد معنى التخيير[٦] ، كما ورد في الرسالة رقم (٩) :((الأحسن من هذا القول أن يورد على ممدوح من مادح ، أو على أخ صالح من أخ صالح))[٧].

و (الكاف) الدالّة على التشبيه[٨] ، التي تربط بين المشبه والمشبه به [٩]، كما ورد في الرسالة رقم (٧) :((وكما كانت الريح تتلعب بالشمعة فتنقلها من مثال إلى مثال ، فكذلك الشوق يتلعب بالقلب فينقله من حال إلى حال))[١٠].

---

١) رسائل ابن الأثير / المقدسي / ٢٩٥

٢) ينظر : حروف المعاني / ٣٩

٣) رسائل ابن الاثير / هلال / ٨١

٤) ينظر : حروف المعاني / ٤٨

٥) رسائل ابن الاثير / المقدسي / ١٧٩

٦) ينظر : حروف المعاني / ١٣

٧) رسائل ابن الاثير / المقدسي / ١١٥

٨) ينظر : حروف المعاني / ٣٩

٩) ينظر : دراسة لسانية للعلاقات النّصية في مطولات السيّاب / ١٥٦

١٠) رسائل ابن الاثير / المقدسي / ٩٢

و(ثم) التي تدل على الترتيب مع التراخي[١] ، كما في الرسالة رقم (٣) : ((وإنّما يبدأ من الأمر بميامنه ، ويستفتح بمحاسنه ، ثم بعده إلى السادة الباقين))[٢].
وهناك أدوات أخرى جاءت في رسائل ابن الاثير أسهمت بربط أجزاء النّص ربطاً إضافيّاً ، وهي (مع ذلك ، مع هذا ، فضلاً عن ، أيضاً ، وبعد) .
لكن حضورها قليل نسبيّاً إذا ما قورن بحضور الأدوات المذكورة آنفاً [٣].

٢- الربط الاستدراكي :-

وتعبّر عنه الأدوات (لكن ، بل) الدالّة على الاستدراك[٤] ، و (غير أن ، إلا أن) الدالّة على الاستثناء[٥] ، و (مع هذا) التي تدلّ من سياق الكلام على الاستدراك .
وكان ورود هذه الأدوات قليلاً في الرسائل ، ومنها ما ورد في الرسالة رقم (٢٢) :((واللسان في بسط القول له فصيح ، لكن المودّات لا تقتسر ، وما لم يأتِ مبتدأ من نفسه فلا يُنتظر)). [٦]
وقوله في الرسالة (١٧) : ((وكتاب المجلس لا يوصَف بما يوصَف الكتب بمثله ، بل يجعل له ما لمرسله من مزيّة فضله))[٧] .
وما ورد في الرسالة رقم (٤) :((فإنّ النار المعدة له تطلب من الدفء أيضاً ما أطلبه ، غير أني وجدت نار أشواقي إلى الحضرة الفلانية أشدّ حرّاً)). [٨]

---

١) ينظر : حروف المعاني / ١٦
٢) رسائل ابن الاثير / هلال / ٩٢
٣) هناك أدوات تعبّر عن وظيفتين مختلفتين في الربط ،مثل الأداتين (مع ذلك ،مع هذا) .فقد عبّرت عن وظيفة الربط الإضافي مرّة ، وعن وظيفة الربط الإستدراكي مرّة أخرى في الرسائل والمميّز بينها هو سياق الكلام .
٤) ينظر : حروف المعاني / ١٤ - ١٥
٥) ينظر : حروف المعاني / ٦٦-٦٧ ، وينظر : الصاحبي في فقه اللغة / ٩٤
٦) رسائل ابن الأثير / المقدسي / ٣٣٥
٧) المصدر نفسه / ٣١٢
٨) رسائل ابن الأثير / القيسي ، هلال / ١١٩

وما ورد في الرسالة رقم (١٦) :((فهي واقفة على قدم الإعتذار ، مستترة لفرط حيائها بحُجُب الاستتار ، إلا أنّها مع ذلك لم تخلُ عن مسحة جمال)) [١].

وقوله في الرسالة رقم (٢٧):((وليس روح الديار بكثرة أنيسها ،بل بواجد ناسها)). [٢]

وقوله في الرسالة رقم (١٧) : ((وما ينبغي للمجلس ان يستكبر هذا القول فانّ الله قسم الحظوظ أقساما ، وكما أحظاه بقرب خليفته الذي هو إمام العصر فكذلك جعل لساني للألسنة إماما ، ومع هذا فاني أودّ لو اشتري فضيلتي بقربه حتى استبدل منه مقاما ويستبدل مني مقاما))[٣] .

فعملت أدوات الاستدراك على الربط بين الصور المتعارضة في هذه النصوص .

٣- الربط الزمني :-

جاءت أدوات الربط الزمني في الرسائل تنظّم التتابع الزمني للأحداث التي تتضمنها الجمل ، وهذه الأدوات هي : (قبل ، بعد ، حين ، منذ ، سين الاستقبال ، لمّا).

والملاحظ أنّ أدوات الربط الزمني جاءت قليلة في رسائل ابن الأثير ؛ وربّما يعود ذلك إلى طبيعة الرسائل ، إذ إنّ أغلب الرسائل تحمل موضوعاً معيّناً ومحدداً ، يحاول الكاتب إيصاله إلى المتلقي ، فهذه الرسائل تكون خالية من عنصر القصّ ، أو الحكاية ، أو الأحداث التي تتطلّب مثل هكذا أدوات لبناء عالم الأحداث. في حين أنّه يمكن ملاحظة استعمال أدوات الربط الزمني في الرسائل التي تتضمّن وصف حادثة معينة ، أو حكاية ، كما نجد في الرسالة رقم (١٨) التي يصف ابن الأثير فيها خروجه من مصر ، فهو يقول: ((أصدرت هذا الكتاب... بعد أن فارقت مصر... إلا أنّي أُخرجت منها قبل أن آكل من شجرتها ... وأن يؤتيني هدًى لا أضلّ بعد اتباعه ... وذاك أنّه لمّا فارقنا ... فسار كلٌ إلى بلده ، بعد إذهاب ماله ... فلمّا عدنا ... وأمّا المملوك فلمّا فَجِئَه هذا الأمر تلكّأ قليلاً ثم أقدم ... ثمّ سار

---

١) رسائل ابن الأثير / هلال / ٨٢

٢) رسائل ابن الأثير / القيسي ، هلال / ١١٠

٣) رسائل ابن الأثير / المقدسي / ٣١٣ - ٣١٤

يلقي الليل... ولئن ترحّلت عن مصر غريباً ، فقد أضحت من بعدي غريبة... فأصبحت قرين أوجال)) [١] .

فقد عمد إلى ربط أحداث الحكاية بالروابط الزمنية ، وبمساعدة الأفعال وأزمنتها المختلفة ، على حين نجد في الرسائل الأخرى قلّة استعمال الروابط الزمنية ، وتفاوتها في استعمال هذه الروابط تبعاً لموضوع الرسالة ، وما يتضمّنه من أحداث تتطلّب روابط زمنية لبنائها.

٤- الربط السببي :-

وتعبّر عنه الأدوات (الفاء ، اللام ، حتى ، الباء ، من ، الحصر بـ(ما وإلا) ، لأن). وتقوم هذه الأدوات بالربط بين جمل الرسائل في ضوء علاقة السبب بالنتيجة ، فتعمل بذلك على إحكام سبك النّص .

ويكّون الربط بالفاء واللّام النسبة الأكبر بين أدوات الربط الأخرى ، ومنها ما ورد في الرسالة رقم (٦) ((ولكنها رأت في فرصة فبادَرَتها بالانتهاز، وكنتُ ركنتُ إلى القدرة عليها فتركتُ عزيمة الإحتراز))[٢] . فجعل الجملة الأولى (رؤية الفرحة) سبباً ، ونتيجتها هي (المبادرة بالإنتهاز) ، وكذلك (الركون إلى القدرة) سبباً ، ونتيجتها (ترك عزيمة الاحتراز) ، فجاء التعبير عن هذه العلاقة السببية بالفاء .

ومثل ذلك أيضا ما نجده في الرسالة رقم (٢٦) :((وما يقول إلا أن مائدةً نزلت فيه من السماء ليأكل منها الناس)) [٣]. فالأكل هو سبب لنزول المائدة من السماء ، وعبّرت اللّام عن هذه العلاقة السببية.

وهكذا جاءت بقية الأدوات الأخرى لتعبر عن هذه العلاقة ، كالباء ، كما في الرسالة رقم (٢٧) : ((وقد يعتدل مزاج الأرض المريضة باعتدال الشيم))[٤] .

و(حتّى) كما في الرسالة رقم (٥) :((ونزّه سجية إخائه عن الملل ؛ حتّى لا يُقال

---

١) رسائل ابن الأثير / القيسي ، هلال / ١١٦- ١١٧

٢) رسائل ابن الأثير / هلال / ٨٥

٣) رسائل ابن الأثير / القيسي ، هلال / ٩١

٤) المصدر نفسه / ١١٠

إنّه من بقيّة قوم موسى)) [١].

و(من) كما في الرسالة رقم (١٩) : ((ونحن من الوجد به في حرّ هجيرة)) [٢]

و(لأنّ) كما في الرسالة رقم (٨) : ((وما فضل السمع على البصر إلا لأنّه محلّها الذي تأوي إلى فنائه)) [٣] .

و(الحصر بإلاّ) كما في الرسالة رقم (٣) : ((وما غرامي بمسائلة الرّكب بعد الرّكب ... إلّا شغفاً بصداع النميرة ، وتعللاً بتمني زورة منهم ، أو زويرة))[٤].

فهذه الأدوات جاءت تعبّر عن العلاقة السببيّة بين الجملة التي قبلها والجملة التي بعدها ، فأحكمت الربط بين الجمل ممّا أسهم في سبك النّص .

٥- الربط الشرطي :-

يتمثّل الربط الشّرطي في نصوص الرسائل بقيام الأدوات الشرطيّة التي هي (لو ، إذا ، إن ، لولا ، من ، لئن) بتكوين ثنائية تقابلية بين جملتين متعاقبتين في النّص ، فتكون العلاقة بين الجملتين وثيقة في ضوء العلاقة الشرطية ، على نحو ما نجد في الرسالة رقم (١) : ((وإذا بارت التجائر لم يخشَ على تجارته عارية البوار ... فإن أتبع حجه بتقوى الله العاصمة ، فكأنه ما فارق الركن والمقام ... ولو صورتها له لأودعت كتابي منها رمحاً)) [٥] .

فتمّ الربط بين الجملتين (بارت التجائر – لم يخشَ على تجارته) باستعمال أداة الشرط (إذا) ، وبين الجملتين (أتبع حجه – كأنّه ما فارق) باستعمال أداة الشرط (إن) ، وبين الجملتين (صورتها له – أودعت كتابي) باستعمال أداة الشرط (لو) .

---

١) رسائل ابن الأثير / المقدسي / ١٢٠

٢) المصدر نفسه / ٧٤

٣) المصدر نفسه / ١٩٥

٤) رسائل ابن الأثير / هلال / ١٢٣

٥) المصدر نفسه / ١٤٠- ١٤١

ومثل ذلك ما ورد في الرسالة رقم (٣٤) :((ولئن أصدأ الكرّ له عزماً ، فقد صقله ذكر مولانا فلمع ، أو أنبأ له سيفاً، فقد شحذه حدّه فقطع، فإن غاب عن هذا المقام صورة فقد حضره معنى)) [١] .

فارتبطت الجملتان (أصدأ الكرّ – صقله ذكر مولانا) باستعمال أداة الشرط (لئن)، وارتبطت الجملتان (غاب عن هذا المقام صورة – حضره معنى) باستعمال أداة الشرط (إن) ، والملاحظ أنّ الكاتب عطف على أداة الشرط (لئن) جملة أخرى بوساطة حرف العطف (أو) ، فعمل بذلك على إطالة سلسلة الربط بأداة الشرط وحرف العطف ولم يكتفِ بذلك فحسب ، بل عطف على كلّ جملة من جملتي جواب الشرط بفعل يمثّل نتيجة لهذه الجمل ، وجاء العطف بحرف الفاء الدال على الترتيب والتعقيب (فلمع – فقطع) وكما موضح بالشكل الآتي :-

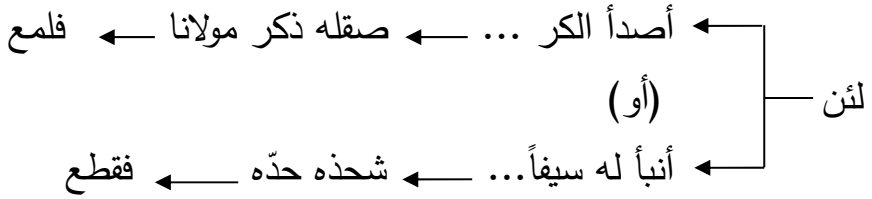

وسلاسل الربط هذه التي تقوم بها أداة الشرط نجدها في أكثر من رسالة ، فإمّا أن تأتي أداة الشرط مكرّرة ، أو يكتفي الكاتب بالعطف عليها ، وفي كلا الحالين تأتي الجمل مترابطة متماسكة بفعل هذه الأداة كما نجد في الرسالة رقم (٢٧):

((فالأيام لديه مذمّمة وإن كانت حميدة ، وملابس العيش عنده مخلقة، وإن كانت جديدة ... فلو سعت بقعة إلى مالكها لكانت إلى جانبه الشريف ساعية ، أو تكلم خلق

[١]) رسائل ابن الأثير / القيسي ، هلال / ٦٥- ٦٦

يغير لسان لكانت بأشواقها إليه معلية، وبسرعة إيابه إليها داعية)) [١]. فقد تكرّرت أداة الشرط (إن) في المقطع الأول ، واكتفى بالعطف في المقطع الثاني.

وفي رسائل أخرى نجد أنّ الكاتب يبني مقاطع كاملة ، أو فقرات على أداة الشرط ، مستعيناً بالربط الإضافي ليربط أجزاء هذه الجمل الشرطية . ومنها ما ورد في الرسالة رقم (٢) وهو يتحدث عن الدنيا : ((ومن أحبّ صحبتها لا بدّ وأن يلقى منها ما يلقاه المحب من محبوبه ... وعلاقات الدنيا مرض ، فمن شاء فليزد من ذلك المرض . وإذا طلب المرء كفافه منها فليس بملوم ، وليس مطلب الكفاف منها بمعدوم ، ومن كان الاستكثار منها همه تكاثرت عليه الهموم ... وإذا هلك ألف فيها فمن العجب أن يسلم واحد ، واللبيب لا يغره بشر السلطان ولو اتخذه شعارا ، ولا حلمه ولو ادعاه نجاراً ... وإذا حاقق المرء نفسه علم أن ضر السلطان أكثر من نفعه ، ولو كان ملكا روحانيّاً لما خرج أن يكون الخير من تطبعه ، والشر من طبعه)) [٢] .

وهكذا نلاحظ أن أدوات الشرط عملت على تكوين سلاسل من الجمل المترابطة بالتظافر مع أدوات الربط الإضافي ، وقد امتد هذا الربط إلى مسافة طويلة في النّص ، وأسهم بصورة أساسية في سبك النص.

---

[١]) رسائل ابن الأثير / القيسي ، هلال/ ١٠٩- ١١٠

[٢]) رسائل ابن الأثير / المقدسي / ٣٠٢- ٣٠٣

أنواع الربط في الرسائل

رقم الرسالة	أنـــــواع الربـــــط					المجموع
	إضافي	سببي	استدراكي	زمني	شرطي	
١	٨٠	٩	٣	٨	٩	١٠٩
٢	١١٢	--	٢	--	١٢	١٢٦
٣	٤٨	٤	--	٣	٣	٥٨
٤	٦٣	١	٣	٢	١	٧٠
٥	٨٤	١	٢	٢	٧	٩٦
٦	٤٨	٣	١	٣	٧	٦٢
٧	٦٤	١	٣	٣	١	٧٢
٨	٤٧	٤	١	--	٥	٥٧
٩	٣١	--	--	--	٤	٣٥
١٠	٤١	--	٢	--	٢	٤٥
١١	٤٧	٤	١	٢	٢	٥٦
١٢	٣٧	٢	١	--	٤	٤٤
١٣	١٨	١	--	--	١	٢٠
١٤	٣٧	--	١	--	١	٣٩
١٥	٥٢	٣	٢	١	٧	٦٥
١٦	٤٧	١	٢	--	١	٥١
١٧	٦٤	٥	٦	--	١٥	٩٠
١٨	٥٧	٢	١	٥	٤	٦٩
١٩	٨٦	٨	١	--	٥	١٠٠
٢٠	٧٦	٢	٢	--	٦	٨٦
٢١	٣٧	٥	٤	١	٣	٥٠
٢٢	٥٤	--	١	--	٨	٦٣
٢٣	٦٩	٥	٢	--	١	٧٧
٢٤	٥٩	--	٢	--	--	٦١
٢٥	٣١	--	--	--	--	٣١
٢٦	٨٤	٣	--	--	٥	٩٢
٢٧	٧٤	١	٣	٢	١٠	٩٠
٢٨	٤٩	٥	١	--	٤	٥٩
٢٩	٤٩	٢	١	--	٦	٥٨
٣٠	٤٥	--	--	١	٣	٤٩

٣١	١٥٥	٧	٢	١	٨	١٧٣
٣٢	٩٠	٧	١	٣	٦	١٠٧
٣٣	٦٤	١	٤	١	٥	٧٥
٣٤	٨٤	٢	--	--	٣	٨٩
٣٥	١٠٤	١	--	٢	٢	١٠٩
٣٦	٥٠	٢	--	--	٦	٥٨
٣٧	٤٤	٢	١	--	٦	٥٣
٣٨	٧٥	٢	٢	٢	٣	٨٤
٣٩	٩٣	٢	٢	٢	٧	١٠٦
٤٠	٥٢	٢	١	١	٥	٦١
المجموع	٢٥٠١	١٠٠	٦١	٤٥	١٨٨	٢٨٩٥

جدول رقم (٣)

من الجدول السابق يتبين لنا أنّ الربط الإضافي أكثر أنواع الربط توظيفاً في نصوص الرسائل ؛ وذلك بحكم طبيعة هذه الأداة ووظيفتها في الجمع والترتيب بين المعاني والجمل من جهة ، وطبيعة نصوص الرسائل ، وما تتضمنه من فكرة أو قضية تفرض على الكاتب ترتيبها والتدرج فيها من جهة أخرى . ويأتي بعد هذا الربط أنواع الربط الأخرى بحسب موضوع الرسالة الذي يفرض استعمال أدوات ربط معينة من دون أخرى.

ثالثاً :- الحذف :-

يُعدّ الحذف من أكثر عناصر السّبك شيوعاً في الرسائل بعد عنصر الإحالة ، بل يكاد يكون موازياً له في أكثر من رسالة ، فهو يعدّ عنصراً أساسياً في تحقيق الترابط ؛ بما يقوم به من دفع المتلقي إلى البحث عما يملأ الفراغ بين الجمل والعبارات ، محققاً بذلك سبكاً تلقائيّاً للنص .

تتعدّد أنواع الحذف في الرسائل بين حذف اسم ، أو حذف عبارة ، أو جملة . فنجد حذف الاسم في مثل ماورد في الرسالة (٨) : ((أدام الله أيام المجلس السامي

الأصلي السيدي الأوحدي ، وألبسه (...) من المحامد أوفى لباس ، وجعل (...) له نوراً يمشي به في الناس ، وأعز (...) دهره بالسعادة وربعه بالإيناس ، وطهر(...) عرضه من المعايب ....وغرس (...) ودّه في القلوب)) [١] .

فوقع حذف الاسم (الفاعل لفظ الجلالة) في الجمل المعطوفة على الجملة الأولى، وأسهم حرف العطف (الواو) في معرفة المحذوف وإدراكه من لدن المتلقي .

ويعد الحذف الاسمي أكثر أنواع الحذف وروداً في الرسائل مقارنة بأنواع الحذف الأخرى .

ونجد حذف الفعل أيضاً ، كما في الرسالة رقم (١٧) :((ولئن قضى الاشتغال هناك بمسح سوق و(...) أعناق ، فانه لم يقضِ ههنا بمسح سطور ولا (...) أوراق))[٢] . فحُذِف الفعل (مسح) وساعد العطف كذلك في إدراك المحذوف.

ونجد في رسائل أخرى حذف للعبارة ، كما في الرسالة رقم (٢٣) :((وقد اعتاد من المجلس نفاذَ القول ، و (...) إسباغ الطول ، و(...) الإمداد بالحول والقوة لمن لا له قوة ولا (...) حول))[٣].

ونجد في رسائل أخرى حذف للجملة ، ولكنه أقل أنواع الحذف وروداً في الرسائل ، ولا يكوّن إلا نسبة ضئيلة ، كما ورد في الرسالة رقم (٣٢) :((فقد جعل الله من الظن إثماً ، وأمر بالتثبيت ، و(...) التبيين عند كلِّ نبأ))[٤].

وهكذا يعمل الحذف على ربط سلسلة من الجمل المتتابعة ، مستغلاً افتقار الجمل المعطوفة إلى مرجعية تتمثّل في العنصر المذكور في الجملة الأولى الذي لا يتمّ المعنى إلا بتعيينه من قِبل المتلقي ، وهو الدليل الذي يستدلّ به على المحذوف . وتسهم في هذه العملية أدوات الربط الإضافي ، كحروف العطف التي تعمل مفاصل للجمل تعود بها – مهما طالت سلسلة الجمل – إلى مرجعها الرئيس . فهو بمثابة تكرار للمرجع إلا أنّه لا يظهر على سطح النّص ، وإنّما يكون في ذهن المتلقّي.

---

١) رسائل ابن الأثير / المقدسي / ١٩٤

٢) المصدر نفسه / ٣١٢

٣) رسائل ابن الأثير / هلال / ١١١

٤) المصدر نفسه / ٩٦

ولا يخفى ما يكون للحذف من دور في تحقيق الاقتصاد اللّغوي ، والإيجاز، والابتعاد بالنصوص عن التكرار المملّ ، مضافاً لما يقوم به من إحكام سبك النصوص.

أنواع الحذف في الرسائل

رقم الرسالة	أنـــــواع الحذف				المجموع
	اسمي	فعلي	عباري	جملي	
١	٣٤	١٢	٦	٧	٥٩
٢	١٥	١٠	١٦	--	٤١
٣	٥	٢	١٠	٢	١٩
٤	٣	٢	١٦	١	٢٢
٥	١١	٦	١٣	٤	٣٤
٦	٤	٥	١٠	--	١٩
٧	٢	٣	٣	٤	١٢
٨	١٣	٥	٤	--	٢٢
٩	١١	١	١	--	١٣
١٠	٧	١	٦	٢	١٦
١١	١	--	٧	٣	١١
١٢	٤	٣	٢	٣	١٢
١٣	٣	١	١	١	٦
١٤	١٢	٣	٢	--	١٧
١٥	١٠	١	٧	١	١٩
١٦	٩	٢	٥	٢	١٨
١٧	١٣	٢	٦	٢	٢٣
١٨	١٥	٤	١١	١	٣١
١٩	٨	٢	٥	١	١٦
٢٠	٧	٥	٦	٢	٢٠
٢١	١٠	--	٥	٢	١٧
٢٢	٣	٢	٤	١	١٠
٢٣	١٥	٩	٤	--	٢٨
٢٤	٨	٣	٧	١	١٩
٢٥	٤	٣	١	١	٩
٢٦	١٨	١٠	٥	--	٣٣
٢٧	٩	٣	٩	--	٢١

٢٨	٩	٤	٥	١	١٩
٢٩	١١	--	٦	--	١٧
٣٠	٥	٣	٨	--	١٦
٣١	٢٩	١٠	٢٠	١	٦٠
٣٢	٢٧	٣	١٥	٣	٤٨
٣٣	١٠	٦	٤	٢	٢٢
٣٤	١٧	١٠	٣	--	٣٠
٣٥	١٤	٨	٨	--	٣٠
٣٦	٦	٢	١١	--	١٩
٣٧	١١	١	٥	١	١٨
٣٨	٢٢	٦	١٠	--	٣٨
٣٩	١٣	٦	٨	--	٢٧
٤٠	١٧	٣	٧	--	٢٧
المجموع	٤٤٥	١٦٢	٢٨٢	٤٩	٩٣٨

جدول رقم (٤)

يتبيّن لنا من الجدول السابق أنّ نسبة الحذف تتفاوت بين الرسائل تبعاً لطول الرسالة أو قصرها ، وأنّ الحذف يكثر في الأسماء ، ثم يأتي بعده حذف العبارة ، لاسيّما في الجمل المتعاطفة التي يجمعها مرجع واحد ، وبذلك يعمل الحذف بمساعدة العطف على إحكام سبك النّص.

رابعاً :- الاستبدال :-

أبرز ما يمكن ملاحظته في رسائل ابن الأثير هو قلّة ورود حالات الاستبدال إلى الحدّ الذي لا تكاد تكون فيه ذات أثر كأثر عناصر السّبك الأخرى ، إلا أنّه لا بأس من الإشارة إلى هذه الحالات ؛ لأنها أسهمت بسبك جزء من نصوص الرسائل التي وردت فيها عن طريق إعادة عناصر معينة بأشكال أخرى ، فعملت على تحقيق الاستمرارية الدلالية لمدى معين في النص.

والرسائل التي وردت فيها حالات الاستبدال هي كما موضحة في الجدول الآتي :

رقم الرسالة	المستبدل منه	المستبدل	نوع الاستبدال
٤	الخاطر والقلم	أحدهما – الآخر	اسمي
٥	موتة الشباب – موتة الأجساد	أحدهما – الأخرى	اسمي
٦	الذم – الحمد	الأول – الآخر	اسمي
٩	حال المرض – حال العافية	أحد – الآخر	اسمي
١٥	الأفعال:(تُضَمخ ، تُرفَع ، تُعطَى)	فَعَل	فعلي
١٦	أيادي المجلس	الأولى – الثانية	اسمي
١٧	العين	الأخرى	اسمي
٢١	عرض المرء – جسمه	أحدهما – الآخر	اسمي
٤٠	طريق الإحسان – طريق الطاعة	أحدهما – الأخر	اسمي

جدول رقم (٥)

نلاحظ قلّة عدد الرسائل التي وردت فيها حالات الاستبدال فضلاً عن ورود حالة استبدال واحدة في كل رسالة ، وكان نوع الاستبدال في كل حالاته اسميّاً باستثناء ما ورد في الرسالة رقم (١٥) فانه جاء استبدالاً فعليّاً. واقتصر الكاتب في أغلب هذه الحالات على عناصر معجمية محدودة وهي (أحد – الآخر).

وعليه يمكن القول : إنّ الاستبدال على قلته أسهم في سبك النصوص التي ورد فيها مع وسائل السبك الأخرى .

المبحث الثالث

السّبك المعجمي في رسائل ابن الأثير

وهو المظهر الثاني من مظاهر السّبك في النّصوص ، ويعتمد بصورة أساسية على علاقة الشبه والتطابق والتقارب (الشّكلي أو الدلاليّ) بين الكلمات الممتدة على سطح النّص ، فهو علاقة على مستوى المعجم .

فالكاتب وهو يبني نصّه يعمد إلى توزيع عناصر معجمية ذات علاقة فيما بينها على سطح النّص ، يدفعه في ذلك الفكرة أو الدلالة الجامعة في ذهنه التي يريد من النّص أن يغطّيها ، فتكون العلاقة بين هذه العناصر المعجمية أشبه ما تكون بشبكة تغطي النّص وتحكم الترابط بين أجزائه.

إلا أنّ كثافة ظهور أدوات هذا السّبك يختلف من نصٍّ إلى آخر ؛ باعتبار الوحدة الموضوعية للنّص . فالنّص الذي يتضمّن قضية أساسية محوريّة واحدة ، ليس كالنّص الذي يتضمّن العديد من القضايا ؛ فيقلّ بذلك السّبك المعجمي بينها .إلا في حالة جعل هذه القضايا الثانوية تصبُّ جميعها في الدلالة الكلية للنّص.

يتحقّق السّبك المعجمي في رسائل ابن الأثير عن طريق وسيلتين هما : – التّكرار ، والمصاحبة المعجمية .

أولا:– التكرار :–

وهو إعادة الكلمة داخل النّص ويُقسم على :–

١–التكرار المباشر

٢–التكرار الجزئي

٣–الترادف

١-التكرار المباشر :-

وهو إعادة الكلمة نفسها في النّص من دون تغيير، إذ تحيل الكلمة اللاحقة إلى الكلمة السابقة ، مما يساعد على ربط أجزاء النّص والاستمرارية الدلالية فيه . ويعتمد ذلك على طول مدى الربط واختلافه في الرسائل ، فقد يكون الربط على مستوى الجملة الواحدة ، كما في الرسالة رقم (٢٢) : ((الابتداء بالكتاب كالابتداء بالسلام ، وكما يجب رد جواب التحية ، فكذلك يجب رد جواب الأقلام))[١] .

وقوله في الرسالة رقم (٢٦):((وغدت بين بحرين من فيض البحر،وفيض يمناه))[٢]، فالكاتب كرّر (الابتداء ، يجب رد ، فيض) في النّصوص السابقة ، فوقع الربط بالتكرار داخل حدود الجملة الواحدة فكان قصيراً نسبيّاً .

بينما نجد التكرار يمتد إلى مسافات أكبر في بعض النّصوص خارج حدود الجملة ، أو مجموعة جمل ؛ لتباعد المسافات بين العنصر الأوّل والعنصر المكرّر الثاني . كما ورد في الرسالة رقم (١) : ((وإذا بارت التجائر ، لم يخشَ على تجارته عارية البوار ... فإن أتبع حجّه بتقوى الله العاصمة ... وعند ذلك ينقلب من تجارته بصفقة الغبين)) [٣]. وقوله في الرسالة رقم (١٣) : ((ولم يبقَ إلا موضع مصلاه ، فجاءته سجادة لموضع سجوده ... وهذه أياد لم تغب منها زائرة ... وإذا نظر إلى السجادة المرسلة)) [٤] .

فالتكرار المباشر للكلمات (تجارته ، سجادة) عمل على ربط الوحدات النصية التي تفصل بينها مسافات طويلة ، وكذلك فيها إنعاش لذاكرة المتلقي بتزويدها بإشارة جديدة إلى العناصر الرئيسة في النّص .

---

[١]) رسائل ابن الأثير / المقدسي / ٣٣٤

[٢]) رسائل ابن الأثير / القيسي ، هلال / ٩٠

[٣]) رسائل ابن الأثير / هلال / ١٤٠

[٤]) المصدر نفسه / ١٨٠ -١٨١

ففي الرسالة رقم (١٠) – وهي التي كتبها إلى أحد الإخوان يهنيه بالحجّ – ورد لفظ الحج مكرّراً (٣) مرات بقوله : ((إن كان الحجّ عبارة عن شحوب نفوس وأجساد ... فمن الناس من يحظى بثواب الحج وهو في ضمن داره ... فالعجب من وجوب الحج عليه)) [١].

وفي الرسالة رقم (٢٤)[٢] التي كتبها إلى أحد الملوك عناية بأحد الأشخاص ، ورد لفظ (مولانا) مكرراً (٥) مرات ، ولفظ المملوك (٣) مرات ، وكذلك ما ورد في الرسالة (٢٥) [٣] التي تحمل الغرض نفسه – وهو العناية بأحد الاشخاص – ورد لفظ (مولانا) مكرراً (٥) مرات ، وتكرر لفظ المملوك (٣) مرات ، فهذا التكرار هو توجيه للمتلقي للالتفات إلى العناصر الرئيسة في النّص بما يتلاءم مع غرضه الذي أُنشيء على أساسه ، وهذه الإحالات التكرارية على مرجع واحد تسهم في إبراز البؤرة الأساسية للنص .

ولا يقتصر التكرار المباشر على مستوى الرسالة الواحدة ، بل يتعدّاه إلى أكثر من رسالة فهناك تكرار مباشر لبعض الكلمات والجمل في أكثر من رسالة ، ولا سيّما الرسائل السياسية ، مثل تكرار جملة (يقبّل الأرض بين يديّ مولانا الملك) في مستهل الرسالة، وكذلك تكرار كلمة (يُنهي) بعد أن ينتهي من المدح في أوّل الرسالة وينتقل إلى الغرض الأساس فيها ، ويختمها بجملة (وللآراء العالية مزيد العلو إن شاء الله) أو (والرأي أعلى إن شاء الله) كما نجد في الرسائل (١٤و٢٥و٢٦و٣٦و٣٧)[٤] و(٣٢)[٥].

كذلك تكرار كلمة (الخادم) و(المملوك) و (والمولى) و (المجلس) في عموم الرسائل . ويخلق هذا التكرار نوعاً من الترابط بين نصوص الرسائل بوصفها تكّون

---

١) رسائل ابن الأثير / القيسي ، هلال / ١٧٩-١٨٠

٢) ينظر : المصدر نفسه / ١٤٤

٣) ينظر : المصدر نفسه / ١٥٦

٤) ينظر : المصدر نفسه / ١٤٤، ١٥٦ ، ٩٠، ١٢٠ ، ١٣٤

٥) ينظر :رسا ئل ابن الأثير / هلال / ٩٥

نوعاً من الأنواع الأدبية النثرية ، وهو (فن الترسّل) كما سيأتي في الحديث على البنية العليا للرسائل إن شاء الله.

٢- التكرار الجزئي :-

ويتمثّل بالاستعمالات المختلفة للجذر اللغوي للكلمة ، فتتكرر بصور شتى ومواقع مختلفة في النّص ، محدثة بذلك نوعا من الترابط الشكلي والدلالي داخل النّص .

ويكوّن التكرار الجزئي في رسائل ابن الأثير النسبة الأكبر بين أنواع التكرار الأخرى، وإذا كان التكرار المباشر يمتد إلى مسافات متنوعة قد يكون في حدود الجملة ، وقد يصل إلى مجموعة جمل أو أكثر من ذلك ، فإنّ التكرار الجزئي يأخذ صورة تكتّلات متفرّقة في النّص ، ففعله في النّص أقرب إلى التجمّع منه إلى الانتشار[١] ، كما ورد في الرسالة رقم (٢) :((وجملة الأمر إنّي شريكه في نكبته وإن غاب شخصي عن شخصه ، وإذا قرص الصديق قارص كان صديقه شريكاً في ألم قرصه ، وليس الصديقان إلا واحداً))[٢].

فجاءت الألفاظ المكرّرة في جمل متراصّة ، ومتعاقبة ، مكوّنة ما يشبه السلاسل من التكرار الجزئي وهي (شريكه – شريكاً) و (شخصي – شخصه) و (قرص – قارص – قرصه) و (الصديق – صديقه – الصديقان) .

ومثله ما ورد في الرسالة رقم (٤) : ((فإنّ بسط ثراها يتبدل إذ ذاك ببسط مائها، وتشبه أرضها في تدفقها بسماتها، وتنحجر الناس في بيوتهم انحجاز اليرابيع))[٣] ،فتكرّرت الألفاظ (بسط – بسيط) و (تنحجر – انحجار) في جمل متعاقبة ومتتالية.

وكذلك ما ورد في الرسالة (٣٠) :((فإنّ ذلك كلّه لا يفي بحزن الخادم وقد أُصيب في عضدٍ من أعضاده ، و فُجِع بمن كان في النّسب أخاً من أخوته ، وفي

---

١) ينظر : نحو آجرومية للنص الشعري / ١٥٨

٢) رسائل ابن الأثير / المقدسي / ٣٠١

٣) رسائل ابن الأثير / القيسي ، هلال / ١١٨

السّن ولداً من أولاده)) [١] . فجاءت الألفاظ المكرّرة بصورة جمع ثنائي متسلسل في الجمل وهي (عضد من أعضاده) ، (أخاً من إخوته) ، (ولداً من أولاده) .
ومثل هذه السّمة هي الغالبة على التكرار الجزئي في رسائل ابن الأثير، فهي تعمل على تكوين ثنائيات في البُنى التركيبية النّصية تُفضي إلى دلالات متنوّعة ، كالتقابل في الذوات كما في قوله : (شخصي – شخصه) ، والتبعيض كما في قوله :(عضد من أعضاده) ، و (أخاً من إخوته) ، و (ولداً من أولاده) ، والتّضاد كما في الرسالة رقم(٣٥) :((وجنوده في الأرض أملاكاً وفي السماء ملائك)) [٢] ، والمشاركة كما ورد في الرسالة نفسها :((من كل سهم هزّته الهيجاء وهزّها ، وبزّته وبزّها)) ، أو العطف والترتيب والتعقيب كما في الرسالة (٢٧) : ((وأمّا هذا الفتح الذي عوتبت عليه الإيام فأعتبت)) [٣] ، أو المقابلة بين اسم الفاعل واسم المفعول كقوله في الرسالة (٣٣) : ((فأصبحت مخدوماً بعد أن كنت خادماً ، وغدوت مشام البرق وكنت شائماً)) [٤] .

وبالرغم من ورود أغلب حالات التكرار الجزئي بصورة مجموعات ، إلا أنّ هناك عدداً غير قليل من التكرارات الجزئية جاءت ممتدة على مسافات طويلة في النّص ، لاسيّما تلك الألفاظ التى تمثل قضايا رئيسة في النّص ، كما ورد في الرسالة رقم (١٢) التى تحمل غرض التعزية : ((ولئن أُوحشت منه أوطانه ، وأُوحش لفقده إخوانه ، فقد آنسه الله ... وهكذا أهل السعادة ، تستوحش لهم الدنيا وتأنس بهم الآخرة ... وما يُقال إن هذا الذاهب مضى إلى دار الفناء ، بل أنس الفناء)) [٥] .
فجاءت الألفاظ (أوحشت ، أوحش ، آنسه ، تستوحش ، تأنس ، أنس) مكرّرة على مدى أطول يتجاوز الجملة ؛ لكونها من العناصر الرئيسة في النّص .

---

١) رسائل ابن الأثير / المقدسي / ٣٠٦
٢) رسائل ابن الأثير / القيسي ، هلال / ٧١
٣) المصدر نفسه / ١١٠
٤) المصدر نفسه / ٦٤
٥) رسائل ابن الاثير / المقدسي / ٢٣٨

ومثله ما ورد في الرسالة رقم (٣) : ((ولقد علّمني بعده كيف أروي أحاديث الأشواق ... وهذه أيسر درجات الشوق وبرحه ... وأشفقت على قلب سيدنا من ذكر شوقي وأعدائه)) [١] .

فتكرّرت الألفاظ (الأشواق – الشوق – شوقي) على مسافات متباعدة في النّص ، محققة بذلك ربطاً واسع المدى بين جمل النّص ، بما يتلاءم مع الموضوع الرئيس في النّص ، وهو الشوق والشكوى .

وهكذا يتبيّن أنّ التكرار الجزئي يعمل على إحكام الربط بين أجزاء النّص الظاهرة من جهة ، وتأكيد ثوابت الأفكار والمفاهيم والدلالات التى يتكون منها عالم النّص من جهة أخرى .

٣- **الترادف** :-

الترادف هو تكرار المعنى بصيغة مختلفة ، وفي ذلك تدعيم لأواصر الربط بين الجمل.

والترادف هو أقلّ أنواع التكرار وروداً في رسائل ابن الأثير ، إذ لا نجد في بعض الرسائل سوى أربع حالات للتكرار بالترادف أو أقل من ذلك ، فضلاً عن الرسائل التى تخلو من هذه الحالات ؛ وربما يعود ذلك إلى أسلوب الكاتب وإبداعه في رصف المعاني المختلفة والمتنوعة ، والدقة في رسم الصورة وهو يصف حالة معينة ، أو حادثة ما ، إذ ينتقل بالقارئ انتقالاً سريعاً من وصف إلى وصف ، ولا يلجأ إلى تكرار المعنى بلفظ آخر ، أو تركيب مختلف إلا لأغراض معينة كتجنّب التكرار باللفظ نفسه مع وجود الحاجة إلى ذكره ، أو لتقرير المعنى في ذهن المتلقي والدقة في رسم الصورة ، أو لأغراض صوتية تتعلّق بالتوازن الصوتي ، والانسيابية والإيقاع بين الجمل .

والواقع أنّ كل هذه الأغراض تتحد فيما بينها لتحكم ترابط أجزاء النّص ، فهي تعمل مجتمعة لغرض إحكام سبك النّص وحبكه ، مثلما ورد في الرسالة رقم (١) [٢]، من

---

[١]) رسائل ابن الأثير / هلال/ ١٢٣-١٢٤

[٢]) المصدر نفسه / ١٣٩

تكرارات بالترادف (شياطين – أبالسة) ، و (تجارة – صفقة) .
والرسالة رقم (٢)[١] : (أروي – أملي) ، والرسالة رقم (٦)[٢] : (فارقت المجلس– سرت عنه) و (إساءاته – ذم صنعه) و(ربح – مغنم) ، والرسالة رقم (٧)[٣] : (قلب – أفئدة) و(حر– لفح) ، والرسالة رقم (١١)[٤] : (ماء دجلة – نهر – دجلة) و (منية – موت – ردى) ، والرسالة رقم (١٨) [٥]: (فارقت مصر – أُخرجت منها – ترحلت عن مصر) ، والرسالة رقم (٢٠)[٦]: (إهاب – جلد)، وغيرها من التكرارات .

فكلّ هذه التكرارات سواء كانت في جمل متعاقبة ، أو جمل متباعدة تفصل بينها مسافات ، جاءت لتحكم الترابط بين الجمل في ضوء إعادة المعنى وتكراره على سطح النّص بهيئات مختلفة تجنباً للتكرار الممل .

ولا يقتصر مجيء الترادف في الرسائل على المفردات فقط ، بل يتعداه إلى الترادف بالجمل وذلك بإعادة المعنى بصياغة مختلفة ، وصورة مغايرة تعطي دلالة الجملة الأولى نفسها ، كما في الرسالة رقم (٢):((وهو الذي يتلفت نحوه جيدي ، وتطمح إليه عيني))[٧] . فترابطت هاتان الجملتان فيما بينها لتشابه المعنى.
ومثل ذلك ما ورد في الرسالة رقم (٢) : ((والبحر تردي غواربه على سكون هياجه وركود أمواجه)) [٨]. فالكاتب يعمد إلى تطويل سلسلة الجمل المترابطة فيما بينها في ضوء إعادة المعاني وتكرارها بصورة مغايرة عن سابقتها ، يدركها القارئ عن طريق تعدّد الأوجه الوصفية للمعنى.

---

١) ينظر :رسائل ابن الأثير / المقدسي / ٣٠٠
٢) ينظر :رسائل ابن الأثير / هلال / ٨٤
٣) ينظر :رسائل ابن الأثير / المقدسي / ٩١
٤) ينظر : المصدر نفسه / ٢١٣
٥) ينظر :رسائل ابن الاثير / القيسي ، هلال / ١١٦
٦) ينظر :رسائل ابن الأثير / هلال / ١٣٧
٧) رسائل ابن الأثير/ المقدسي / ١٢١
٨) المصدر نفسه / ٢٠٣

من ذلك يتبين أنّ الترادف على قلّة وروده في الرسائل أسهم بصورة أو بأخرى في سبك نصوص الرسائل وإحكام الترابط بين الجمل.

وظائف التكرار:-

مضافا لما يحقّقه لنا التكرار بكلِّ أنواعه من سبك للنصوص ، فإنّ شبكات التكرار تعمل على إبراز القضايا الأساسية والثانوية في النصوص ، وتحديد الكلمات المحورية التى يميل الكاتب إلى تكرارها ، إذ يسهم هذا التكرار في بناء الوحدة الموضوعية للنص وتحديد هويتها في ضوء إعطاء بعض الألفاظ نسبة بالحضور من دون غيرها .

ففي الرسالة رقم (٢)[١] ، التي تحمل موضوع التصبير والمواساة لأحد الأصدقاء ، وكان قد نقم عليه أحد الملوك ، نجد الكاتب يميل إلى تكرار بعض الألفاظ التي ترتبط وموضوع الرسالة . فنجده يكرر ألفاظ:(النكبة – عزاء – جرح – ألم –السلطان – الخلافة – تهذيب) .

وفي الرسالة رقم (٤)[٢]، التى تتضمن وصف بقعة في الأرض (حصن صرخد)، نجد تكرار بعض الألفاظ أكثر من غيرها وهي (أرض – برد – حر– مطر – غيث). وفي الرسالة رقم (١٠)[٣] ، نجد تكرار الألفاظ المتعلقة بتأدية الحج مثل (الحج – المشعر– الموسم – الأجر – الثواب) وهو ما يتلاءم مع موضوع الرسالة وهو (تهنئة بالحج) .

مثل هذا نجده في أغلب الرسائل ، إذ إنّ الألفاظ تتمحور حول نواة لقضية أساسية معينة ، أو العديد من القضايا الثانوية التى تتمحور بدورها حول القضية الأساسية في النّص ، التى يريد الكاتب إيصالها إلى المتلقي .

---

١) ينظر : رسائل ابن الأثير / المقدسي / ٣٠٠

٢) ينظر : رسائل ابن الأثير / القيسي ، هلال / ١١٨

٣) ينظر : رسائل بان الأثير / المقدسي / ١٧٩

فالتكرار إذاً ((طاقة وظيفية مهمة تتمثل في الدعم الدلالي لمفردات محددة في النّص ، وإبقائه عليها في بؤرة التعبير ظاهرة للقارئ ، وتكرار هذه المفردات بعينها من دون غيرها يؤكد على أهميتها في بناء المعنى ، كما يؤكد على محوريتها)). [١] ولا تقتصر هذه الوظيفة على نوع معين من أنواع التكرار من دون سواه ، بل تتظافر كلّ أنواع التكرار (المباشر والجزئي والترادف) في تحقيق هذه الوظيفة .

ثانيا:- المصاحبة المعجمية أو (التّضام) :-

المصاحبة المعجمية أو التضام : هي ارتباط حضوري بين لفظتين أو أكثر ، إذ يمكن توقع ورود كلمة محددة في النّص عند ذكر كلمة أخرى فيه .

((وتتميز تلك الظاهرة بعدم افتقارها إلى مرجعية سابقة أو لاحقة ، كما هو الحال مع عناصر السّبك النحوي)) [٢] .

وعلاقة الارتباط هذه على أنواع منها علاقة التقابل والتضاد ، وعلاقة السبب والنتيجة ، وعلاقة الجزء بالكل ، وعلاقة الانتماء إلى مجموعة ، وعلاقة التلازم وغيرها .

ومن الجدير بالذكر أن إرجاع هذه العلاقة إلى نوع معين من العلاقات ليس أمراً سهلا [٣] ؛ لذلك قد تتداخل هذه العلاقات فيما بينها عند محاولة إرجاع إنموذج من المصاحبة إلى نوع معين من العلاقة الحاكمة بينها ، كعلاقة الانتماء إلى مجموعة ، وعلاقة التلازم . فالفاصل بينها يكاد يكون نسبيّاً ، إلا أنه مع ذلك فالمحاولة لا تُعدَم من إرجاع كلّ نموذج من المصاحبة إلى نوع العلاقة التى تحكمه.

ونماذج المصاحبات المعجمية في رسائل ابن الأثير تحكمها العلاقات الآتية : -

١-علاقة التقابل و التضاد :-

يستعمل ابن الأثير التقابل والتضاد في رسائله في سياقات متعدّدة تعمل على

---

[١]) نظرية علم النّص / ١٠٨

[٢]) المصدر نفسه / ١١١

[٣]) ينظر : المصدر نفسه / الموضع نفسه

إحكام الربط بين جمل النّص ، وذلك بتوقّع القارئ للشيء بعد ذكره نقيضه أو ما يقابله .

ومن هذه السياقات هو سياق تتابع الحدث ، كقوله في الرسالة رقم (٢) : ((ولم يزل صفوها مشوباً بالكدر ، وأمنها متبوعاً بالحذر)) [١] .

وقوله في الرسالة رقم (٣٣) : ((ففي القلب غلة تخبو فيهيجها أني سبقت)) [٢].

فتمّ توظيف الألفاظ المتضادة بسياق التتابع ، فالصفو يتبعه الكدر ، والأمن يتبعه الحذر ، والخبءُ يتبعه الهيجان .

ومن هذه السياقات هو سياق التفصيل والتفريع ، كقوله في الرسالة رقم (٣٣) : ((كيف ولها الأسباب الوكيدة في المنزلين السهل والخشن،والحالين السرور والحزن))[٣]. وقوله في الرسالة (٢٤) : ((والمملوك يسأل إجزاءه على سالف عادته في جاري الإنعام وجاري الإكرام،اللذين يجمعان له بين قوت الأرواح وقوت الأجسام))[٤] .

ومنها سياق الاستدراك والعطف ، كقوله في الرسالة رقم (١٤): ((وهذا لا يقال على حكم المجاز بل على حكم الحقيقة)) [٥]، وقوله في الرسالة رقم (٤٠) :((والنظر إنّما هو إلى الضمائر الباطنية ونياتها ، لا إلى الصور الظاهرة وأشخاصها)) [٦]. ومنها سياق الاستفهام ، كقوله في الرسالة رقم (٤٠) : ((أمِن عدل القضاء أن يجعل الميزان الثقيل كالميزان الخفيف)) [٧] .

---

١) رسائل ابن الأثير / المقدسي / ٣٠٢

٢) رسائل ابن الأثير / القيسي ، هلال / ٦٣

٣) المصدر نفسه / الموضع نفسه

٤) رسائل ابن الأثير / القيسي ، هلال/ ١٤٤

٥) المصدر نفسه / ٢٧٥

٦) رسائل ابن الأثير / المقدسي / ٣١٠

٧) المصدر نفسه / الموضع نفسه

ومنها سياق الشرط ، كقوله في الرسالة (٣٣) : ((وهذه الأسطر وإن أبدت له ظاهراً من العتاب متجهماً ، فقد أخفت دونه باطناً من الوداد متبسّماً ، ولئن سخط سمعه منى ، فسوف يرضى بما يسمعه عنى)) [١].

ومنها سياق التفضيل كقوله في الرسالة رقم (٢٥) : ((والاعتزاء إلى سماء شرف نالت اليد شهابها ، أكرم من الإعتزاء إلى أرض وطن مس الجلد ترابها)) [٢] .

وقد ورد علاوة على تلك السياقات نماذج أخرى من التقابل والتضاد لا تنظوي تحت سياق معين من السياقات السابقة ، كقوله في الرسالة رقم (١) ((وينتقل إلى أصحاب الشمال عن أصحاب اليمين)) [٣].

وقوله في الرسالة رقم (٢٠) : ((وجعل المحامد مدخله ومخرجه)) [٤] .

وهذه السياقات وإن تعدّدت فإنّها عملت على ربط الجمل فيما بينها .

والملاحظ أنّ الكاتب يستعمل صوراً متعدّدة للتقابل والضاد ، منها التضاد بين الاسم والاسم ، كقوله : ((صفوها مشوباً بالكدر ، وأمنها متبوعاً بالحذر)) . ومنها التضاد بين الفعل والفعل كقوله ((تخبو فيهيجها)) . ومنها التضاد بين الاسم والفعل، كقوله في الرسالة رقم (١٨) : ((وإن يؤتيني منه هدى لا أظلّ بعد إتباعه ولا أشقى)) [٥].

وليس ذلك فحسب ، بل يقدّم صورة تضاد أو تقابل بين جملتين ، كقوله في الرسالة رقم (٣٣) : ((ولكنّها كالأرزاق يُعطاها المقيم القاعد،ويحرمها الظاعن الجاهد)) [٦]، فيكون مدى الربط طويلاً نسبيّاً .

---

١) رسائل ابن الأثير / القيسي ، هلال/ ٦٤

٢) المصدر نفسه / ١٥٦

٣) رسائل ابن الأثير / هلال / ١٤٠

٤) المصدر نفسه / ١٣٧

٥) رسائل ابن الأثير / القيسي ، هلال / ١١٦

٦) المصدر نفسه / ٦٣

وعلى هذا النحو يأتي التضاد أو التقابل بدور وظيفي مهم يتمثل بربط أجزاء النّص في ضوء الموازاة الدلالية بين الشيء ونقيضه في جمل النّص .

٢-علاقة السّبب والنتيجة :-

وهي النوع الثاني من العلاقات التى تحكم نماذج المصاحبة المعجمية في رسائل ابن الأثير ، وذلك بذكر الكلمة أو الجملة التى تكون سبباً لما يأتي بعدها من نتيجة في النّص .

ويمثل ذلك ما ورد في الرسالة رقم (٢) : ((وإذا جُرح القلب تعدّى إلى اللّفظ ما فيه من الالآم)) [١] . وقوله في الرسالة نفسها :((وإذا قرص الصديق قارص كان صديقه شريكا في ألم قرصه)) ، فـ(الجرح) و(القرص) سبب ، و(الألم) نتيجة متوقعة لهما في سياق الكلام .

وكذلك ما ورد في الرسالة رقم (٤) : ((قد علم سيدنا الأجلّ ... إنّ كتبه طبّ أوصابي ... وتشفي أوام غلتي الذي لولاها)) [٢] . فالطبّ سبب ، والشفاء نتيجة له . والملاحظ هنا أنّ العديد من الجمل في هذا الموضع فصلت بين السبب والنتيجة ؛ فزادت مسافة الربط بين أجزاء النّص بواسطة هذه الوسيلة .

ويقول في الرسالة نفسها : ((ولابدّ أن أصف له حال هذه الأرض في بردها ومطرها ... على أن الخاطر والقلم بها قد جمدا)) ، فالبرد والمطر سبب والإنجماد نتيجة لها.

ومثل هذه النماذج من المصاحبة نجدها في رسائل ابن الأثير ، وهي تجسد علاقة السبب بالنتيجة ؛ فتعمل على إحكام الربط بين أجزاء النّص مثل :(هدية / شكر – رقية / شفاء) [٣] ،(نهض بحمل الثمانين / أصبح في انتظار الموت – سقم

---

١) رسائل ابن الأثير / المقدسي / ٣٠١

٢) رسائل ابن الأثير / القيسي ، هلال / ١١٨

٣) ينظر :رسائل ابن الأثير / المقدسي / ١١٦

/ معالجة) [١] ، و(مسائلا / جود – خطاب / جواب) [٢]، و(قارف ذنبا / عقابا – طلته غمامة / أحيت أرضه) [٣] ، و(دعائه / يتقبله)[٤] ، و(إحسان / طاعة – يحسن المحسن / طلبا للثواب)[٥].

فمثل هذه العلاقات الدلالية بين الجمل من شأنها أن تقوّي الترابط بينها وذلك باستدعاء الجملة التي تمثّل السبب ، للجملة التي تمثّل النتيجة.

٣-علاقة الجزء بالكل : –

وهي من العلاقات التى تظهر في النّص عندما يصف منتج النّص شيئاً عامّاً بأجزائه المكونة له .

ولا تعكس رسائل ابن الأثير هذه العلاقة بصورة وصفية مطولة تمثلها جمل متتالية في الرسائل ، بل إن أغلب نماذج المصاحبة من هذا النوع من العلاقة تأتي بلفظتين تجمعهما علاقة الجزء بالكل ، وقد تأتي في حدود الجملة أو أكثر باستثناء ما نجده في بعض الرسائل ، كالرسالة رقم (١٠) التى يستطرد فيها ببيان أجزاء الجو الحجازي : ((ولقد تشوّق الجو الحجازي إليه تشوّق السامع إلى أن يرى ، وود أن يصافح بقدمه الكريمة صفحة ذلك الثرى . فأيُّ زهرة به لم تخرج من حجابها ،أم أيُّ تلعة لم تسل أندية شعابها ، أم أيُّ خيمة لم تنزع أوتادها للقائه ، أم أيُّ قليب لم تفض جمته لإسقائه ، ولم يكن للحداة ارتجاز إلا بمدائحه التي تبقي المطايا على مراحها ، وتمنع الفيافي من استرجاع ما بنته في أشباحها)) [٦] .

فهو يستطرد في تعداد الأجزاء المكوّنة للجو الحجازي (الثرى – زهرة – تلعة – شعاب – خيمة – أوتاد – قليب – حداة – مطايا – الفيافي) . ولا يخفى ما لوجود

---

[١]) ينظر :رسائل ابن الأثير / هلال / ١١٢– ١١٣

[٢]) ينظر :رسائل ابن الأثير / القيسي ، هلال / ١٤٤– ١٤٥

[٣]) ينظر :رسائل ابن الاثير / هلال / ٩٧–٩٨

[٤]) ينظر :رسائل ابن الأثير / القيسي ، هلال / ١٢٠

[٥]) ينظر :رسائل ابن الأثير / المقدسي / ٣١٠

[٦]) المصدر نفسه / ١٧٩

هذه العناصر الجزئية في هذه الجمل وارتباطها بعنصر عام (الجو الحجازي) من أثر في لملمة هذه الجمل وربطها بالكلّ الجامع لها .

ومثل ذلك ما نجده في الرسالة رقم (١٩) التي يصف فيها مجلس خمر ، ويصف ساقي الخمر في ضوء ذكر أوصافه الجزئية ، فيقول : ((وطاف بها علينا ساقٍ ... فبمنظره ينتقل من دون نقلها ، وبريقه يغترف من صفوة سجلها ، وهو يسعى بها ومن طرفه بمثلها، ونحن من الوجد به في حر هجيرة ، ومن استجلاء وجهه في روضة ريا مطيره ، ومن بين خصره وقده في قصيرة عن طويلة)) [١].

فالألفاظ (منظره – بريقه – طرفه – وجهه – خصره – قده) كلّها تعود إلى الساقي ، وترتبط به . وهذا إذا ما تجاوزنا العناصر الجزئية التى ترتبط بالوحدة الكلية لهذه الرسالة وهي (أصحاب الجلسة – الحديقة – المغني – الخمر – الساقي) ، فهذه العناصر هي المكونة لمجلس الشرب ، وتربطها به علاقة الجزء بالكل ، وفي ضوء هذا الارتباط يتحقق سبك النّص .

ونجد في الرسائل الأخرى أنّ نماذج المصاحبة التى تمثل علاقة الجزء بالكل تكون أقل من هذا الاستطراد ، فالربط يكون بكلمة أو كلمتين ترتبطان بالكل العام الجامع لها ، إلا أن مدى الربط قد يختلف ، فقد يكون في حدود الجملة ،كما في الرسالة رقم (١٤) :((فلا حملت الأشجار ثمارا ، ولا أخرجت أزهارا)) [٢]، وقد يكون الربط خارج حدود الجملة ، كما في الرسالة رقم (٣٥) :((ودخلوا من لجة البحر من لهواتها ... وجاءت مراكب العدو مستلئمة ... وقد أجفل الموج عن لقائها)) [٣] ، فقد فصل بين (البحر) و (الموج) بأكثر من جملة ؛ فزاد بذلك مدى الربط بين الجمل بوساطة هذه الوسيلة.

وعلى هذا النحو نلاحظ أنّ المصاحبة التي تمثلها علاقة الجزء بالكل – على قلتها مقارنة بالعلاقة الأخرى – تسهم بسبك النّص في ضوء الخيوط الدلالية التى

---

١) رسائل ابن الأثير / المقدسي / ٧٤

٢) المصدر نفسه / ٢٧٥

٣) رسائل ابن الأثير / القيسي ، هلال / ٧٢

تنسجها بين الشيء العام وبين أجزائه المكونة له والممتدة على سطح النّص ، وعلى قدر مسافة امتداد العناصر الجزئية يتوقف مدى الربط بين الجمل.

٤-علاقة التلازم الذكري :-

تبرز علاقة التلازم الذكري في الألفاظ التي اعتادت المجيء سويّا ، التي لا تحتمل وضعها تحت أي نوع من أنواع العلاقات السابقة الذكر (علاقة التضاد والتقابل ، وعلاقة السبب بالنتيجة ، وعلاقة الجزء بالكل) ، فهي علاقة تنضوي إليها الكثير من العلاقات الفرعية والجزئية المتداخلة فيما بينها .

وهذا النوع من المصاحبة يعمل كسابقه من الأنواع في إحكام الربط بين الجمل في ضوء العلاقة الدلالية بين الألفاظ .

ويختلف مدى الربط في هذا النوع من المصاحبة ، فقد يكون الربط داخل حدود الجملة الواحدة ، كما ورد في الرسالة رقم (٢) : ((غير أنه قد ظهر على قلمي وكتابه ... ولا فرق بين وقع الهموم من القلوب ... وقد يجفو الوالد على ولده ... والغيث يتلظى برقه)) [١] . فالألفاظ المتلازمة (قلمي / كتابه – هموم / قلوب – الوالد / الولد – الغيث / برقه) جاءت في حدود الجملة الواحدة .

وقد يكون الربط بين جملتين ، كما ورد في الرسالة رقم (٤) : ((وجملة الأمر أنّه لا زال جفن السحاب بها ساكباً ، وإن بدا لنا خدّ الشمس فلا يبدو إلا شاحباً)). [٢] فحصل الربط بين الجملتين بوساطة الألفاظ (السحاب / الشمس) . وكذلك ما ورد في الرسالة (٣٤) : ((ولا تزف إلا لمن يقوم بأمرها ، ويسمح بإغلاء مهرها)) [٣] ، فالعلاقة بين (الزفاف / المهر) ساعدت على الربط بين الجملتين .

---

١) رسائل ابن الأثير / المقدسي / ٣٠١- ٣٠٣

٢) رسائل ابن الأثير / القيسي ، هلال / ١١٨

٣) المصدر نفسه / ٦٥

وقد يتعدّى الربط حدود الجملة والجملتين ، ليصل إلى العديد من الجمل ، كما ورد في الرسالة رقم (٣) : ((فهل علم أنّ منطقي صار نطاقاً ، وأنّ قلمي رفع له لواءً خفاقاً ، وأنّ مدادي وقرطاسي تمثّلا في وجوه أيامه أحداقاً)) [١].

فالألفاظ (منطقي / قلمي / مدادي / قرطاسي) ربطت بين العديد من الجمل في ضوء العلاقة الدلالية التي تجمعها .

وعلى هذا النحو نجد أن المصاحبة المعجمية بعلاقاتها المتنوعة تعمل بالتظافر مع أنواع التكرار في تحقيق السبك المعجمي للنصوص ، وتستمد المصاحبة المعجمية هذه الطاقة الوظيفية من الأبعاد الدلالية التداولية للألفاظ المتصاحبة ، فهي تأخذ بيد القارئ لتلمس أواصر الارتباط والتلاحم بين جمل النّص ، فيعلق بعضها ببعض محققة بذلك السبك النصي .

أنواع الربط المعجمي في رسائل ابن الأثير

رقم الرسالة	التكرار			المصاحبة المعجمية (التضام)				المجموع
	مباشر	جزئي	ترادف	تقابل وتضاد	سبب ونتيجة	جزء بكل	تلازم ذكري	
١	١٣	٣٠	٢	٧	--	٣	١٠	٦٥
٢	١٩	٢٩	--	١٤	٣	--	١٦	٨١
٣	٧	١٦	٣	٤	--	٣	٩	٤٢
٤	٩	١٨	١	٣	٦	١	٧	٤٥
٥	١٣	٢٨	١	٨	١	٢	٩	٦٢
٦	١٢	١٦	٤	٨	٢	--	٧	٤٩
٧	٧	١٩	٢	٧	٢	٤	٨	٤٩
٨	٥	٢٥	--	٤	١	١	٧	٤٣
٩	٥	١٠	--	٣	٢	--	٢	٢٢
١٠	٦	١٠	٢	--	--	١٠	٧	٣٥
١١	٩	١٦	٣	٢	٢	--	٤	٣٦
١٢	٢	١٨	٢	٨	--	--	٢	٣٢

[١]) رسائل ابن الأثير / هلال /١٢٣

١٣	٤	٧	--	٢	--	٢	--	١٥
١٤	١٠	٨	٢	٣	--	٢	١	٢٦
١٥	٥	٢٢	--	٣	١	--	٨	٣٩
١٦	١٢	١٠	٢	٧	--	--	٤	٣٥
١٧	٢١	٢٧	٢	٤	١	١	٢	٥٨
١٨	٥	٩	٣	٦	١	٢	٥	٣١
١٩	٩	٢٣	٢	١٧	--	٢	--	٥٣
٢٠	٧	١٨	١	١٤	--	--	٢	٤٢
٢١	٧	١٩	٣	٤	--	--	--	٣٣
٢٢	١٦	١٥	١	٥	--	--	٥	٤٢
٢٣	٨	١٥	٢	٦	٢	١	٣	٣٧
٢٤	٥	١٠	٥	١	٢	--	٤	٢٧
٢٥	٧	٦	٣	١	١	١	١	٢٠
٢٦	٥	١٥	٤	١٧	١	٢	٣	٤٧
٢٧	٤	١٩	٢	١٧	--	١	٤	٤٧
٢٨	١٧	٢٤	٤	٤	--	٣	٥	٥٧
٢٩	١٦	١٣	٣	٣	١	٣	٣	٤٢
٣٠	١١	٢١	٣	٤	--	--	٤	٤٣
٣١	٢٥	٤١	٢	١٩	--	٢	١٠	٩٩
٣٢	١٠	٢٣	١	١٤	٣	--	٧	٥٨
٣٣	٥	١٦	١	١٦	--	--	٨	٤٦
٣٤	٥	١٦	٥	٩	٢	--	١٢	٤٩
٣٥	٢١	١٩	٥	١٦	--	٣	٧	٧١
٣٦	٨	١٢	١	٦	١	--	٣	٣١
٣٧	٤	١٢	--	٣	--	--	٥	٢٤
٣٨	١٤	١٥	١	٣	--	١	١١	٤٥
٣٩	٢٧	٢٦	٣	٢٠	١	١	٥	٨٣
٤٠	١٤	٢١	١	١٢	٤	--	٣	٥٥
المجموع الكلي	٤٠٩	٧١٧	٨٢	٣٠٤	٤٠	٥١	٢١٣	١٨١٦

جدول رقم (٥)

يتبيّن لنا من الجدول السابق أنّ التكرار الجزئي هو أكثر أنواع التكرار ورودا في الرسائل ؛ وذلك بحكم طبيعة استعمال الكاتب لصور اشتقاقية متنوعة للجذر الواحد وهو يتحدث عن قضية أو فكرة معينة ؛ إذ إنّ في هذه الاشتقاقات من الحرية وعدم التقيد ما يمنح الكاتب مساحة أوسع في التعبير عن قضيته وهو يدور بين الاسمية والفعلية والصفة للمفردة نفسها .

ويتصدر (التقابل والتضاد) لائحة المصاحبة المعجمية ؛ وذلك لاعتماد الكاتب عليها في بناء الكثير من الجمل في الرسائل ، في ضوء ذكر الشيء ونقيضه أو ما يقابله في سياقات متعدّدة كما مرّ ذكره .

المبحث الرابع

السّبك الصّوتي في رسائل ابن الأثير

ينتمي ابن الأثير في كتاباته إلى مدرسة الصّناعة اللّفظية التي أوغلت في الزخرف اللّفظي ، فكانت هذه المدرسة مَعرضاً حافلاً بمختلف الأساليب اللّفظية البرّاقة من سجع وجناس وترصيع وغيرها من أساليب الصّنعة البديعيّة [١].

فما يكاد يبدأ القارئ بقراءة رسالة من رسائله حتى يشعر بتصاعد النّغم الموسيقي ، وهو ينتقل به من جملة إلى جملة ، ومن فقرة إلى فقرة . فلم تخلُ رسالة من سجع ، والجمل المتوازية في التركيب تكاد تبدأ من أوّل الرسالة إلى آخرها، خالقة بذلك سلسلة من الإيقاع الصّوتي المتغيّر بين الجمل .

فكلّ هذه الوسائل الصوتية تعمل على تقوية الارتباط بين الجمل .

والوسائل الصوتية التي تشتمل عليها رسائل ابن الأثير هي: –

أولاً:– السجع :–

إنّ الكثافة التي يسجلها السجع في حضوره في الرسائل لها أثر كبير في تحقيق الترابط بين أجزاء النّص ، ويبرز هذا الدور في ضوء اختصاص سلسلة من الجمل التي تمثّل وحدة دلالية صغرى بسجعة واحدة .

فالملاحظ أنّ ابن الأثير يعبر عن المعنى – في الغالب – عن طريق متتاليات من الجمل تجمعها سجعة واحدة ، وينتقل بالمعنى من متتالية إلى متتالية أخرى تحمل سجعة مغايرة عن سابقتها. إلا أن هذه المتتاليات تختلف فيما بينها بالطول والقصر ، فقد تمتد متتالية الجمل إلى مدى واسع في النص ، كما في الرسالة رقم (٢) التي يقول فيها : ((ولو كان صاحبها بمشهد منك لأصلتَ لساناً باتراً ، ولقام دونك ناصراً ، ولجادل السلطان فيك حاسراً ، حتّى يُقال هذا سعي من أبلى عُذره خائباً، وأدرك نجحه ظافراً)) [٢] .

---

[١]) ينظر : بلاغة الكتّاب في العصر العباسي / ١١٩،١٨٩

[٢]) رسائل ابن الاثير / المقدسي / ٣٠١

فهذه المتتالية مثّلت وحدة دلالية صغرى تضمّنت موقف الكاتب من صاحبه تجاه السلطان ، وارتبطت هذه الجمل فيما بينها بسجعه واحدة (باتراً – ناصراً – حاسراً – ظافراً) .

وأكثر ما نجد هذا الالتزام بالسجعة الواحدة إلى مسافة طويلة في مفتتحات الرسائل ، التي تمثل فقرة الدعاء للمرسل إليه ، كما في الرسالة رقم (٢٠) : ((آنس الله مجد سيدنا ، وسرّه بنعمه وأبهجه ، وأغراه بحبّ العلياء وألهجه ، وجعل المحامد مدخله ومخرجه ، وفتح لديه من باب السعادة مُرتجه ، ومنحه من كلّ فضل تمامه لا مخدجه))[١] .

وقد يعمد ابن الأثير إلى تغيير السجعة في فقرة الدعاء ، فينتقل بذلك من سجعة إلى سجعة أخرى ؛ لكسر الرتابة والابتعاد عن الملل ، كما في الرسالة(٣٦):((أدام الله أيامه ، وكفّ ببأسه شغب الدهر وعرامه ، وأمضى في مواقف القتال ومعارك الإفضال سيوفه وأقلامه ، ولا زالت أوامره للأيام رسوماً ، ومواهبه للآمال المجدبة غيوماً ، وآراؤه للآراء الضالة نجوماً ، وعزائمه للأولياء هماماً وللأعداء هموماً))[٢]، فانتقل من الأسجاع (أيامه – عرامه – أقلامه) إلى الأسجاع (رسوما – غيوما – نجوما – هموما) .

وفي مقابل هذا المدى الواسع في الربط بالأسجاع ، نجد في مواضع أخرى من الرسائل أنّ السجعة لا تربط إلا جملتين أو أكثر ، كما في الرسالة (٢٣) :((والخادم هو السفير بخطابه ،والخفير بكتابه ، وقد اعتاد من المجلس نفاذ القول ، وإسباغ الطَّول ، والإمداد بالحول والقوة لمن لا له قوة ولا حول))[٣] .

فقد اشتركت الجملة الأولى والثانية بالسجعة (خطابه – كتابه) ، ثم انتقل إلى معنى آخر فانتقل إلى سجعة أخرى أيضاً تربط الجمل فيما بينها ، وهي (القول – الطول – حول) .

---

١) رسائل ابن الأثير / هلال / ١٣٧

٢) رسائل ابن الأثير / القيسي ، هلال / ١٢٠

٣) رسائل ابن الأثير / هلال / ١١١

وتختلف الأسجاع في الرسالة الواحدة من ناحية الشطر ، فهناك أسجاع شطرها قصير ، كما في الرسالة رقم (٢) : ((شرح الله صدره ، ويسر أمره ، وجبر كسره ، وأرضى عنه دهره)) [١]. وبالمقابل هناك أسجاع شطرها طويل يمتدّ إلى أبعد من ذلك ، كما ورد في الرسالة نفسها : ((وليس الصديقان إلا واحد في المعنى ، وإن كانا اثنين في الصورة ، وهذه حالة لا يعرفها إلّا قليل من الناس وهي عند الأكثر منكورة))[٢]. فالسجع على قلته هنا حقّق ربطاً أوسع في المدى مقارنة بسابقه الذي اعتمد الكثافة في الربط .

وممّا تجدر الإشارة إليه أنّ ابن الأثير لم يقتصر على نوع واحد من السجع ، بل أورد السجع المرصّع كما ورد في الرسالة رقم (٤):((وإنها مناب لقياه ، وتشفي أوام غلتي الذي لولاها لم أطمع في سقياه))[٣].

وأورد السجع المطرّف كما ورد في الرسالة نفسها : ((وقد علم ... إنّ كتبه طب أوصابي ، وريحان شرابي))[٤] .

وعلى هذا النحو نلاحظ أنّ السجع وسيلة صوتية مهمّة ، لها أثر كبير في سبك النّص ، فهو الخيط الذي ينظّم عقود الجمل المتفرّقة فيشكّلها على شكل مجاميع ومصفوفات متنوّعة في الإيقاع لتكون ذات أثر في وقعها على الأسماع .

فالقارئ يشعر وهو يقرأ رسائل ابن الأثير أنّ السجع ينقله من نغمة إلى نغمة ، وهو في انتقاله هذا ينقل القارئ من معنى إلى معنى آخر ، وكلّ ذلك بفعل السّجع وبالتضافر مع الوسائل الأخرى للسّبك (النّحوي والمعجمي) .

---

١) رسائل ابن الأثير / المقدسي / ٣٠١

٢) المصدر نفسه / الموضع نفسه

٣) رسائل ابن الأثير / القيسي ، هلال / ١١٨

٤) المصدر نفسه / الموضع نفسه

ثانيا- الجناس :-

يبرز الدور الوظيفي للجناس في ضوء التآلف الذي يخلقه بين لفظتين أو أكثر في عناصرها اللّفظية أو الدلالية ، بحيث يمثل هذا التآلف علاقة يستجيب لها المتلقّي في حمل إحدى اللّفظتين على الأخرى .

ولا يصل الجناس في رسائل ابن الأثير إلى مستوى الدور الوظيفي الذي حقّقه السجع في ترابط أجزاء نصوص الرسائل ؛ وذلك لقلّة وروده فيها، فلم ترد نماذج للجناس التام إلا في النادر، كما في الرسالة رقم (١٠) : ((فالعجيب من وجوب الحجّ عليه وجوده لم يُبقِ زاداً ولا راحلة ، وشِيَمَه الأبكار لم يكن لها ذو رحم محرم حتّى تكون معه راحلة)) [١]. فـ(راحلة) الأولى بمعنى الناقة ، و(راحلة) الثانية اسم فاعل من رَحَل . وهذه الكلمات المتجانسة ربطت الجملة الأولى بالثانية عن طريق التشابه اللّفظي ، والاختلاف الدلالي ، ((ففي لحظة تكرار اللفظ بتمامه ، يرتدّ في ذهن السامع / القاري ، أو يرتد ذهنه إلى الطرف الأول من طرفي الجناس ، فيجد اللّفظ هو نفسه ، ومن ثمّ – ظنّا – المعنى المعجمي هو نفسه ، فبينهما – توهّما – سبك – معجمي ... ثم حين يعود إلى السّياق ... يتبيّن له زيف ما ظنه)) [٢].

على حين نجد بقيّة النماذج التي وردت في الرسائل من الجناس الناقص ، ولم تكن مستقلة بدورها في السّبك النّصي بل تضافرت مع عناصر سبك أخرى أسهمت بمجموعها في إحكام الربط بين الجمل . وأبرز ما يمكن ملاحظته هو ذلك التداخل أو التعانق بين السجع والجناس [٣]، فأغلب الكلمات المتجانسة جاءت في نهاية التراكيب لتؤدي وظيفة واحدة في الربط بالسجع والجناس ، كما في الرسالة رقم (٦) : ((فهو عتادي الذي أُكثر به وجدي ، وألقى بسلاحه جيش الدهر وحدي))[٤] .

---

١) رسائل ابن الأثير / المقدسي / ١٨٠

٢) البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصّية / ١٠٥

٣) ينظر : نظرية علم النص / ١٢٠

٤) رسائل ابن الأثير / هلال / ٨٥

والرسالة رقم (٢٠) : ((ويكفي فلانا أنّ مودته من هذه المودات معدودة ، ولا لوم على من ردّها عليه ؛ فإنّ السلعة المعيبة مردودة))[١].

فالألفاظ (وجدي / وحدي) ، و (معدودة / مردودة) هي نهايات مكونة من سجع وجناس اتحدت فيما بينها لتؤدّي وظيفة الربط في النّص .

((فالقارئ يتوهم أنّ الكاتب يقصد مجرّد التجنيس بين كلمتين ، فإذا به يرى ما بينها من سجع ، فيدعم ذلك المعنى عنده ويجعله أشدّ بروزا لقارئه))[٢].

ويتّضح التداخل بين الجناس وعناصر السّبك الأخرى من جانب آخر وهو فيما إذا كان بين الكلمتين المتجانستين علاقة دلالية ، كالتّضاد ، والترادف ، أو علاقة أخرى ، كما في الرسالة رقم (٢٣) : ((فهو يشكو من هذا ضعف الجوارح ، ومن هذا إضعاف الجوانح))[٣].

فالألفاظ (جوارح / جوانح) بينهما تقابل ، وهو من عناصر السّبك المعجمي مضافاً لما فيها من جناس ، وقد عملت هاتان اللفظتان بحكم (التقابل والجناس) على ربط الجمل فيما بينها .

وقد تكون الألفاظ المتجانسة تربطها علاقة التضاد ، كما في الرسالة رقم (٣١) : ((وسبيلك أن تأتي أوقات الصلاة بدارا ، ولا تأتيها دبارا)) [٤] ، والرسالة رقم (٣) : ((وما ذلك إلا صونا لسمعه عن معرفة أخباري الراكدة ، وسوقي الكاسدة ، وأحوالي هي صلف تحت الراعدة))[٥]، فالألفاظ المتجانسة (بدارا / دبارا) و (الراكدة / الراعدة) ترتبط فيما بينها بعلاقة التضاد أيضا.

---

١) رسائل ابن الأثير / هلال / ١٣٨

٢) نظرية علم النص / ١٢٠

٣) رسائل ابن الأثير / هلال / ١١٢

٤) رسائل ابن الأثير / المقدسي / ١٢٦

٥) رسائل ابن الأثير / هلال / ١٢٣

وقد تربطها علاقة الترادف ، كـ(المهمات / الملمات) التي وردت في الرسالة (٣٦) : ((وينهي ... إعلامه بما يتجدد من المهمات ، والاستضاءة برأيه في دجى الحوادث والملمات))[١] .

وعلى هذا النحو نلاحظ أنّ الجناس له أثره في الربط بمؤازرة عناصر سبك أخرى تعمل مجتمعة لتقوى بذلك أواصر الربط بين الجمل . فالجناس يعطي هذه الروابط قيمة صوتية زيادة على ما فيها من قيمة معجمية ، وليس هذا إلا انعكاساً لقدرة الكاتب على توظيف هذه العناصر بصورة مكثّفة لتؤدّي دور الربط بين الجمل .

ثالثا- التوازي التركيبي : -

يؤدّي التوازي التركيبي في رسائل ابن الأثير وظيفة صوتية مهمّة تتمثّل في المحافظة على استمرارية التّقسيم الصّوتي الداخلي لنصوص الرسائل ، فهو يبحث في كيفية وجود روابط من نوع خاص بين الجمل تتمثل في التشابه التركيبي المدعم بالتماثل الصوتي لنهاياتها الذي يؤديه السجع [٢] .

وهذه الوسائل الصوتية تجعل المقطوعات النثرية موازية للوزن والقافية في الشعر ، فتبدو الجمل المتعاطفة والمتوازية وكأنها صدور وأعجاز قصيدة شعرية مترابطة الأجزاء ، موحدة في الوزن والقافية ، وهو ما سعى إليه كتاب ذلك العصر ، من رفع الحواجز بين النثر والشعر، فهو نثر منظوم ، أو هو شعر منثور [٣].

مثال ذلك ما نجده في الرسالة رقم (٥):((وقد ضمّنت هذا الكتاب من الأشواق ما لم يأتِ في نسيب الأشعار ، ولا في هديل الأطيار ، ولا في أحاديث الأسمار. ومن يملك مثل مودّتي حتى يشتاق مثل اشتياقي ، أو يملك مثل قلمي حتى يستنّطقه مثل استنطاقي ... وهو الذي يتلّفت نحوه جيدي ، وتطمح إليه عيني ، ويستعر

١) رسائل ابن الأثير / القيسي ، هلال / ١٢٠

٢) ينظر : نظرية علم النص / ١٠١

٣) ينظر : الفن ومذاهبه في النثر العربي / ٢٢٧

لتذكاره صدري ... والذي يفدينيه وهو قليل الاحتفال ، ويخضعن له وهو كثير الاستكبار... ووجدته متطيّبا من غير طيب ، ومذهّبا من غير إذهاب))[١].

فهذه السلسلة في المتوازيات التركيبية التي تغطي النّص ترتبط فيما بينها عن طريق ذلك الإيقاع التركيبي المتآلف فيما بينها ، وهو تآلف صوتي يدفع القارىء إلى حمل كلّ جملة أو عبارة على ما يناظرها وزنا وتركيبا من الجمل والعبارات .

ويقوّي هذا الارتباط ما خُتِمت به هذه الجمل من نهايات صوتية متطابقة ، والمتمثّلة بالسجع ، مضافاً لما لأداة العطف من دور في جمع هذه الجمل وإعادتها إلى مرجع واحد ، فكلّ هذه الوسائل أسهمت في سبك وحدة هذه الجمل .

وتتعدّد أشكال التوازي التركيبيّ في الرسائل فهناك التوازي التام ، كما في الرسالة رقم (٢) : ((شرح الله صدره ، ويسّر أمره ، وجبر كسره ... ولا فرق بين وقع الهموم من القلوب ، ووقع الجراح من الأجسام))[٢].

وهناك التوازي الجزئي المتمثل بزيادة أو نقيصة في إحدى الجمل، كما في الرسالة رقم (١٢) : ((وتبعث على الوقوف بموقف لا يسلب عن صاحبه ثوب الوقار ، ولا يحرمه ثواب الأبرار)) [٣] .

وهناك التوازي في الجملة ، كما في الرسالة رقم (٣) : ((فلا يظن اختصاري على نسبة ما أجده ، ولا إبرادي على حسب ما أورده))[٤] .

وهناك التوازي في العبارة ، كما في الرسالة رقم (٤) : ((على أنّ فيما لقيته من هِنات الأيام عذراً لخاطري أن يُنشي ، وقلمي أن يمشي))[٥] .

وعلى هذا النحو نلاحظ أنّ التوازي التركيبي على تعدّد أشكاله وتضافره مع وسائل السّبك الأخرى ، يعكس قدرة الكاتب في توظيف هذه البُنى التركيبية في بناء نصّه النثري وإحكام سبكه .

---

١) رسائل ابن الأثير / المقدسي / ١٢١

٢) المصدر نفسه / ٣٠١

٣) المصدر نفسه / ٢٣٧ – ٢٣٨

٤) رسائل ابن الأثير / هلال / ١٢٤

٥) رسائل ابن الأثير / القيسي ، هلال/ ١١٨

وسائل السبك الصوتي في رسائل ابن الأثير

رقم الرسالة	السجع	الجناس	التوازي التركيبي	
			تام	جزئي
١	٤٥	١	٥	٤
٢	٥٦	٦	١٤	٩
٣	٢٧	٥	٢	١٠
٤	٢٧	٤	٩	٢
٥	٣٤	٣	٧	١
٦	٢٦	٣	٩	٦
٧	٢٧	١	٣	١
٨	٢٣	٤	١	٢
٩	١٥	--	٣	١
١٠	٢١	٢	--	--
١١	٢١	--	٣	٢
١٢	٢٠	١	٣	٧
١٣	٩	١	٢	--
١٤	١٦	--	٤	٢
١٥	٢٩	٤	٦	١
١٦	٢٩	--	٤	٩
١٧	٣٥	٢	٣	٣
١٨	٣٤	٥	٣	١٠
١٩	٤٥	٢	٦	١٢
٢٠	٣٦	٢	٥	٦
٢١	٢٢	١	٣	٥
٢٢	٢٦	٣	٥	٢
٢٣	٣٥	٩	١١	٢
٢٤	٣٠	٩	١٢	١
٢٥	١٧	٢	٣	٢
٢٦	٤٢	٣	٩	٨
٢٧	٣٤	٣	٤	٢
٢٨	٢٧	٢	--	--
٢٩	٢٦	٢	٢	٣

٣٠	٢٠	--	٤	١
٣١	٧٠	١١	٩	١
٣٢	٣٢	٥	٨	٩
٣٣	٣٣	١	٦	٦
٣٤	٤٦	٥	١٤	٣
٣٥	٥١	١٠	٨	٤
٣٦	٢٦	٣	٤	٢
٣٧	٢٠	٣	٢	٢
٣٨	٣٧	٢	١٠	٦
٣٩	٤٨	٤	٥	٤
٤٠	٢٨	٢	٤	٣
المجموع	١٢٤٥	١٢٦	٢١٥	١٥٤

جدول رقم (٦)

يتبيّن لنا من الجدول السابق أنّ السجع من أكثر الوسائل الصوتية استعمالاً في نصوص الرسائل ، فهو من العناصر الرئيسة التي يعتمد عليها الكاتب في بناء وحداته الدلالية الصغرى ، وبالتضافر مع التوازي التركيبي الذي يأتي في نسبة توظيفه بعد السجع ؛ فتزيد بذلك قوة الربط الصوتي بين فقرات جمل الرسائل.

الفصل الثانـي

الحبـك في علم لغة النّص وفي رسائل ابـن الأثـيـر

المبـحث الأول : مفـهوم الحبـك في علم لغة النّص

المبـحث الثانـي : مظاهر الحبـك في رسائل ابـن الأثـيـر

توطئة

يُعد الترابط الدلالي للنّصوص مكمّلاً للترابط الشّكلي الذي يمثّله السّبك ، فالكثير من النّصوص تظهر قَدَراً من الترابط التركيبي بين الجمل بفضل أدوات تكون وظيفتها الأساسية الربط ، إلا أنّها لا تحقّق ذلك الترابط الدلالي بينها ؛ ومن ثم فلا يمكن عدّها نصوصاً .

فالعلاقة بين هذين المعيارين (السّبك والحبك) وثيقة جدّاً إلى الحدّ الذي دفع بعض الباحثين إلى توحيدهما في مصطلح واحد وهو (التماسك النّصي) الذي يبحث في التّماسك الشكلي والدلالي للنّصوص [١] .

ومصطلح (الحبك) كمصطلح (السّبك) في تعدد تسمياته بين الباحثين ، فمنهم من أطلق عليه مصطلح (الالتحام)[٢]، ومنهم من أطلق عليه (التقارن)[٣] ، ومنهم من أطلق عليه مصطلح (الانسجام)[٤] ، ومنهم من أطلق عليه مصطلح (الحبك)[٥].

وقد اختير مصطلح الحبك لوضوح دلالته ، وارتباطها بين اللّغة والاصطلاح . فهو يعني لغةً التوثيق .

يقول الزمخشري : ((بناء محبك : موثق . وحبكت العقدة: وثّقتها))[٦].

ومعناه الاصطلاحي أيضاً لا يبتعد من هذا المفهوم ، فهو يدور حول التماسك والارتباط كما سيتبيّن لنا في هذا المبحث إن شاء الله (تعالى) ، زيادة على ذلك ورود هذا المصطلح في التراث مصاحباً لمصطلح السّبك كما مرّ ذكره في الفصل الأول ،

---

١) ينظر: نحو النّص بين الأصالة والحداثة /١٢١

٢) النّص والخطاب والإجراء /٨

٣) مدخل الى علم لغة النّص /١٢٠

٤) ينظر : لسانيات النّص ، مدخل إلى انسجام الخطاب/٣٤

٥) نحو آجرومية للنّص الشعري /١٥٤ ،والبديع بيع البلاغة العربية واللسانيات النّصية /١٤١

٦) أساس البلاغة : ١٦٥/١ مادة (حبك)

فقد أورده أسامة بن منقذ في كتابه (البديع في نقد الشعر)، قال :((خير الكلام المحبوك المسبوك الذي يأخذ بعضه برقاب بعض))[1] .

[1]) البديع في نقد الشعر /١٦٣

المبحث الأول
مفهوم الحبك في علم لغة النّص

إذا كان السبك معيار يُعنى بظاهر النص ، وبكيفية ترابط العناصر السطحية له ، فإن ((الحبك في النّص هو البنية التحتية لأدوات الربط الظاهرة))[١] ، فهو مفهوم يختص بترابط الجوانب الدلالية للنّص ، والبحث عن العلاقات التي تحكم هذه الجوانب .

فهو ((يتطلب من الإجراءات ما تنشط به عناصر المعرفة لإيجاد الترابط المفهومي واسترجاعه))[٢].

فلا بدّ من أن تكون هيئة المفاهيم في النّص مترابطة على نحو يستدعي فيه بعضها بعضاً ، ويتعلّق بعضها ببعض، ((ويمكن تعريف المفهوم بأنّه محتوى مدرك ، يمكن استعادته أو تنشيطه بدرجات متفاوتة من الوحدة والاتّساق في العقل ، أمّا العلاقات فهي حلقات الاتّصال بين المفاهيم))[٣].

((فالحبك هو الذي يحدّد تلك العلاقات الدلالية التحتية التي تسمح للنّص بأن يُفهم ويُستخدم ، وهذه العلاقات الدلاليـة مـن القوة بحيث تعطي النّص مظهره ووحدته))[٤].

وعلى هذا يبدو الحبك أعمق من السّبك ، إذ يطلب الحبك من المتلقّي تجاوز البنية الشكلية للنّص والغوص إلى أعماق النّص للكشف عن العلاقات الخفية القائمة داخل النّص ، التي تحكم ترابطه الدلالي ، وتجعله وحدة متماسكة . فهو ظاهرة تشتمل على تفاعل القارئ مع النّص[٥].

---

١) نظرية علم النّص / ١٢٧

٢) النّص والخطاب والإجراء /١٠٣

٣) نحو آجرومية للنّص الشعري /١٤٥

٤) نظرية علم النّص /١٢٧

٥) ينظر : علم لغة النّص ، النظرية والتطبيق /١٨٤

فقد ربط علماء النّص بين النّص والمتلقّي في دراستهم الحبك ، وبصورة أعمّ ربطوا بين النّص والسياق الذي يقع ضمنه المتلقّي ، فحبك النّصوص يُدرك عِبر المتلقّي[١].

ومن الطبيعي أنّ المتلقّي وهو يواجه أيّ نصّ لا يواجهه خالي الذهن ، بل يستعين على فهمه بتجاربه السابقة وما تراكم لديه من معرفة قارئاً متمرّساً قادراً على الاحتفاظ بالخطوط العريضة للنّصوص ، والتجارب التي سبق وأن قرأها أو عالجها.[٢] وأكثر ما يبرز هذا الدور للقارئ عندما يواجه نصوصا غير مسبوكة سبكاً تامّاً ، فعليه في هذه الحالة أن يعيد حبك النّص ويعيد بناء روابطه الدلالية[٣].

وفي هذا الجانب يبرز البُعد البراجماتي للحبك[٤]،((فالتماسك النّصي سمة لا تدرك فقط من خلال البنى النحوية المناسبة ، ولكن تدرك أيضاً من خلال التفاعل مع التغيرات السياقية التي يندرج تحتها قصد المتكلم / الكاتب ، ومعرفة الجمهور وتوقعاتهم ، ووظيفة النّص ، والمعلومات المقدمة ، والمكان والزمان))[٥] .

ومن هنا يتبين لنا أنّ الحبك يرتكز على ركيزتين : الأولى داخل النّص تمثّلها الأدوات الظاهرة . والثانية (براجماتية) تمثلها سياقات النص[٦] .

مظاهر الحبك : ويتضمّن :-

أولاً: المظهر المضموني للحبك :-

تبيّن لنا فيما سبق أنّ مفهوم الحبك يتمثّل في البنية التحتية الدلالية للنّص ، التي تتكوّن من المفاهيم ، والعلاقات الرابطة بين هذه المفاهيم .

---

١) ينظر: الخطاب الأدبي ورهانات التأويل /١٤٩

٢) ينظر : لسانيات النّص ، مدخل إلى انسجام الخطاب /٦١

٣) ينظر : المصدر نفسه /٥

٤) ينظر : المصطلح اللساني وتأسيس المفهوم /١٠٧

٥) علم لغة النّص ، النظرية والتطبيق /١٨٧

٦) ينظر : نظرية علم النّص /١٢٧

فالمفاهيم والعلاقات هي التي تكوّن القاعدة الدلالية للنّص ، وفيما يأتي عناصر تلك القاعدة :-

١-القضية :-

((كلّ قضية تتكون من خبر (محمول)،ومقولة (موضوع)،أو مقولات ترتبط به)).[١]

مثل :- المرشد رسم المكان بالفرشاة

مقولة (١) خبر مقولة (٢) مقولة (٣)

فكلّ جملة أو أكثر في النّص تمثل قضية معينة ، وبتضافر وانتظام مجموع هذه القضايا الجزئية تتكوّن القضية الكبرى للنص[٢].

((لقد طوّر فان دايك هذا المنهج ، فميز بين بنى النّص الصغرى ، وبناه الكبرى ... ويعتبر أنّه يمكن تنسيق قضايا النّص في مستويات هرمية بحيث تكون بعض القضايا الصغرى قضية جديدة كبرى ، ويمكن أن تصبح هي الأخرى جزءاً من قضية كبرى للمستوى الذي فوقها)).[٣]

ولا بدّ من وجود قواعد لعمل ربط بين الأبنية الصغرى والأبنية الكبرى ، إذ الأمر يتعلّق بأبنية دلالية قضوية تتشكّل بوصفها سلاسل من القضايا مرتبطة بسلاسل من القضايا ، ويطلق فان دايك على هذه القواعد اسم (القواعد الكبرى)[٤].

وتكمن الوظيفة الدلالية للأبنية الكبرى وهذه القواعد في بناء وحدات من سلاسل القضايا بوصفها تابعة لبعضها في ضوء القضية الأعم.[٥]

((إن الروابط والعلاقات الدلالية التي تربط بين الأبنية داخل المتتالية النّصية يعبر عن بعضها البعض على نحو صريح ، وبعضهما يمكن استنتاجه أثناء عملية التفسير من خلال المعرفة العامة أو المعرفة المسبقة))[٦].

---

١) نظرية علم النّص /١٢٩

٢) ينظر : علم لغة النّص ، النظرية والتطبيق / ١٩٥

٣) مقالات في تحليل الخطاب / ٦١

٤) ينظر : علم النص، مدخل متداخل الاختصاصات /٧٧

٥) ينظر : المصدر نفسه /٧٨

٦) علم لغة النّص ،النظرية والتطبيق / ١٩٥

وهذه القواعد التي قدّمها فان دايك هي [1] :-

أ- الحذف :-

وتتضمّن هذه القاعدة كلّ معلومة قليلة الأهمية ، أو غير جوهرية ، أو ثانوية بالنسبة إلى المعنى ، يمكن أن تُحذَف. فعندما يكون لدينا مجموعة من الأقوال يمكننا ببساطة أن نحذف منها ما ليست له وظيفة يقوم بها في النّص ، أي ما لا يُعدّ فرضاً تترتّب عليه نتائج في باقي النّص .

ب- الاختيار :-

وتتضمّن هذه القاعدة اختيار القضايا الضرورية لتفسير القضايا الأخرى ، فبعض القضايا الصغرى تكون مهمة بصفة خاصة ، أو وثيقة الصلة بالموضوع ؛ فتدخل في البنية الكبرى مثل :-

أ- اتجه أحمد إلى سيارته . ب- استقلها. ج- ذهب بها الى الإسكندرية

ففي ضوء هذه القاعدة يمكننا أن نحذف القضيتين (أ- ب) ؛ لأنّهما قيدان أو فرضيتان مسبقتان ، أو تابعتان لقضية أخرى وهي (جـ) ، بناءً على معرفتنا أن المرء إذا رغب في السفر يجب أن يتجه الى السيارة ثم يركبها .

ج- **التعميم :-**

تتضمّن هذه القاعدة إجمال بعض القضايا التفصيلية بقضية واحدة عامّة تتضمّن مفهوميّاً القضايا القديمة . مثل :-

أ- على الأرض كانت هناك دمية. **ب**- كان هناك قطار صغير.

ج- وكانت هناك مربّعات خشبية.

يمكن أن تضع بدلاً من هذه القضايا قضية واحدة عامة لجميع ما ورد في (أ ، ب ، ج) ، وهي :(على الأرض كانت هناك مجموعة من الُّلعب).

[1]) ينظر : بلاغة الخطاب وعلم النّص / ٢٥٧ ، و علم لغة النّص ،النظرية والتطبيق / ١٩٦

د - التركيب (الإدماج):-

وهي قاعدة مهمّة تتضمّن تكوين قضية وبناءها من مجموعة من القضايا، ووظيفتهما تشبه وظيفة القاعدة الثانية وهي الاختيار ، فأي موقف يتطلب مجموعة من الشروط والمواصفات والنتائج التي يمكن أن تكون في جملتها مفهوماً عامّاً كليّاً ، يمكن إعادة تكوينه في جملة واحدة . مثلما نجد في الأقوال الآتية :

أ- ذهبت إلى محطة القطار. **ب**- اشتريت تذكرة سفر. **ج**- اقتربت من الرصيف.
د- صعدت إلى القطار. **هـ** - جلست في مقعدي. **د**- تحرك القطار .
فهذه التفاصيل في جملتها متضمنة في قول واحد ، وهو : (ركبت القطار).

وقد أشار الباحثون في علم النّص إلى أنّ تطبيق هذه القواعد نسبي بين مستخدمي اللّغة؛ ((فالقرّاء يختارون من النّص عناصر مهمة ، تتباين باختلاف معارفهم واهتمامهم أو أرائهم. وعليه يمكن أن تتغير البنية الكبرى من شخص إلى آخر))[1].

وهناك مفهوم يتداخل مع مفهوم القضية الكبرى أو البنية الكبرى ، وهو مفهوم (موضوع الخطاب).

ويُحدَد (موضوع الخطاب) بوصفه ((بؤرة الخطاب التي توحّده ، وتكون الفكرة العامة له))[2].

وبعض النّصيين لا يفرّقون بين المفهومين على مستوى الوظيفة ؛ فالبنية الكلية تقوم بتنظيم الإخبار الدلالي المعقد في المعالجة وفي الذاكرة ، وهي وظيفة لا تكاد تختلف عن وظيفة موضوع الخطاب. على أنّ الفرق بين الاثنين هو أنّ تأسيس البنية الكلية يتم عبر عمليات الحذف والاختزال السابقة ، على حين أن موضوع الخطاب يتم رصده عن طريق مجموعة من الجمل التي تخص هذا الموضوع ، وفي كلا الحالين تكون النتيجة التي نصل إليها متطابقة[3].

---

[1]) بلاغة الخطاب وعلم النّص / ٢٥٦

[2]) علم لغة النّص ، النظرية والتطبيق / ١٩١

[3]) ينظر : لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب / ٢٧٦-٢٧٧

وفي مقابل ذلك يرى بعضهم اختلافاً بين المفهومين ؛((فالموضوع طريقة يستسيغها حدسنا اللّغوي ، وتمكّننا من وصف ذلك المبدأ الجامع الذي يجعل من مقطع خطابي ما حديثاً عن شيءٍ ما ، ومن المقطع الموالي حديثاً عن شيءٍ آخر. أمّا القضية الكبرى عند فان دايك فهي قضية معقدة ناجمة منطقيّاً عن اجتماع مجموعة من القضايا التي تم التعبير عنها من خلال سلسلة الجمل في النص))[١].

ولا بدّ من الإشارة هنا إلى ما يؤديه مفهوم التغريض من دور في معرفة البنية الكبرى للنّص . ويعني مفهوم التغريض ((الارتباط الوثيق بين ما يدور في الخطاب وأجزائه ، وبين عنوان الخطاب أو نقطة بدايته)) [٢].

فللعنوان وللجملة الأولى في النّص أهمية كبيرة في التحليل النصي من حيث العلاقة مع باقي أجزاء النّص ، فالتغريض في النصوص يكوّن المركز الذي تدور حوله باقي أجزاء النّص .

والطرق التي يتم بها التغريض متعدّدة ، منها تكرير اسم الشخص ، أو استعمال ضمير محيل إليه ، أو تكرير جزء من اسمه ، أو استعمال ظرف زمان يخدم خاصية من خصائصه ، أو تحديد دور من أدواره في مدة زمنية[٣].

وعلى هذا النحو نلاحظ أن التغريض يسهم في توجيه ذهن المتلقي إلى البنية الكبرى للنّص بما يؤديه من وظيفة إدراكية مهمة تهيئ المتلقي لبناء تفسير للنّص أو ما يخبر به النّص .

٢- العلاقات الدلالية للحبك :-

كان للباحثين في علم لغة النّص أثر كبير ومهم في دراسة العلاقات والوسائل الدلالية التي تربط بين البنى النّصية ، إلا أنّ الملاحظ في نتاجات هؤلاء الباحثين

---

١) نظرية علم النّص / ١٥٤

٢) لسانيات النّص ، مدخل إلى انسجام الخطاب / ٥٩

٣) ينظر : المصدر نفسه / الموضع نفسه

هو التباين في ذكر أنواع هذه العلاقات ، فبعضها يرد في كتاب وبعضها في كتاب آخر من كتب اللّسانيات النّصية[١] .

وقد جمع هذه العلاقات وعرضها عرضاً مركّزاً أوجين نايدا في دراسته التي تحمل عنوان (العلاقات الدلالية بين البنيات النووّية) التي يركّز فيها على عرض العلاقات الدلالية فيما بين مفهومين ، أو بنيتين ، أو حدثين .

وقد صنف هذه العلاقات تصنيفات متفرعة منها[٢]:-

أ- علاقات الربط :-

وتُقسّم على علاقات إضافية ، وعلاقات ثنائية.

١- **العلاقات الإضافية** :- وتتضمن العلاقة الإضافية المتكافئة ، والعلاقة الإضافية المختلفة. أما المتكافئة فهي التي تشتمل على تعبيرين متماثلين تماماً، مثل (هو لم يمكث ، هو غادر). فالعلاقة بين هذين التعبيرين هي علاقة تكافؤ ؛ لأن المعنى واحد ، ولكن في أشكال سطحية مختلفة وهو ما يرد تحت مصطلح (إعادة الصياغة) أو الترادف[٣].

وأمّا العلاقة الإضافية المختلفة ، فهي أكثر تعقيداً ، وتتمثّل في مجيء أفعال أو أنشطة متوازية تصدر من شخص واحد ، أو من شخصين مختلفين مثل :

- لقد نحَّى المجلة جانباً ، وأخذ كتاباً .

فثمّة أفعال أو أنشطة متوازية تصدر من شخص واحد (تنحية المجلة / أخذ الكتاب). وقد تصدر هذه الأنشطة من شخصين مختلفين مثل: (كانت تقرأ المجلة ، وهو كان يقود السيارة).

٢-العلاقات الثنائية :-

وتتضمّن العلاقة الثنائية الإبدالية ، والتقابلية ، والمقارنة .

أما العلاقة الإبدالية فهي التي تربط بين طرفين ، أو موقفين ، أو حدثين ، يكون

---

[١]) ينظر : البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية / ١٤٢

[٢]) ينظر : المصدر نفسه / ١٤٣- ١٤٨

[٣]) ينظر : نظرية علم النّص / ١٤٥

أحدهما بديلاً من الآخر . ويُعبَّر عنها بالأدوات (أو- أم) مثل: (أنا سوف آتي ، أو سيأتي هو) . وأما العلاقة التقابلية فهي التي تربط بين طرفين ، أو حدثين متقابلين على مستوى الكلمات أو مستوى القضايا ، كقوله -تعالى- : ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى (٥) وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى (٦) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى (٧) وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى (٨) وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى (٩) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى﴾. الليل /(٥-١٠)

وأمّا العلاقة المقارنة [١] ، فهي تقارن بين طرفين ، أو حدثين ، أو موقفين في السياق نفسه . كقوله -تعالى- ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ ﴾ فاطر /١٢

ب- علاقة الإجمال والتفصيل:-

وتعني إيراد معنى على سبيل الإجمال ، ثم تفصيله ، أو تفسيره ، أو تخصيصه. كقوله -تعالى- ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ (١٠٦) وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ آل عمران/ ١٠٦- ١٠٧

ج – علاقة الوصف :-

وتتمثّل هذه العلاقة بوصف مفهوم معين بجملة أو أكثر، ويكون للكل ، أو الجزء. مثل : (أطلقنا النار على الدب الذي قتل الولد) .أو يكون وصف للكيفية مثل : (جاء زيد راكباً حصانه) .

[١]) أحاط توظيف هذا المصطلح في كتابات الباحثين غموض جعل بعضهم يوظّفه في مفهوم (المقابلة) المتضمّن الإتيان بمعانٍ متوافقة ثم الاتيان بما يقابلها على الترتيب في البلاغة العربية ، وبعضهم يوظّفه في مفهوم (التفريق) المتضمّن إيقاع التباين بين أمرين من نوع واحد في المدح أو في غيره ، وهو المختار . ينظر : (البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية / ١٤٥-١٥٥ ، والترابط النّصي في ضوء التحليل اللساني للخطاب /٧٩)

د- العلاقات المنطقية :-

وهي العلاقات التي تعطي معقولية لكيفية تتابع قضايا النّص وتَسِمها دائماً بسِمة المنطقيّة ، وتشتمل على علاقة السبب بالنتيجة ، وعلاقة الشرط بالجواب .

أمّا علاقة السبب بالنتيجة فقد تتجاوز الربط بين القضايا الصغرى إلى الربط على مستوى الأفكار العامة والقضايا الكبرى [١] ، وهناك مجموعة من الأدوات تعبر عن هذه العلاقة ، مثل : (بسبب ، ومن أجل ، ولأن ، ولكي ، وغيرها) [٢].

ولا يقتصر الربط على هذه الأدوات،بل قد يكون التعبير عن هذه العلاقة أو غيرها دون التصريح بوسيلة ربط؛((ذلك بأن للناس طرقاً تنبؤية لتنظيم المعلومات))[٣] .

وأما علاقة الشرط بالجواب ، فتعبر عنها الأدوات (لو ، لولا ، إذا ، إن)[٤]، كقوله تعالى : ﴿لَوْكَانَفِيهِمَاآلِهَةٌإِلَّااللَّهُلَفَسَدَتَا﴾ الأنبياء /٢٢

هذه هي أغلب العلاقات الدلالية التي ذكرها نايدا ، التي تكاد تغطي ما أورده علماء لغة النّص الآخرين في كتبهم من وسائل تسهم في حبك النّص وتلاحمه دلاليّاً.

ثانياً :- المظهر الهيكلي للحبك (البنية العليا) : -

يدور مفهوم البنية العليا حول الهيكل العام لبناء النّص ، أو بتعبير آخر القالب الذي يصبُّ منتج النّص فيه نصّه . فهي ((نوع من المخطط المجرد الذي يحدد النظام الكلي لنص ما)). [٥]

((ولهذا فإنّ اختيار هيكل لتنظيم النّص يعدّ أحد القرارات الأساسية في عملية صنع النص ، فالخطاب لا يحتوي فقط على بنية المعنى ، ولكن يحتوي أيضاً على

---

١) ينظر : نظرية علم النّص / ١٤٤

٢) ينظر : علم لغة النّص والأسلوب / ٨٧

٣) النّص والخطاب والإجراء /٣٤٧

٤) ينظر : علم لغة النّص ، النظرية والتطبيق /٢١٢

٥) علم النّص ،مدخل متداخل الاختصاصات / ٢١٢

بنية الشكل ، أو البنية العليا ، أو هيكل الخطاب ، وداخل هذه البنية يمكن أن يتنوّع المحتوى)).[١]

وقد قُدمت تعريفات كثيرة لمصطلح الأبنية العليا تدور معظمها على مفهوم (الهيكل أو المخطط)، منها أنّ الأبنية العليا هي ((الهياكل العرفية التي تقدم الشكل العام لمحتوى البنية الكبرى للخطاب)) ،أو هي ((نوع من المخطط المجرد الذي يحدد النظام الكلي لنص ما ، ويرتكز على قواعد عرفية)) ، أو هي ((البنية التنظيمية للنص)).[٢]

فهي الطريقة أو الخطّة العامّة التي يسير عليها منتج النّص في ترتيب نصّه ، التي تساعد القارئ في تفسير النّص في ضوء معرفته بالمخطط العام للنّص ، فالأبنية العليا ((مخططات إنتاج وتفسير للنصوص)).[٣]

فمعرفة القارئ بالبنية العليا التي ينتمي إليها النّص تسهم في تعميق فهمه النّص . ففي ضوء هذه المعرفة تختلف قراءته لرواية مثلاً عن قراءته لقصيدة أو رسالة أو مقال . فهي معرفة تجعله يتوقّع المعلومات النّصية المرجوّة ؛ ممّا يساعده على اختزال النّص وتنظيمه في وحدة متماسكة وقابلة للفهم .[٤]

((وهناك أساسان للبنية العليا ،الأول هيكلي يستند إلى قواعد عرفية ، والثاني تداولي مرتبط بغرض الكاتب)).[٥] وهذا ما يفسّر لنا خروج بعض منتجي النصوص عن المظهر العام للبنية العليا الخاصة بأي جنس أدبي تبعاً لما تمليه عليهم الاعتبارات السياقية وموضوع الخطاب .

ومن هنا يتبيّن أنّ للحبك مظهرين ، مظهر مضموني يتمثّل في القضية الكبرى وموضوع الخطاب والعلاقات الدلالية الرابطة بين القضايا داخل النّص ، ومظهر هيكلي يتمثّل بالبنية العليا بوصفها أداة تنظيمية لأجزاء النّص .

---

١) علم لغة النّص ،النظرية والتطبيق /٢٤٣

٢) ينظر : المصدر نفسه / الموضع نفسه

٣) التحليل اللّغوي للنّص/٨٢

٤) ينظر : نظرية علم النّص / ١٥٧

٥) المصدر نفسه /الموضع نفسه

المبحث الثاني
مظاهر الحبك في رسائل ابن الأثير

أولاً: العلاقات الدّلالية:-

تُعدّ العلاقات الدّلالية خريطة للوصول إلى القضايا في النّص ، ((فإذا كانت القضايا هي لبنات الخطاب ، فإنّ البحث في علاقات الخطاب يتعلق بتلك الروابط بين هذه اللّبنات)).[1] فهي بمثابة المفاصل التي تمنح الكاتب حريّة الحركة وهو ينتقل بالقارئ من قضية إلى قضية وصولاً إلى قضيته الكبرى التي يريد تمثيلها في النّص .

وفي رسائل ابن الأثير نجد أنّ الروابط الدلالية تتمثّل في مجموعة من العلاقات هي: -

١-علاقة الإضافة :-

تُعدّ علاقات الربط الإضافي الأوسع انتشاراً في رسائل ابن الأثير مقارنة بالعلاقات الدلالية الأخرى ؛ وذلك بحكم عملها في تنظيم الأحداث والأفعال ، وتتابع جمل القول والاستقصاء في وصف الأشياء .

فهي تعمل باتجاهين ، اتجاه أفقي يتمثل بالربط بين القضايا الصغرى التي تحملها الجمل الممتدة على سطح النّص . واتجاه عمودي يتمثل بالربط بين القضايا الكبرى التي تتكون من مجموع القضايا الصغرى . وبذلك يتسع أثر هذه العلاقة ليغطي وحدة النّص من بدايته وحتى نهايته .

مثال ذلك ما نجده في الرسالة رقم (٢): [2]

---

[1]) علم لغة النّص ، النظرية والتطبيق / ١٨٧

[2]) ينظر :رسائل ابن الأثير / المقدسي / ٣٠١

فالكاتب يعتمد على علاقة الإضافة في رصف المعاني الدالة على تمني الخير للمتلقي والدعاء له بانشراح الصدر ، وتيسير الأمر ، وجبر الكسر ، وكشف الظلامة ، وهي معانٍ يكوّن كلّ منها قضية صغرى تتحد مع القضايا الأخرى بوساطة علاقة الإضافة مكونة بذلك قضية أكبر وهي قضية (الدعاء) .
ثم ينتقل بعد ذلك إلى بناء قضية أخرى عن طريق علاقة الإضافة ، وذلك باجتماع عدد من القضايا الصغرى التي تعكس أثر النكبة التي ألمت بصاحبه :-

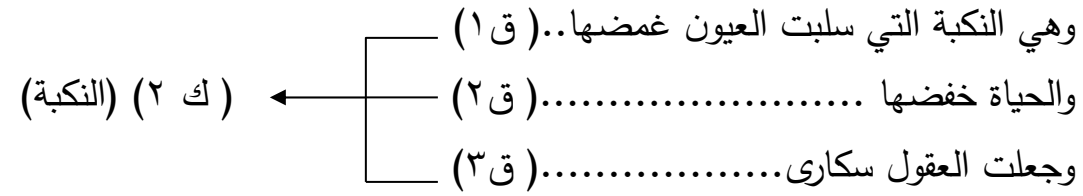

فهي نكبة أثرت في حياة الكاتب ؛ فجعلت عينه لا يغمض لها جفن ، وسلبت طيب عيشته وسهولتها ، وجعلت العقول سكارى لا تعرف سماءها ولا أرضها .
فالكاتب يعمد إلى تصعيد المعاني والوصول بها إلى غايتها التي تقترب إلى حدّ المبالغة وهو مايعرف بالاستقصاء. [١]

وفي البلاغة يسمّى (التتميم) ، وهو ((أن يحاول الشاعر معنى ، فلا يدع شيئاً يتم به حسنه إلا أورده وأتى به ، إما مبالغة ، وإما احتياطاً واحتراساً من التقصير)).[٢]

[١]) ينظر : نظرية علم النّص / ١٣٨

[٢]) العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده : ٥٠/٢

ولم يكتفِ الكاتب بهذا القدر من بيان أثر هذه النكبة في الحياة ، بل ينتقل إلى وصف أثرها في القلم والكتاب واللّسان والخطاب ، فيبني قضية كبرى أخرى من هذه القضايا الصغرى فيقول :-

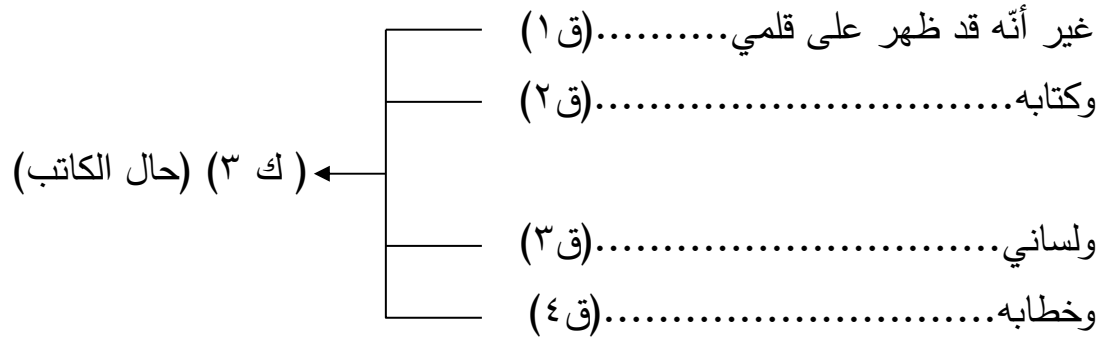

وعلى هذا النحو نلاحظ أنّ علاقة الربط الإضافي عملت أفقيّاً على ربط القضايا الصغرى الممتدة على سطح النّص فيما بينها مكونة مقاطع من البنى الكبرى تمثّل لوحات النّص ، ولم يقف دورها عند هذا الحد ، بل عملت عموديّاً على ربط هذه البنى الكبرى فيما بينها وكما هو موضح بالشكل في أدناه :-

لقد اعتمد الكاتب في تكوينه لهذه القضايا والتدرج بها على علاقة الربط الإضافي المدعم بالعنصر الصوتي المتمثل بالسجع والجناس ، الذي يكون له أثر كبير في الإمتاع الصوتي المقترن بالدعم الدلالي المناسب وجذب القارئ إلى الصياغة التي لا تخلو من صنعة لفظية وسيلة للإقناع [١]. مثل ما نجد في الرسالة رقم (٤) [٢]:-

[١]) ينظر : نظرية علم النّص / ١٣٩

[٢]) ينظر : رسائل ابن الأثير / القيسي ، هلال / ١١٨

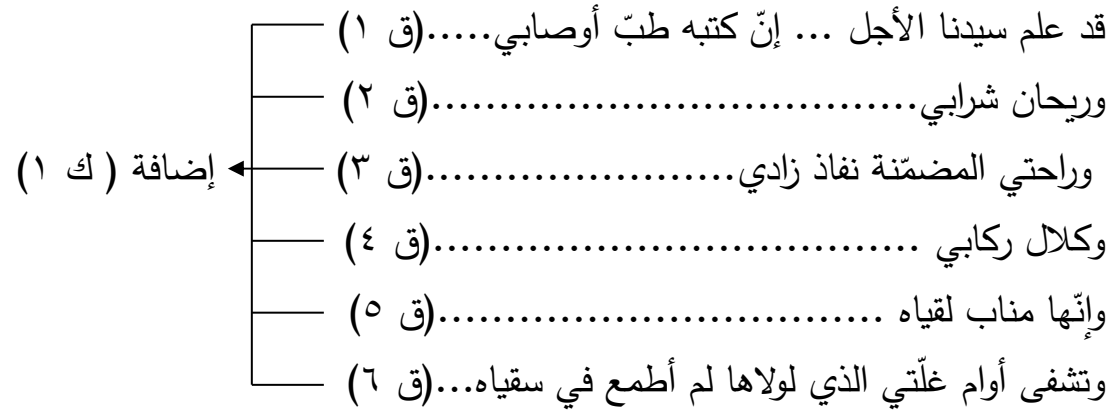

وممّا تجدر الإشارة إليه أنّ علاقة الإضافة تعمل متداخلة مع علاقات الربط الدلالي الأخرى ، فقد تعمل لربط بين صغرى تقع داخل بنى كبرى تربطها روابط غير الربط بالإضافة وبالعكس ، فقد تعمل علاقة الإضافة على ربط بنى كبرى تتضمّن بنى صغرى ترتبط فيما بينها بعلاقات أخرى غير علاقة الإضافة ، وإنّما يعكس ذلك أهمية هذه العلاقة وأهمية دورها في ربط أجزاء النّص الدلالية .

٢-علاقة الترادف (إعادة الصياغة) :-

وهي من العلاقات التي أسهمت – على قلتها – في بناء الوحدة الدلالية لنصوص بعض الرسائل ، فقد عاب ابن الأثير على الكاتب استعماله الجمل المترادفة في المعنى المتغايرة في الألفاظ إذا أتى لغير فائدة [١]. وقد راعى ذلك ابن الأثير في رسائله ، فندر لديه تكرار معاني الجمل إلا لأغراض كان يقصدها الكاتب[٢] ، كالتأكيد على قضية معينة ، أو تجنب تكرار الجملة نفسها مع وجود الحاجة إلى ذكرها ثانية ، وغيرها من الأغراض.

وتقوم علاقة الترادف في الرسائل بين قضايا متتابعة ، كما في الرسالة رقم (٢)[٣] -:

---

[١])ينظر : المثل السائر : ٣٥/٣

[٢]) ينظر : نقد النثر / ٥٩١

[٣]) ينظر : رسائل ابن الأثير / المقدسي / ٣٠١- ٣٠٣

السيف لا يبدو فرنده حتى يدوسه القين بفهره ..... ق(١)
والذهب لا يظهر رونقه حتى يصليه الموقد بحرّ جمره ...ق(٢)
والشجرة إذا أخذ المشذّب منها رست أعراقها .....ق(٣)
وقد يجفو الوالد على ولده وهو فلذّة من فؤاده .....ق(٤)

ك(١)(ترادف)

فالكاتب يحرص على تأكيد المعنى وتقريره في ذهن المتلقي بوساطة تكراره بأشكال مختلفة ومتتابعة ، فهو وصف متعدد الأوجه لمعنى واحد ، يلجأ إليه الكاتب للتأثير في المتلقي .

ومثل ذلك ما نجده في الرسالة نفسها :-

اللبيب لا يغرّه بشر السلطان ولو اتخذه شعاراً .....(ق١)
والغيث يتلظى برقه وهو هاطل.....(ق٢)
والسيف يترقرق متنه وهو قاتل .....(ق٣)
والبحر تردي غواربه على سكون هياجه وركود أمواجه...(ق٤)

ك١ (ترادف)

((إنّ الإلحاح على معنى معين من خلال علاقة الترادف ، يعنى أن هذا المعنى عنصر أساسي من عناصر القضية الكبرى ، ويحاول الكاتب أن يضعه في بؤرة الاهتمام ، فيظهره من خلال قضايا متعدّدة على مسافات متباينة داخل النّص ، ولكن تجتمع كلّها في كلٍّ واحد (قضية كبرى)).[١]

وكما تقوم علاقة الترادف بين قضايا متتابعة ، فكذلك تقوم بين قضايا متباعدة في النّص ، وهذا ما يعطي الفرصة لتوجد على مساحة أكبر في النّص ؛ ممّا يحقّق

[١]) نظرية علم النّص / ١٤١

وجوداً دلاليّاً أكثر فاعلية ، كما في الرسالة رقم (١)[١]: –

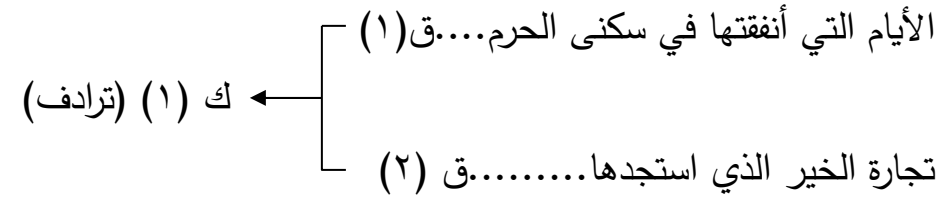

وكذلك ما نجد في الرسالة رقم (٦)[٢] :–

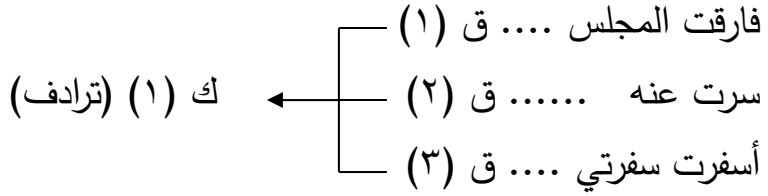

إنّ قيام علاقة الترادف بين قضايا متباعدة تتيح لتلك العلاقة فرصة الدخول مع علاقات دلالية أخرى في النّص ؛ فتزداد ظهوراً ووضوحاً في عقل القارئ ، وتزداد عمقاً لكونها تمثل مجموع قضايا كبرى[٣]. كما نجد في الرسالة رقم (٤)[٤]:–

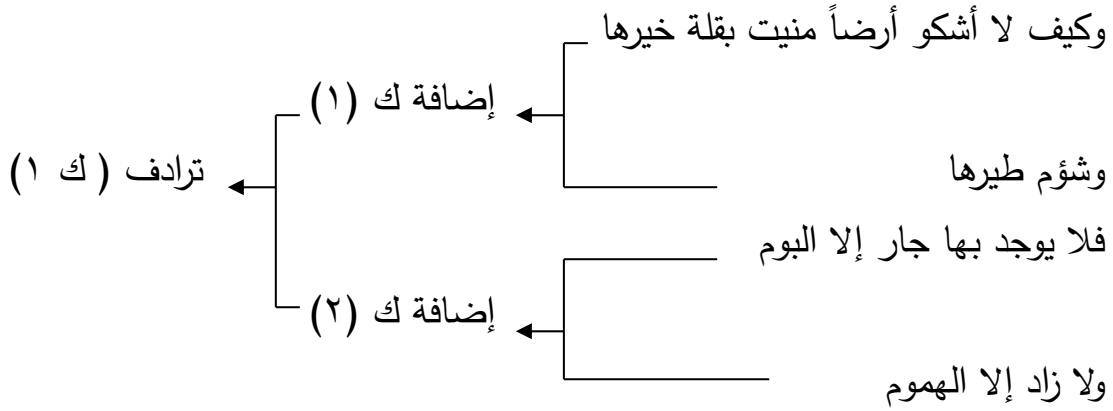

١) ينظر :رسائل ابن الأثير / هلال / ١٤٠

٢) ينظر : المصدر نفسه / ٨٤–٨٥

٣) ينظر: نظرية علم النّص /١٤١

٤) ينظر :رسائل ابن الأثير / القيسي ، هلال / ١١٨

وكذلك ما نجد في الرسالة رقم (٥)[١] :-

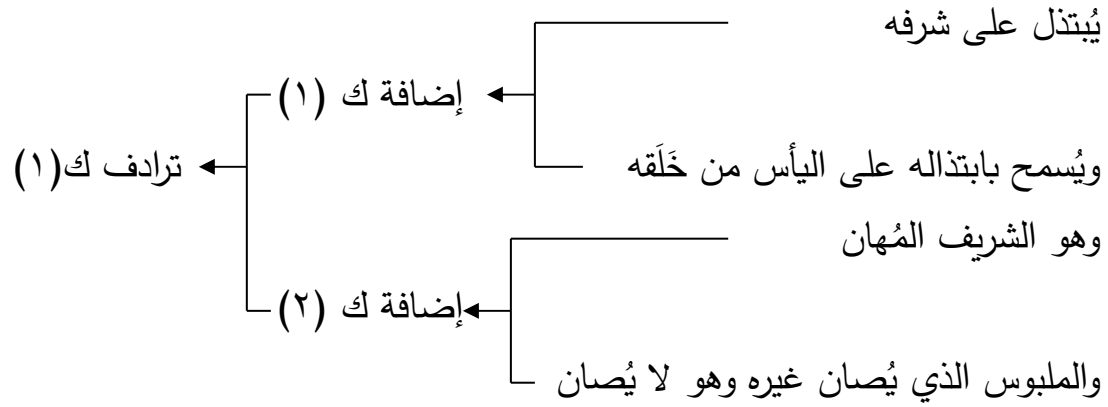

وعلى هذا النحو نلاحظ أن علاقة الترادف أسهمت على قلة ورودها في رسائل ابن الأثير في بناء الوحدة الدلالية للنصوص التي وردت فيها ؛ وذلك في ضوء تأكيد الكاتب على هذه القضايا ، وإعادة استحضارها في النّص بتعبيرات مختلفة تعكس أهميتها في بناء وحدة النّص .

٣-علاقة المقارنة :-

تقوم علاقة المقارنة على إبراز أوجه المفارقة بين أمرين في ضوء بيان أفضلية أحدهما على الآخر ، وهي واحدة من العلاقات الدلالية التي تكِّون قضايا كبرى تسهم في بناء قضايا النّص .

فالكاتب يعمد في بعض الرسائل إلى تكوين سلسلة من القضايا التي تربطها علاقة المقارنة ، مثال على ذلك ما نجده في الرسالة رقم (١٧) [٢] :

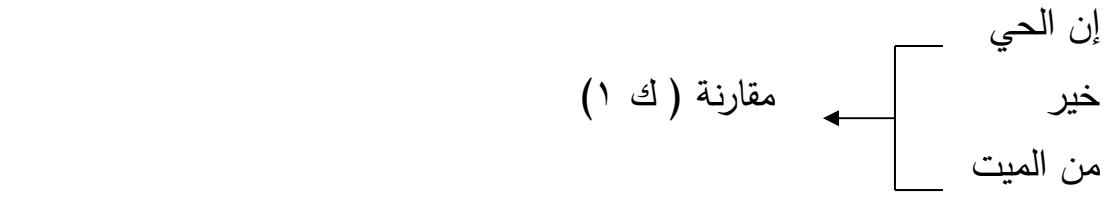

١) ينظر : رسائل ابن الأثير / المقدسي / ١٢١

٢) ينظر : المصدر نفسه / ٣١٣

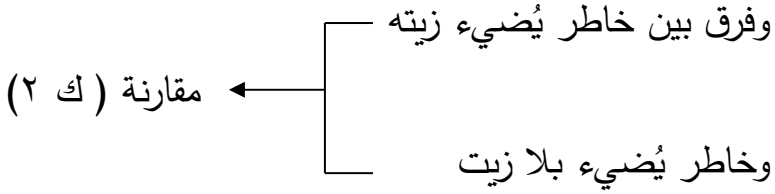

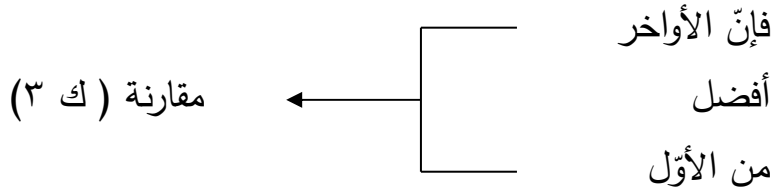

فالكاتب يقوم بإجراء مقارنة بين نفسه وكاتب آخر وهو القاضي الفاضل عن طريق سلسلة في القضايا الكبرى التي تربطها علاقة المقارنة .

ومثل ذلك ما نجده في الرسالة رقم (٢٣) [١] التي كتبها شفاعة لبعض الأشخاص ، فهو يقول معبّراً عن هذه الشفاعة :((وهذه حسنة للمجلس شطرها بتسهيل مساعيها ومساغها ، وللخادم شطرها بتسنية إبلاغها ، غير أنّ أحد الشطرين ....

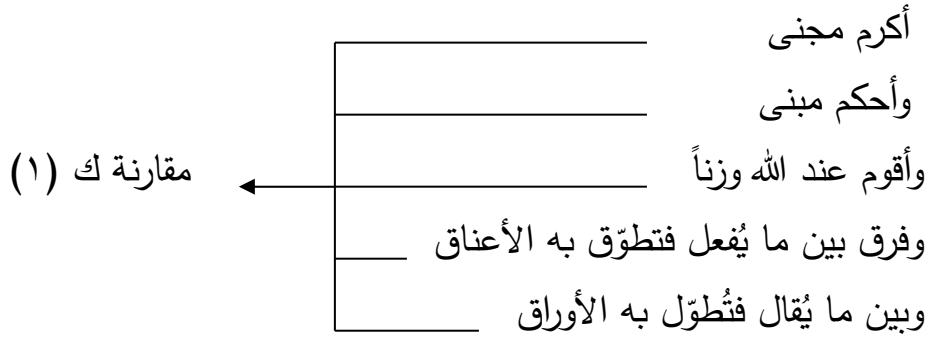

فالكاتب يستعمل المقارنة وسيلة للتأثير في المتلقّي لغرض تحقيق ما يطلبه ، وذلك بالمبالغة في بيان فضيلة البذل والعطاء عند الله وثوابهما ، مقارنة بفضلية تهيئة

[١]) رسائل ابن الأثير / هلال / ١١٣

أسباب هذا العطاء .

وكما تنشأ علاقة المقارنة بين قضايا صغرى ، كذلك تنشأ في بعض الرسائل بين قضايا كبرى تربطها علاقات أخرى غير علاقة المقارنة ، كما ورد في الرسالة رقم (٢٢)[١] :

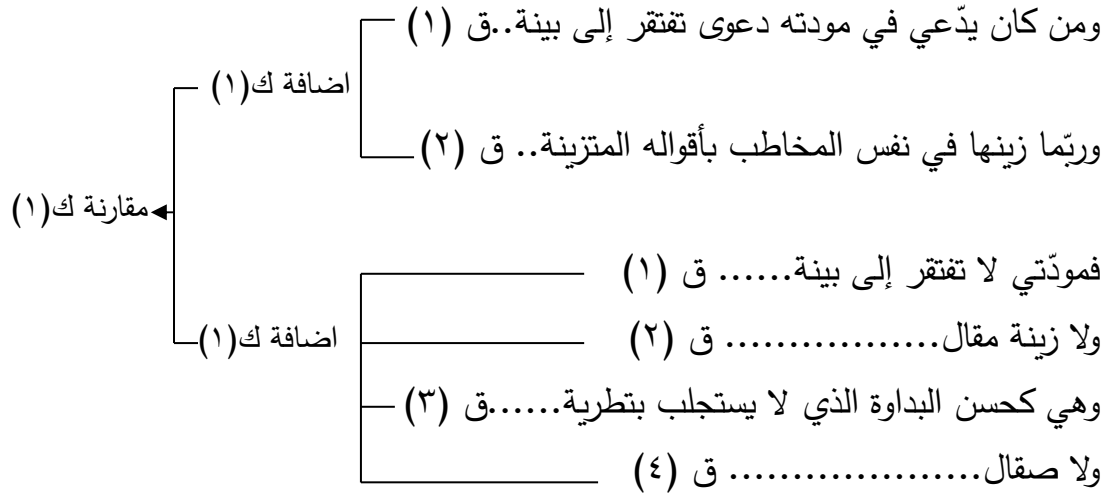

وعلاقة المقارنة بذلك قد تتأسس على مجموعة من العلاقات الدلالية الأخرى وتتداخل معها في تكوين البناء الدلالي للنّص ، فتتحول عندئذٍ إلى علاقة مركبة تدخل في تشكيلها علاقات أخرى تعمل على تفصيل أطرافها وتوضيحها.

٤- علاقة الإجمال والتفصيل :-

تعد علاقة الإجمال والتفصيل من أبرز العلاقات الدلالية التي ركز عليها علماء النّص ؛ لكونها تضمن اتصال المقاطع بعضها ببعض عن طريق استمرار دلالة معينة في المقاطع اللاحقة[٢].

فهي شديدة الصلة بالحبك النّصي ؛ إذ يُعد التفصيل شرحاً للإجمال ، ومن ثمّ فهو ((يحمل المرجعية الخلفية لما سبق إجماله في الإجمال ، ومنه توالي التفصيل بعد

[١]) ينظر : رسائل ابن الأثير / المقدسي / ٣٣٤

[٢]) ينظر : لسانيات النّص ، مدخل إلى انسجام الخطاب / ٢٧٢

الإجمال في سياق خطي متتابع))[1].

ولقد اعتمد ابن الأثير على هذه العلاقة في بناء الكثير من نصوص رسائله ، في ضوء ذكر قضية عامة ، أو مجملة ثم يأتي بالتفصيل بعدها ، مكوناً أشبه ما تكون بالشبكة من القضايا التفصيلية التي تعود جميعها إلى أصل واحد مجمل.

ومثال ذلك ما نجده في الرسالة رقم (١٠) ، فهو يقول :((ولقد تشوق الجو الحجازي إليه تشوق السامع إلى أن يرى))[2] ، ثم يتلوه بتفصيل هذا القول المجمل ببيان أجزاء الجو الحجازي وكيفية التعبير عن شوقه إليه ، فيقول :((فأيّ زهرة به لم تخرج من حجابها ، أم أيّ تلعة لم تسل أندية شعابها ، أم أيّ خيمة لم تنزع أوتادها للقائه ، أم أيّ قليب لم تفض جمته لإسقائه ، ولم يكن للحداة ارتجاز إلا بمدائحه))[3].

فالعلاقة تشتدّ بين طرفي الخطاب وتتآزر ، أحدهما مكثّف (مجمل) ، والآخر مفسِّر ومفصِّل له ، وكما يبدو واضحاً في الشكل الآتي :

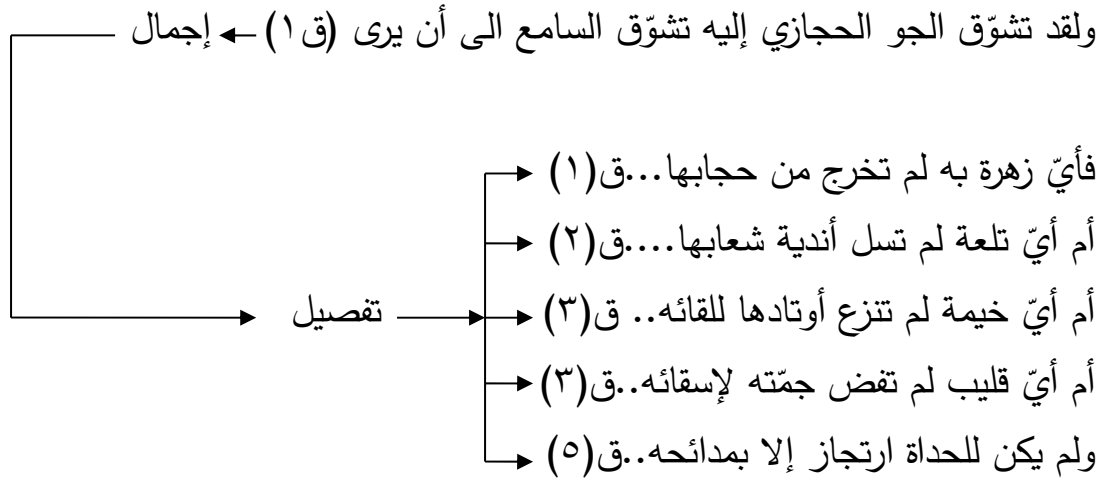

فالقضية العامة المجملة (تشوّق الجو الحجازي) تمثّل مرجعية لما سيأتي تفصيله من قضايا ، وفي هذا تتجلّى الوحدة الدلالية وتماسكها في هذه القضية من النّص .

---

[1]) علم لغة النّص والأسلوب / ٨٨

[2]) رسائل ابن الأثير / المقدسي / ١٧٩

[3]) المصدر نفسه / الموضع نفسه

ومثل ذلك ما نجده في الرسالة رقم (٣٦) التي يبنيها الكاتب على قضية تفصيلية كبرى وهي قضية طلب المساعدة والنجدة ، فهو يقول :((ويُنهي أنّ مودته للمجلس تقتضي إعلامه بما يتجدد من المهمات ، والاستضاءة برأيه في دجى الحوادث والملمات))[١]، ثم يبدأ بتفصيل (المهمات والحوادث والملمات) ، فيقول :

((والباعث على التوجه إلى حلب حرسها الله ، أنّ العساكر المصرية راسلت الخادم طالبة للأوبة ، قارعة باب التوبة ، راجية عواطف الإحسان ، مستشهدة بقوله تعالى ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾ ، ولم تزل المراسلات تتكرر، والقواعد تتقرر ، والبيعة على هذا الأمر منتظمة ، والحال فيها منكتمة ، حتى صرخ الشيطان على عقبتها ، وأظهر العدو على حصتها ، فحينئذٍ وقعت الهجرة إلى هذا الجانب ، وكانت الصحبة فيها لخيرة الله التي هي خير صاحب ، والأمل منوط بمشيئته في أن يقرن هذا المدخل الذي دخله الخادم بأعز مخرج)).[٢]

ويمكن توضيح هذه العلاقة بالشكل الآتي :-

١) رسائل ابن الأثير / القيسي ، هلال/ ١٢٠

٢) المصدر نفسه / ١٢١

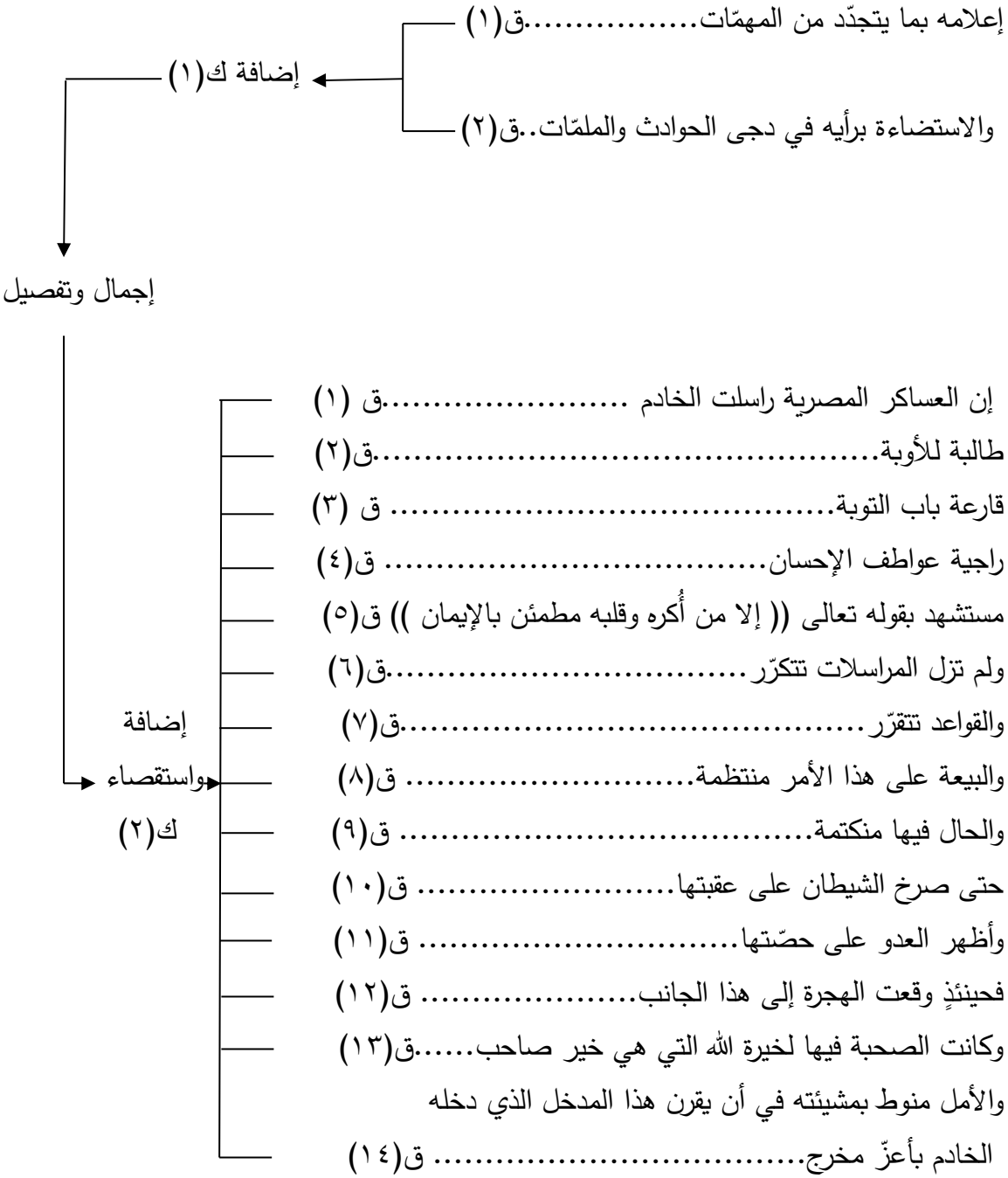

فهذه القضية التفصيلية تحمل من القضايا الصغرى ما يتكفل بتفسير القضية المجملة وتفصيلها التي أشار إليها الكاتب ، وهي (المهمّات والحوادث والملمّات)، وعلاقة الإجمال والتفصيل في هذه الرسالة تبدو هي العلاقة التي تحكم بنية النّص

الكبرى ، مضافاً لها بعض العلاقات الدلالية الأخرى التي تدخل في ضمنها.

وعلى هذا النحو نلاحظ أنّ علاقة الإجمال والتفصيل قد تقوم عليها قضية النّص الكبرى ، وقد تكون في نصوص أخرى مشتركة مع العلاقات الدلالية الأخرى في بناء القضية الكبرى للنّص ، كما في الرسالة رقم (٣٨) [١]:-

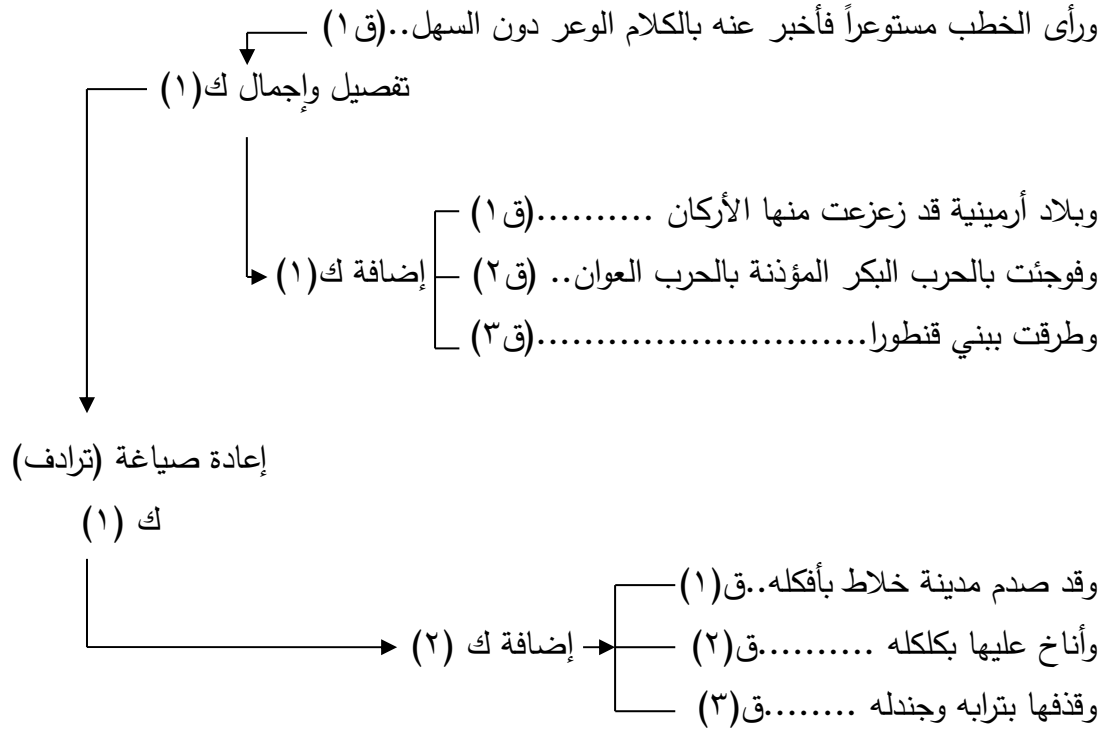

فعلاقة الإجمال والتفصيل تسهم مع العلاقات الدلالية الأخرى في بناء الوحدة الدلالية للنّص ، وتضمن اتصال المقاطع ببعضها عن طريق تكوين بؤر من المعاني المركّزة والمجملة تمثّل مرجعية يعود إليها عدد من القضايا التفصيلية في النّص .

[١]) رسائل ابن الأثير / المقدسي /٢٦

٥- **علاقة الوصف :-**

من ضمن العلاقات الدلالية التي أسهمت في بناء الوحدة الدلالية لنصوص الرسائل هي علاقة الوصف . وهي علاقة تقوم على وصف مفهوم معين ، أو حالة معينة بسلسلة من الجمل والأوصاف تتخذ من هذا المفهوم أو ذاك مرجعاً لها ؛ فتعمل بذلك على تكوين مجموعة من القضايا الصغرى القائمة على الوصف التي تكون بدورها قضايا النّص الكبرى .

وتختلف علاقة الوصف في الرسائل من حيث طول امتدادها في النّص . ففي بعض الرسائل لا تتعدى هذه العلاقة قضيتين أو أكثر ، كما في الرسالة رقم (١٣) إذ يقول : ((وإذا نظر إلى السجادة المرسلة ، وجدت روضة في حسن شكلها ، وهدية في مزية فضلها)) [١] ، فقد وصف (السجادة) بقضيتين : (روضة في حسن شكلها)(ق ١) ، و(هدية في مزية فضلها)(ق ٢).

وقد تمتدّ علاقة الوصف في بعض الرسائل الى أطول من ذلك عن طريق سلسلة متتالية من القضايا الصغرى التي تصف مفهوماً معيناً ، كما في الرسالة رقم (٢٣) إذ يقول :((ومساق القول الإعلام بحال فلان ، وهو شيخ كبير ذو سنٍّ عالية ، وحال عاطلة غير حالية ، قد عدم السمع والبصر ، وسلب النفع والضرر ، ولا يملك رأس البعير إن نفر ، وعلى ما به من هرم عمره ، فإنه ممنوّ بشبيبة أحداث دهره ، فهو يشكو من هذا ضعف الجوارح ، ومن هذا إضعاف الجوانح ، ومما يشكوه أنه نهض بحمل الثمانين فبهضه ثقل محمله ، وأصبح في انتظار الموت كراكب عرف محله فبات دون منزله))[٢] .

فهو يصوّر حال الشيخ وما به من فاقة وعوز عن طريق مقطوعة وصفية محبوكة الأجزاء ، تجمعها علاقة الوصف ، وكما يوضحها الشكل الآتي :-

---

[١]) رسائل ابن الأثير / هلال/ /١٨١

[٢]) المصدر نفسه /١١٢

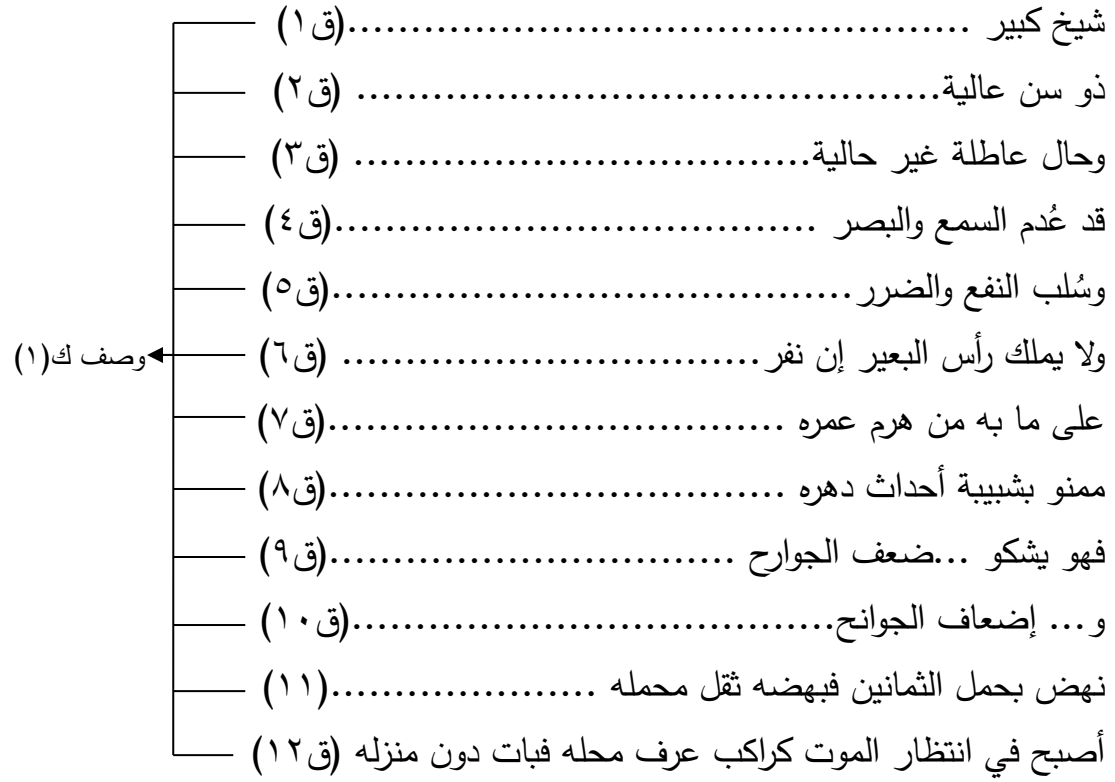

وفي بعض الرسائل قد يفصل بين المفهوم (الموصوف) والجمل الواصفة له بالعديد من الجمل ؛ فتعمل علاقة الوصف بذلك على الجمع بين أطراف النّص والربط بين متوالياته المتباعدة ، كما في الرسالة رقم (١٦) إذ يقول :((وقد أصبحت خواطر الخادم مستغرقة بإنشاء القول المبتكر ... ألا يرى المجلس أنها جاءته في طي هذا الكتاب خجلى لا ترفع طرفاً ، ولا تهز عطفاً ولا تدعي من أوصاف الحسن وصفاً ، فهي واقفة على قدم الاعتذار ، مستترة لفرط حيائها بحجب الاستتار ، إلا أنها مع ذلك لم تخلُ عن مسحة جمال بدوية النسب ، حسنها غير مستعار ولا مكتسب)).[١]

فالكاتب يصف خواطره على هيأة فتاة ويضفي عليها من سمات الخجل والحياء

[١]) رسائل ابن الأثير / هلال/ ٨١- ٨٢

والجمال البدوي الخالي من التكلّف ، عن طريق مجموعة من الجمل التي يفصل بينها وبين موصوفها العديد من الجمل الأخرى ، وبذلك يشتد التآزر والتلاحم الدلالي بين أجزاء النّص عن طريق أطراف هذه العلاقة .

ونجد في بعض الرسائل أن الكاتب يوظف علاقة الوصف للوصول إلى الدلالة الكلية للنّص ، ويبرز هذا الدور في رسائل الوصف ، كما نجد في الرسالة رقم (١٩) [١]، التي تتضمن وصف مجلس شرب ، فهو يصف جزئيات هذا المجلس (أصدقاء المجلس ، الحديقة ، الخمر ،الساقي) ، وينتقل من جزء إلى جزء ليصل إلى دلالة النّص الكلية عن طريق علاقة الوصف التي تربط بين هذه الأجزاء وكما يوضحها الشكل الآتي :-

[١]) ينظر : رسائل ابن الأثير / المقدسي /٧٢- ٧٤

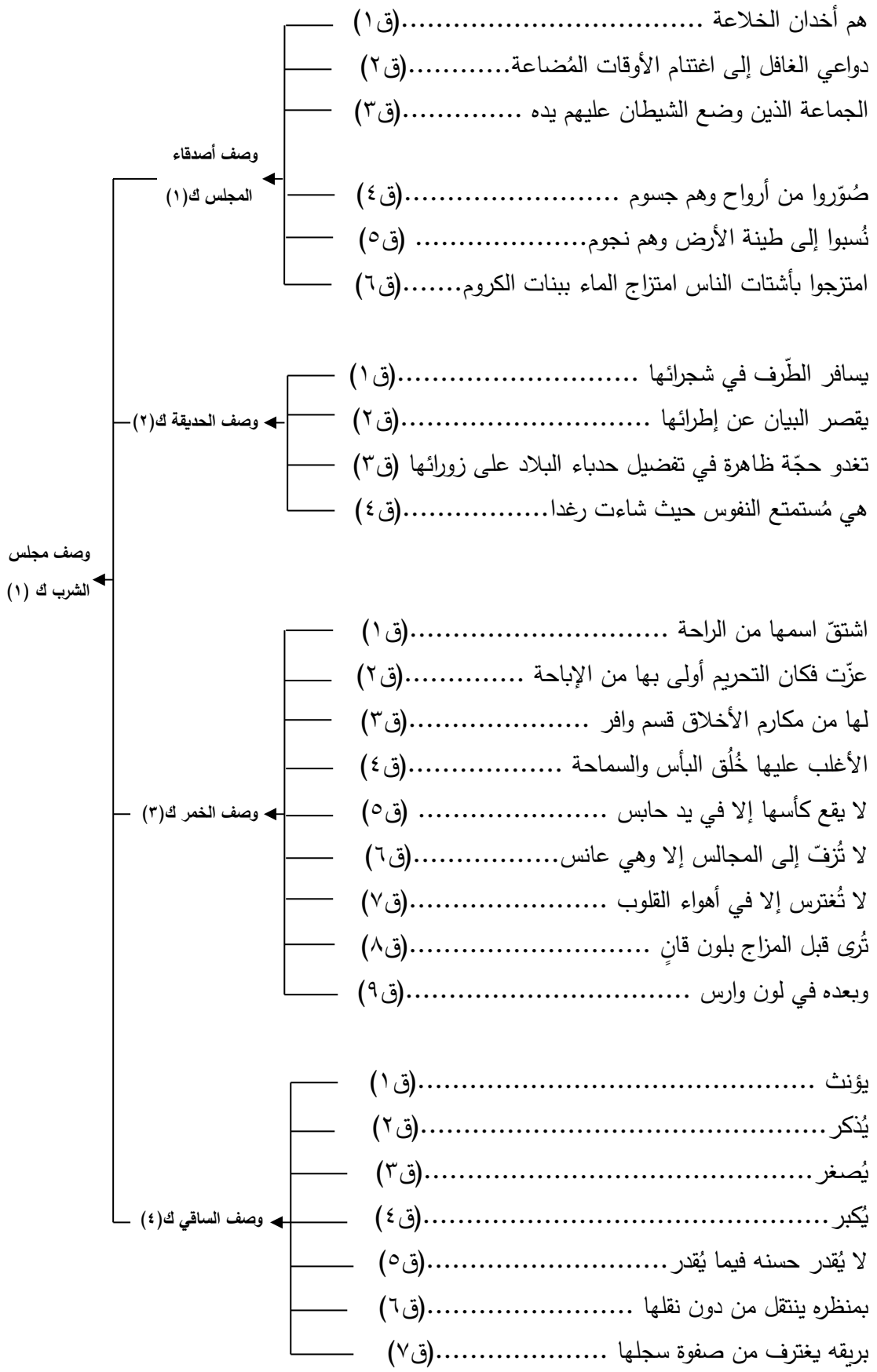
وصف مجلس الشرب ك (١)
وصف أصدقاء المجلس ك(١)
هم أخدان الخلاعة .....(ق١)
دواعي الغافل إلى اغتنام الأوقات المُضاعة.....(ق٢)
الجماعة الذين وضع الشيطان عليهم يده .....(ق٣)
صُوّروا من أرواح وهم جسوم .....(ق٤)
نُسبوا إلى طينة الأرض وهم نجوم..... (ق٥)
امتزجوا بأشتات الناس امتزاج الماء ببنات الكروم.....(ق٦)
وصف الحديقة ك(٢)
يسافر الطّرف في شجرائها .....(ق١)
يقصر البيان عن إطرائها .....(ق٢)
تغدو حجّة ظاهرة في تفضيل حدباء البلاد على زورائها (ق٣)
هي مُستمتع النفوس حيث شاءت رغدا.....(ق٤)
وصف الخمر ك(٣)
اشتقّ اسمها من الراحة .....(ق١)
عزّت فكان التحريم أولى بها من الإباحة .....(ق٢)
لها من مكارم الأخلاق قسم وافر .....(ق٣)
الأغلب عليها خُلُق البأس والسماحة .....(ق٤)
لا يقع كأسها إلا في يد حابس ..... (ق٥)
لا تُزفّ إلى المجالس إلا وهي عانس.....(ق٦)
لا تُغترس إلا في أهواء القلوب .....(ق٧)
تُرى قبل المزاج بلون قانٍ .....(ق٨)
وبعده في لون وارس .....(ق٩)
وصف الساقي ك(٤)
يؤنث .....(ق١)
يُذكر.....(ق٢)
يُصغر.....(ق٣)
يُكبر.....(ق٤)
لا يُقدر حسنه فيما يُقدر.....(ق٥)
بمنظره ينتقل من دون نقلها .....(ق٦)
بريقه يغترف من صفوة سجلها .....(ق٧)

وعلى هذا النحو نلاحظ أن علاقة الوصف تعمل على إيجاد نوع من الترابط الفعلي بين القضايا داخل النّص الواحد وصولاً إلى القضية الكبرى للنّص .

٦-علاقة السّبب والنتيجة :-

الحبك الدلالي في هذه العلاقة يكمن في الربط المنطقي بين وحدات النّص ، والربط الذي يترتّب فيه المسبّب على السبب[١] . وغالباً ما تظهر هذه العلاقة في الربط بين القضايا الكبرى للنّص على مستوى الأفكار العامة ، في ضوء بناء كل قضية كبرى منفصلة باستقصاء جزئياتها وعناصرها بصورة تراكمية ، ثم جعل هذه العناصر كلاً واحداً بسبب أو نتيجة من عناصر أخرى في قضية كبرى مثيلة [٢] .
مثال ذلك ما نجده في الرسالة رقم (١٦)[٣]:-

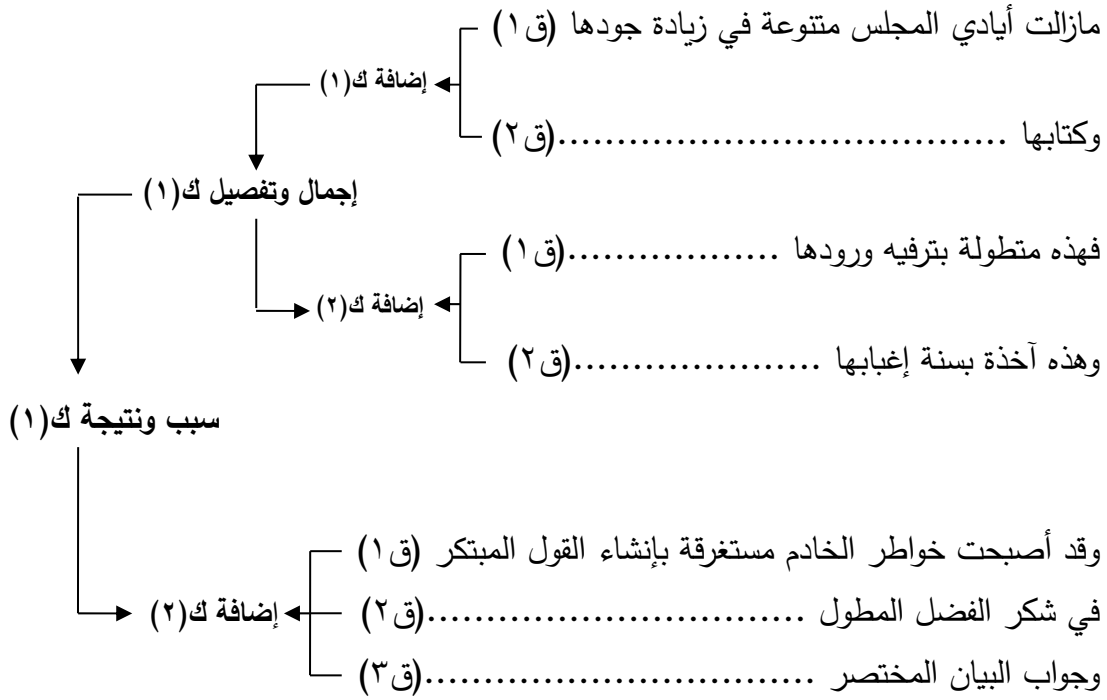

[١]) ينظر : علم اللّغة النّصّي بين النظرية والتطبيق /٢/ ١٤٩ ، نظرية علم النّص /١٤٣

[٢]) ينظر : نظرية علم النّص /١٤٤

[٣]) ينظر : رسائل ابن الأثير / هلال/٨٠-٨٢

وكذلك ما نجده في الرسالة رقم (٢٦)[١] :-

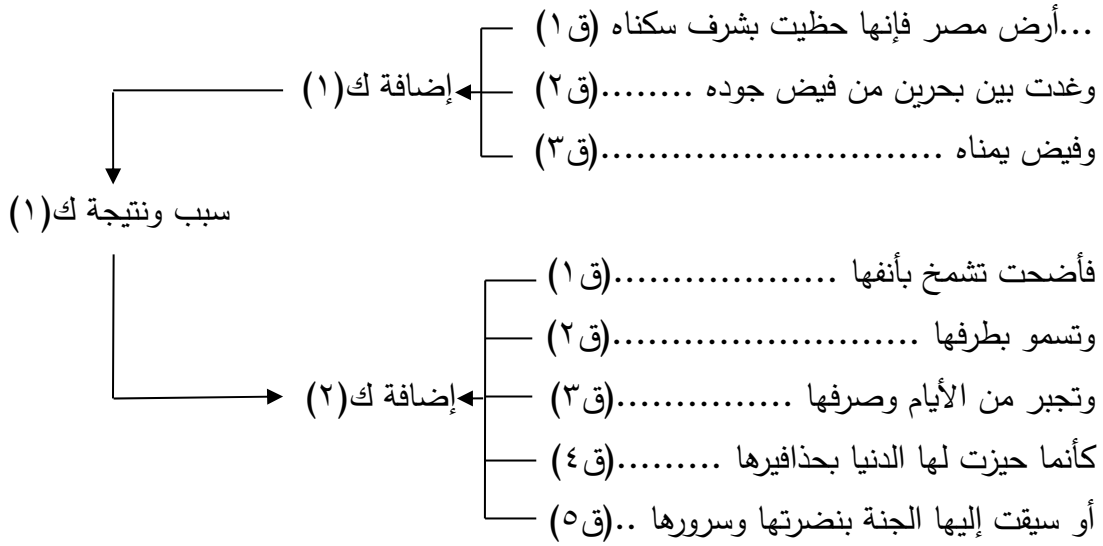

وفي بعض الرسائل قد ترد علاقة السبب والنتيجة بشكل عكسي ، أي إنّ الكاتب يورد النتيجة ثم يعقبه بذكر السبب كوسيلة للتعليل والتبرير.

مثال ذلك ما نجده في الرسالة رقم (٢١)[٢] :-

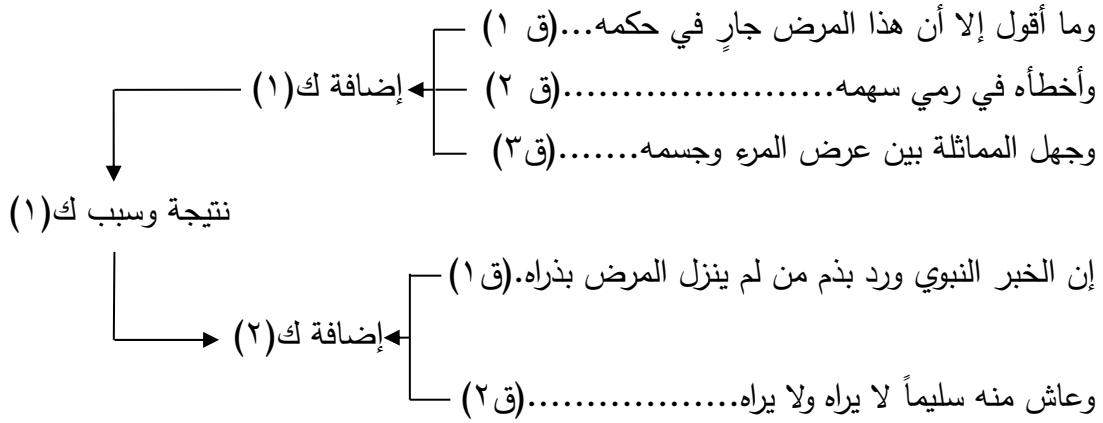

فهو قد ذكر النتيجة وهي نزول المرض في بعض أخوانه ، ثم أعقبه بسبب نزول هذا المرض وهو لزوم وقوع المرض للأشخاص الصالحين ، وذمّ من لم ينزل به

[١]) ينظر : رسائل ابن الأثير / القيسي ، هلال /٩٠-٩٢

[٢]) ينظر : رسائل ابن الأثير / المقدسي / ١١٤-١١٥

المرض كما ورد في السّنة النبوية الشريفة .

وقد يوظّف الكاتب علاقة السبب والنتيجة إلى أبعد من ذلك ، فهو يعمد إلى ربط أكثر من قضية كبرى في النّص بوساطة هذه العلاقة ، عن طريق جعل واحدة من هذه القضايا تحمل وظيفة دلالية مزدوجة ، وذلك أن تكون هذه القضية نتيجة للقضية التي قبلها ، وفي الوقت نفسه تكون سبباً للقضية التي تأتي بعدها ، وبذلك تعمل هذه العلاقة على جعل قضايا النّص أشبه ما تكون بسلسلة من القضايا الدلالية التي يرتبط السابق منها باللّاحق ، ومثال ذلك ما نجده في الرسالة رقم (١٨)[١] :-

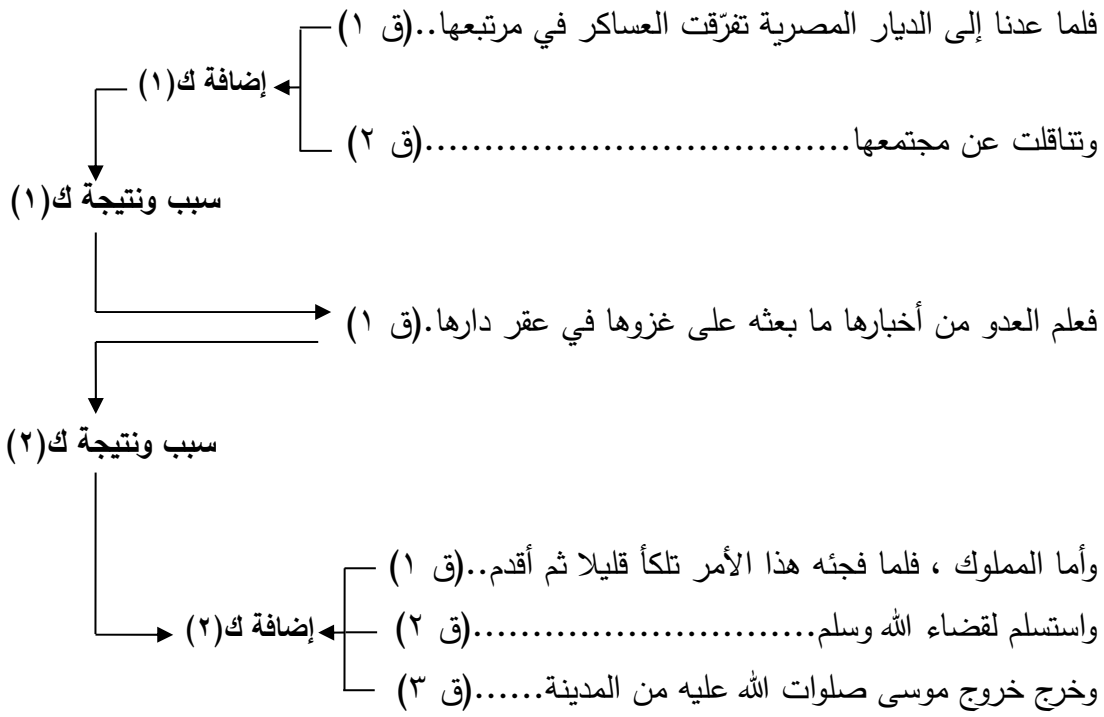

فـ(تفرّق العساكر) كان سبباً للنتيجة (غزو العدو) ، و(غزو العدو) كان سبباً لـ(الخروج من المدينة) .

[١]) ينظر : رسائل ابن الأثير / القيسي ، هلال/ ١١٦ – ١١٧

ومثل ذلك ما نجد في الرسالة رقم (٣) [١]:-

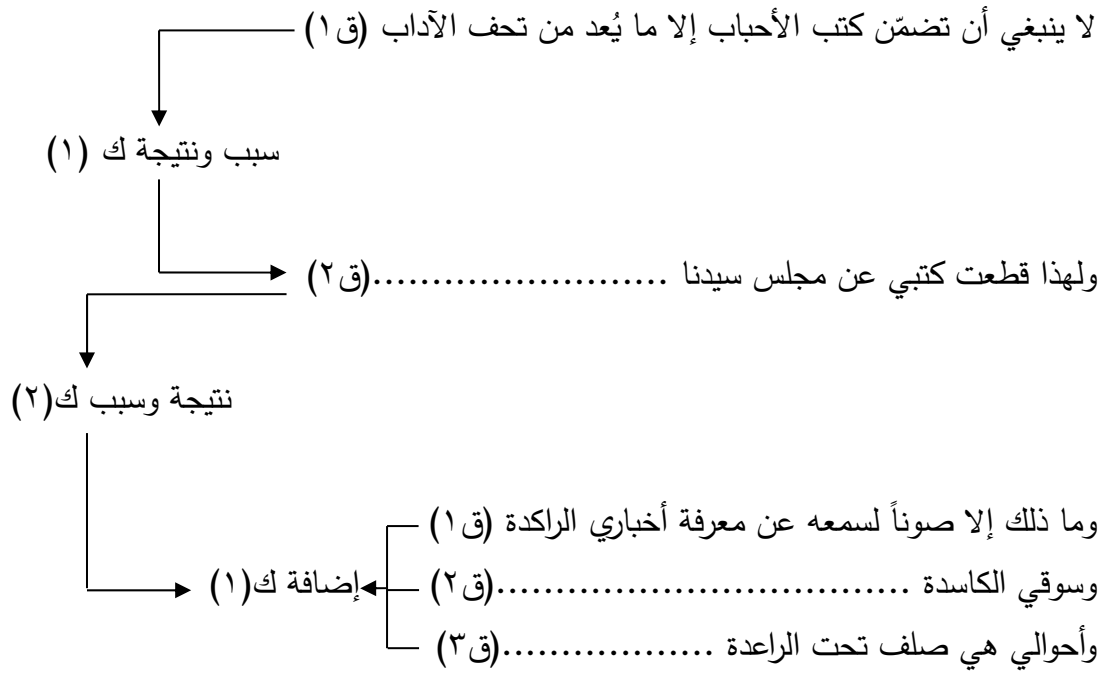

فالكاتب يستدرج المتلقي ببيان قضية معينة ثم ينتقل لبيان سببها ، ويجعل ذلك السبب أيضاً نتيجة تحققت بسبب آخر . وعلى هذا النحو يتحقق الربط الدلالي بين أجزاء النّص بوساطة هذه العلاقة .

هذه هي أهم العلاقات الدلالية التي تبدو بارزة للمتلقي في نصوص رسائل ابن الأثير ، التي تعمل مجتمعة ومتداخلة فيما بينها لتحقيق الحبك الدلالي في مضمون الرسائل . ومما تجدر الإشارة إليه انّ علماء النّص ربطوا في دراستهم الحبك بين النّص والمتلقي ، فتحقق هذه السمة النصية ليس معطى سلفاً في النّص ، وإنما يدرك عبره ؛ لذلك ((يتطلّب من القارئ صرف الاهتمام جهة العلاقات الدلالية الخفية التي لا يمكن الكشف عنها إلا بعد أن يمتلك القارئ ترسانة معرفية تمكنه من التغلغل داخل هذا النسيج اللّغوي المتشابك)).[٢]

---

[١]) ينظر : رسائل ابن الأثير / هلال/ ١٢٣

[٢]) لسانيات النّص ، النظرية والتطبيق /١٥٣

ثانياً :- موضوع الخطاب :-

يرتبط موضوع الخطاب بالمحور الذي يدور حوله النّص ، وبالبؤرة النصية التي تعود إليها كلّ المعاني الواردة فيه ، إذ إنّ المواضيع الجزئية المشكلة للنّص تجتمع وتنتظم لتؤدي في النتيجة الى موضوع أساس يدور حول النّص .

واستنتاج موضوع النّص في الرسائل بصفة عامة ، ورسائل ابن الأثير خاصة لا يكلّف المتلقي عناءً كبيراً إذا ما أخذنا بالحسبان البناء الفني لإنموذج الرسائل وما يقوم عليه من أركان هي المطلع والتخلّص والموضوع والخاتمة. [١] الذي سأتناوله في موضوع البنية العليا، وهذا من شأنه أن يساعد المتلقّي على الإدراك المسبق لمقاطع النّص وما يتضمنه كلّ مقطع من هذه المقاطع من دلالة جزئية تصبّ في الموضوع العام للنّص .

علاوة على ذلك ما يبرز عند ابن الأثير في رسائله من ((حرصه على الوحدة الموضوعية فيها ، فلكلّ رسالة غرضها الأساسي وإن برزت موضوعات جانبية – في بعض الأحيان – فلا تعدو أن تكون أفكاراً فرعية لإثراء الغرض الأساسي في الرسالة ترفد حيويته ولا تشكّل عبئاً عليه)).[٢] إلا في بعض الرسائل التي تنطوي على موضوعين أو أكثر ، وهو ما يسمّى بالنصوص المتعدّدة التشاكلات الدلالية[٣] ، وتعكس هذه قدرة الكاتب على تأليف وتركيب عدد من الموضوعات في بنية دلالية واحدة في ضوء إقامة نوع من العلاقة الدلالية بينها.

ولا بدّ من تسليط الضوء على أنموذج أو أكثر من الرسائل لغرض القيام بعملية مسح واستقراء للجمل التي تخص الموضوع في النص؛لبيان مدى تماسك وحدته الدلالية .

ففي الرسالة رقم (٢٤) التي كتبها عنايةً ببعض الأشخاص يقول فيها[٤] :- ((يقبّل الأرض بين يديّ مولانا الملك العادل ، ملّكه الله شرف العليا، ووسمه بسيماه ،

---

[١]) ينظر : نقد النثر /٢٧٨

[٢]) المصدر نفسه /٥٨٩

[٣]) ينظر : المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب / ١٣١

[٤]) ينظر : رسائل ابن الأثير / القيسي ، هلال/١٤٤- ١٤٥

وسيَّر ذكره مسير من أمسى والفرقدان نديماه ، ومنحه كرم الجوادَيْنِ:البحر والسحاب فإنهما قسيماه ، ولا زالت أيامهُ للجود مطالع ، ومراسمه للأيام جوامع ، وصنائعه للآمال مشارع ، وجدوده للأعداء مصارع:

وينهي ان فلاناً وفد عليه زائراً ، وَلِما قدّمه إليه شاكراً ، فانه ممّن تكون الصنائع عنده ودائع ، والمحامد لديه عوائد.

وقد كان الزمان اعطاه بحلب فأسجح ، وأمكنه من قياده فاسمح، لكنّه تخيّر ظل مولانا الجامع له بين الوطن المحبوب ، والنيل المطلوب ، وهو عبد إحسانه العميم ، وشاعر مجده الصميم ، ومن له حرمة المضيف بالجار القديم ، ولا يمتّ إلى خدمته إلا بسابق إنعامه ، الذي ابتداؤه وسيلةٌ إلى تمامهِ ، وقد عضدته الآمال وهي لدى مولانا ذريعة ، والفضائل وهي لأهلها سفيرة بل شفيعة ، وتكملة ذلك كتاب المملوك فانّه نظام هذه الفرائد وواسطة هذه القلائد ، وهو الحاجِبُ المخاطب ، والوكيل المطالب وقد ناب منابه في بسطه كفّه ، ورفع طرفه ، وافتخر بأن مَثَلَ مسائلاً ، وقام قائلاً ، فان جود مولانا شرفٌ لنائله ، وفخرٌ لسائله ،

تُدعى عطاياهُ وَفْراً وهي ان شهرت كانتْ فَخاراً لمن يعفوه مؤتبقا

والمملوك يسأل اجزاءه على سالف عادته في جاري الانعام وجاري الإكرام ، اللذين يجمعان له بين قوتِ الأرواح وقوتِ الاجسام ، فانه من ذوي البيوتِ التي تميّزت بنسبها ، وتنبهت بأدبها ، ولا تجد طعم الإحسان الّا ممزوجاً بالمنزلة المكرمة ، وهما عنده متلازمان كالصلة والموصول والنتيجة والمقدمة ، ولو لم يشفع له المملوكُ لوجب على مولانا ان يرغب في قربه من خدمته، وانتظامه في سلك ذوي نعمته ، فان لسانه للدولة جيشٌ يناضلُ عن أحسابها ، ويمدّها بمدائح تبقي أثر نَصْرها في أعقابها .

قصائدُ ما تَنْفَكُ فيها غَرائبُ تألّقُ في أضعافِها وَبَدائعُ

تنالُ منالَ الليلِ في كلِّ وجْهَةٍ وَتَبْقىَ كما تَبْقىَ كما تَبْقى النجومُ الطَّوالعُ

اذا ذَهَبَتْ شرقاً وغرباً فأمْعَنَتْ تَبَيّنْتَ من تزْكُو لَدَيهِ الصَّنائعُ

وقد حرّر المملوكُ جُهده في خطابه ، فليحرز المولى جوده في جوابه ، فانه لا يرضى في قبالة سؤاله إلا برغبةِ الطامع ، ولا يقنعُ إلا بما يزيد على أمل المستشفع

وهمّة الشافع ، فان الغيث لا يجود الأرضَ بمقدار غيّ التراب ، بل على قدّ خلقه السجاح وكفّه الوهّاب ، والمكارمُ الشريفةُ غنيّةٌ عن هزِّها بهذه الأقوال المطولة ، لكن الله سبحانهُ قد أمرنا مع فيض جوده بالإلحاح في المسألة ، فليبسط عند المملوك في تطويله ، وليلق حاملُ كتابه ما يؤمله من تخويله وتنويله.

وللآراء العالية مزيد العلو إن شاء الله)).

نلاحظ أنّه من الممكن تقسيم النّص على عدد من المقاطع ، كل مقطع يحمل دلالة جزئية معينة تصبّ في الدلالة الرئيسة للنّص ، وكما هو موضح في التقطيع الآتي :-

المقطع الأول :- مدح المتلقي والدعاء له .

المقطع الثاني :- تبليغ المتلقي بقدوم الشخص لزيارته.

المقطع الثالث:- وصف حال الشخص وتفضيله الذهاب للمتلقي ؛ طمعًا في كرمه وعطائه .

المقطع الرابع :- سؤال المتلقي إكرام هذا الشخص وتقديره والمن عليه.

المقطع الخامس :- مدح الشخص وبيان ولائه ومودته للمتلقي.

المقطع السادس :- مدح المتلقي.

نلاحظ أن الكاتب وظف المقطع الأول والأخير في مدح المتلقي ، ووظف ما بينهما من مقاطع من (المقطع الثاني – المقطع الخامس) فيما يخص المرجع الرئيس والبؤرة النصية التي تعود إليها الدلالات الثانوية ، وهو الشخص المُوصى به.

وقد جعل الكاتب المقطع الثاني والثالث والخامس تمهيداً وتكميلاً لغرضه الأساس الذي يمثله المقطع الرابع .

وفي ضوء ما تقدم من تحليل مقطعي للبنية الدلالية للرسالة يمكن الاستدلال بسهولة على موضوعها الرئيس وهو (طلب إكرام شخص والعناية به) ، أو ما يرادف هذا المعنى .

وفي رسالة أخرى وهي الرسالة رقم (٣٨) التي تتضمن الإنذار والتحذير يقول فيها[١] :- ((أعزّ الله نصرة مولانا الملك الأشرف وزاد ملكه قراراً وسلطانه وقاراً ، وجعل لأيامه على الزمن خياراً ، وخلق أعمار أعدائه كأعمار عداته قصارا ، وأمضى عزائمه حيث لا يجد السيف مجالاً ولا الرمح مدارا ، ووسم شِيَمه بأسماء الكواعب حتى تكون شيمة جوده فوزاً وشيمة بأسه بوارا . قد افتتح المملوك كتابه بمفتتح سورة النحل ، ورأى الخطب مستوعراً فاخبر عنه بالكلام الوعر دون السهل ، وبلاد أرمينية قد زعزعت منها الاركان ، وفوجئت بالحرب البكر المؤذنة بالحرب العوان، وطرقت ببني قنطورا الذين انبأت الاخبار النبوية انهم على براذين محذّقة الآذان . وهذه البلاد لو أنها لجار من جيران مولانا لوجب عليه حفظ الجار وحماية الذمار، فكيف وهي له ، ويده عليها قابضة وقوسه من دونها نابضة . وهي طرف مملكته الذي يتعدّى منه إلى أوساطها ، وإذا طوي من بساط الدار شيء فلا يؤمَن أن يشمل الطيّ جميع بساطها . ومَثَلُ نفسِه الأبيَّة لا تمرّغ في ظلم ولا تفتل مريرتها على عجم . وهو ممّن يلقى الحتوف بالحتوف ويصغي بسمعه إلى الصارخ الهَتوف ، وإذا خاف ملك من ملك أجار الخائف من المخوف . وهؤلاء القوم الذين هاجموا بلاده أوشاب مجمّعة ، ورفاق مرقّعة ، لا يستقلّ بأحدهم جواد مطهّم ، ولا يتأبّط أنبوبة رمح مقوَّم . ولا يمشي في درع تثقل منه كاهلاً ، ولا تردّ عنه نابلاً ، لكنّهم ما بين أكشف وأعزل وأنكب وأميل . ويقودهم رأس من الأحداث الأغمار لم تعطف التجارب شكيمه، ولا عركت أديمه . وهو من التيه والحمق على غاية لم ترضه أن يكون بالعيون مرموقا ، ولا أن يكون من الطين والنار مخلوقا . وقد صدم مدينة خلاط بأفكله ، وأناخ عليها بكلكله ، وقذفها بترابه وجندله . وأطمعه في ذلك أن مولانا على شقَّة من البعاد تبطئ به أن يدرك طريدا ، أو يتلافى قائماً أن يكون حصيدا . وأعانه على هذا الطمع قوم آخرون من عدوّ يُسرّ حسواً في ارتغاء ، ويحتلب أفاويق المكر ما بين إلباد وإرغاء ، وهو كأفعوان في نفق ينساب ما وجد انسيابا ، ويعلق نابه ما أمكنه أن يعلق نابا. والآن فليس إلا إجابة الكتاب بوضع

[١]) ينظر : رسائل ابن الأثير / المقدسي / ٢٥- ٢٧

الرِّجل في الركاب ، ومِلاك ذلك أن يتبع القدرة بالإرادة ، ويقرن إبداء المسير بالإعادة ، ويجعل الظهر فراشاً والسرج وسادة ، ولا يزال مولانا كذلك حتى يسبق خبره ، ويبلغ وطره ، ويدرك ثأره ويحمد الناس أثره . ومنفعة الغوث قبل العطب وإن خطر دون ذلك خاطرُ تلوّم فلا الشام بشام ولا العراق بعراق ، ولا يرقب الناس بعدها إلا صيحة واحدة ما لها من فواق . وهناك لا ينفع نادماً ندمه ، ولا يُشكي متألماً ألمه ، ويصبح البيت العادليّ وهو مطلوب من جوانبه ، ومأخوذ بأباعده وأقاربه ، وتتخلى عنه كل يد يؤمل نصرها ، وترجو ان تبلو معه صبرها ، وينفلّ حينئذ الرأي الجامع والجمع الناجع ، ويتّسع الخرق على الراقع ، فالبدار البدار ما دام الأمر يمكن تلافيه ، والرهن لم بغلق بما فيه . وأبيات الشعر المنقولة عن ابن سيّار هذا وقت إنشادها ، غير أن المملوك يرجو أن لا يكون هذا الوقت وقت ميعادها . والسلام)).

ويمكن تعرّف موضوع هذه الرسالة في ضوء تقسيمها على مقاطع :-

المقطع الأول :- مدح المتلقي والدعاء له.
المقطع الثاني :- الإخبار بغزو بلاد أرمينية وخطره.
المقطع الثالث:- تلميح بالإنذار والتحذير من اتساع رقعة الخطر.
المقطع الرابع :- مدح شجاعة المتلقي وشحذ همته.
المقطع الخامس :- وصف العدو الغازي واستصغاره.
المقطع السادس :- التحذير والإنذار الصريح لتدارك الخطر قبل أن تخرج الأمور عن السيطرة.

وبالنظر إلى هذه المقاطع الدلالية لا يجد المتلقي صعوبة في معرفة المحور الدلالي الذي تدور عليه دلالات المقاطع الأخرى ، وهو المحور الذي تمثله دلالة المقطع الأخير ، إذ عمل الكاتب على استدراج المتلقي بعد افتتاح رسالته بالإخبار بالغزو ، ثم التلميح باحتمالية اتساع الخطر ، ثم دفع المتلقي لإعداد العدة اللازمة لتلافي هذا الخطر عن طريق إجراء مقابلة بين شجاعته من جانب ، وصِغَر العدو

وحقارته من جانب آخر ، حتى ختمها بالإنذار والتحذير الصريحين ، وهو ما يشكل بؤرة النّص التي تدور عليها سائر الدلالات الجزئية الأخرى.

إنّ النّص الذي يُفترض أنه محبوك دلاليّاً ، يجب أن يبني تصوّراً ما ، وأن يكون قابلاً للتلخيص إذ يسمح للمشارك بتأويله بتجاوز نقائصه المحتملة وبالاحتفاظ بما هو مناسب لهذا الموضوع .[1]

وإلى جانب هذه النماذج من الرسائل التي تحمل موضوعاً واحداً ، يوجد بعض الرسائل التي تتضمن أكثر من موضوع ، تدل عليها مقاطع النّص ، مثال ذلك ما نجده في الرسالة رقم (٤)[2] ، التي يمكن تقسيمها على المقاطع الآتية :-

المقطع الأول :- طلب المراسلة والمكاتبة وعتب على قطعها.

المقطع الثاني :- شكوى من الزمان والمكان.

المقطع الثالث :- شكوى من الأرض التي يقيم فيها ، ومناخها البارد.

المقطع الرابع :- شوق إلى رؤية المتلقي.

المقطع الخامس : - توصية بتبليغ السلام إلى بعض معارفه.

في ضوء هذا التقسيم المقطعي لنص الرسالة يُدرك المتلقي أنّ موضوع الرسالة يتجاوز المفهوم والمدلول الواحد ، وذلك بتفعيل العمليات الذهنية لإقامة علاقة ربط

---

[1]) ينظر : المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب /١٣١

[2]) ينظر : رسائل ابن الأثير / القيسي ، هلال / ١١٨- ١١٩

دلالية بين هذه المقاطع وتمييز الأساس منها ممّا هو ثانوي ، فيدرك حينها أنّه ربّما يصبّ المقطع الأول والثاني والرابع في دلالة واحدة أو مفهوم واحد وهو (الشوق) . ولكن من غير الممكن أن يجعل المقطع الثالث في ضمن هذه الدلالة ؛ فالشكوى من مناخ الأرض شيء ، والشوق شيء آخر ، ولكن الكاتب ببراعته استطاع أن يكون صورة مركبة من دلالتين في بنية دلالية واحدة .

وتأسيساً على ما تقدّم يمكن القول : إنّ موضوع النّص هو (شوق وشكوى).

ومن هنا يتبيّن أنّ مفهوم (موضوع الخطاب) هو ((المبدأ المركزي المنظم لقسم كبير من الخطاب . يمكن أن يجعل المحلل قادراً على تفسير ما يلي : لماذا ينبغي أن نعتبر الجمل والأقوال متآخذة كمجموع من صنف ما ، منفصل عن مجموع آخر ، يمكن أن يقدم أيضاً وسيلة لتمييز الأجزاء الخطابية الجيدة ، والمنسجمة ... من تلك التي تعدّ ،حدسيّاً، جملاً متجاورة غير منسجمة)).[١]

البنية الكبرى وقواعد البناء :-

يمكن أن ينتقل التحليل من مستوى تحليل المقاطع الجُمَلية إلى مستوى أعم وأشمل ترتيباً ونظماً، هو مستوى البنيات الكبرى الشاملة ، ويتم عن طريق العمليات التي اقترحها فان دايك وهي (الحذف والاختيار والتعميم والتركيب أو الإدماج). وقد سبقت الإشارة إليها في المبحث الأول من هذا الفصل.

فلكي نحصل على قضية كبرى لأيّة متوالية ،لا بدّ من تطبيق هذه العمليات عليها ، ولا بدّ من اختيار أنموذج من رسائل ابن الأثير لتوظيف هذه الإجراءات بغيّة الوصول إلى بنيته الكبرى .

ومثال ذلك الرسالة رقم (٣٤) ، التي كتبها عن مخدومه الملك الأفضل إلى والده الملك الناصر بشارةً بالنصر على الفرنج ، يقول فيها[٢] :-

((أبكار المناقب كأبكار الكواعب (ق١) . تزهي بجمالها (ق٢) ، وتنأى بوصالها (ق٣) ، ولا تُزف إلا لمن يقوم بأمرها (ق٤) ، ويسمح بإغلاء مهرها (ق٥) ، وقد

[١]) لسانيات النّص ، مدخل إلى انسجام الخطاب /٢٧٧

[٢]) رسائل ابن الأثير / القيسي ، هلال/ ٦٤-٦٦

فاز المملوك منهن بمنقبةٍ كثيرة الأحساب (ق٦) ، تكون لصاحبها في الدنيا رافعة (ق٧) ، وفي الآخرة شافعة (ق٨) ، وهي قود الجياد إلى مواطن الجهاد (ق٩) ، وابتكار الفتح الذي تُملى فيه معاني القضب على ألفاظ الكتب (ق١٠) ، ويُستدل عليه بشهب الرماح لا بالسبعة الشهب (ق١١) ، ولم يستعر المملوك في ذلك خيماً بعيداً (ق١٢) ، ولا استحدث مجداً جديداً (ق١٣) ، بل مشى فيه على أثر قديمه (ق١٤) ، وتقدم وقد قضى صدق حسبه بتقديمه (ق١٥) ، ولا تُشاد علا الآباء إلا بأبنائها (ق١٦) ، والسعي في حفظ مساعيها مثل ابتنائها (ق١٧) ، وهذا الكتاب أول بشرى وردت على مولانا بفريسة شبله (ق١٨) ، وإنه وقف بموقفه (ق١٩) ، وضرب بنصله (ق٢٠) ، وقد سبق إلى العلم الكريم أنّه شحذ عزمه (ق٢١) ، وراش سهمه (ق٢٢) ، ووطأ أرض العدو وطأةً بكراً (ق٢٣) ، وقاد إليها المنايا سوداً وحمراً (ق٢٤) ، وفي يوم كذا نزل دارهم (ق ٢٥) ، فزعزعها ودغدغها (ق٢٦) ، وضرمها وهدمها (ق٢٧) ، ورماها بأسود على عقبان (ق٢٨) ، وجلامد في غدران (ق٢٩) ، من كل شهم يُجرد من قلبه ما يجرده من عضبه (ق٣٠) ، ويسدد من جنانه ما يسدده من سنانه (ق٣١) ، وكلهم ممن بلاه المولى وجربه (ق٣٢) ، وسقاه من بأسه ودربه (ق٣٣) ، فخاضوا الأرض يمشون بنجوم صِعاد في سماء صعيد (ق٣٤) ، ويعتصمون بدروع صبر لا دروع حديد (ق٣٥) ، فلا مدد لهم إلا بأيديهم قائمة (ق٣٦) ، ولا معقل إلا ما حملتهم قوائمه (ق٣٧) ، ولما حِيزت الأسلاب (ق ٣٨) ، وأُريد الإياب (ق٣٩) ، أقبل العدو مُنتهضاً (ق٤٠) ، وجاء معترضاً (ق٤١) ، وهو يحمل من الأسل غابا (ق٤٢) ويحدد للقاء ظفرا ونابا (ق٤٣) ، وقد جاشت صدوره بأوغامه حتى ضاقت عنها مفاضات آلامه (ق٤٤) ، فلقيه المسلمون زحفاً (ق٤٥) ، وقاتلوه كما (يجب)[1] الله صفاً (ق٤٦) ، ولم يزالوا معه في مطاعنةٍ ومُراشقة (ق٤٧) ، ومصادمة ومعانقة (ق٤٨) ، حتى صديت الأبطال (ق٤٩) ، ورُويت النصال (ق٥٠) ، ولم يبق إلا من خف خطوه (ق٥١) ، وثقل وطؤه (ق٥٢) ، ووقى دم وجهه بدمه (ق٥٣) ، وصان هامة مجده بثبات قدمه (٥٤) ،

[1]) كذا وردت ، والصحيح هو (يحب) تناص مع قوله تعالى ((إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله □فا كأنهم بنيان مر□وص)) الصف / ٤

ولقد أشاح المملوك بنفسه حتى فل سيفها وعزمها (ق٥٥) ، فهم بالتي يبقى إثمها ووصمها (ق٥٦) ، فخطر مولانا عند ذلك بقلبه (ق٥٧) ، وتمثل له عتاباً فاستحيا من عتبه (ق٥٨) ، وثبت بمكانه نازعاً للدنية (ق٥٩) ، لابساً للمنية (ق٦٠) ، يرى الإقدام مأدبة (ق٦١) والقتل مأربة (ق٦٢).

مثلث له عند اللقاء بصورةٍ على البُعد أقضته الحياء فصمما
كيوسف لما أن رأى أمر ربه وقد هَم أن يعروري الذنب أحجما (ق٦٣)

والشجاعة كما يُقال صبر ساعة (ق٦٤) ، وطاعة المرء على الغيب هي الطاعة (ق ٦٥) ، ولئن أصدأ الكر له عزما (ق٦٦) ،فقد صقله ذكر مولانا فلمع (ق ٦٧)، أو أنبأ له سيفاً فقد شحذه حده فقطع (ق ٦٨) ،فإن غاب عن هذا المقام صورة فقد حضر معنى (ق٦٩) ، وما نأى من أسمع قلباً ، وإن لم يُسمع أُذناً (ق٧٠) ، فأجر هذه الوطأة له بنيته التي نابت مناب عمله (ق٧١) ، ومن حرض على القتال بذكره فقد أنجد بظباه وأسله (٧٢) ، وقد فاز المسلمون بالنصر المبتكر (ق ٧٣) ، وانقلبوا بحسن الذكر وحسن الأثر (ق٧٤) ، وأضافوا حر المغنم إلى برده (ق٧٥) ، وجازوا أولاً أجياد ظبائه وآخراً أعناق أسده (ق٧٦) ، ويرجو المملوك أن تكون هذه بدر الصغرى ومعها لمولانا بدر الكبرى (ق ٧٧) ، فإنه ثلم الكفر ومولانا يهدمه (ق٧٨) ، وكلمه وهو يحسمه (ق٧٩) ، وقد خاض من الغزو ساحلا لمولانا غَمرُه (ق٨٠) وفعل (يوحيد)[1] قدره (ق٨١) ، ولمولانا ما يوجبه قدره (ق٨٢) ، وهذه قدح زند يتلوها منه ضرام وقدٍ (ق٨٣) ، ولمحة برق يتبعها منه صلصلة رعدٍ (ق٨٤) ، وللآراء العالية مزيد العلو إن شاء الله تعالى (ق٨٥)).

فلغرض الحصول على البنية الكلية من هذا التتابع من القضايا ، لا بدّ من توظيف القواعد الدلالية الكبرى وعلى النحو الآتي :-

[1])كذا وردت في الكتاب

١- **قاعدة الحذف** :- وتعمل في القضايا الثانوية والفرعية التي لا تكوّن ركناً رئيساً في البناء الدلالي للنّص ، التي لا يختل المعنى بحذفها ، وتعمل هذه القاعدة في أغلب قضايا النّص التي تكون مجرد عناصر لقوة التأثير في المتلقي وإثارة وجدانه وإيقاظ مشاعره ، وليس ذلك إلا حرصاً من ابن الأثير على الصورة الفنية ، واهتماماً بمكوناتها ، فليس الغرض من التعبير الأدبي مجرد إبراز الحقائق أو جلائها ، وبث الأفكار أو تأييدها ، بل الغرض الأصيل هو قوة التأثير في نفس القارئ أو السامع [١] .

وعليه فقاعدة الحذف تعمل في القضايا :(١ – ٥، ٧، ٨، ١٠-١٧، ١٩، ٢٠، ٢٤، ٢٥، ٢٨، ٧٢، ٧٥، ٨٥).

٢- **قاعدة الاختيار** :- وتعمل في القضايا الأساسية التي تكوّن القاعدة الدلالية للبنية الكلية للنّص ، وهي : (٦، ٩، ١٨، ٢١، ٢٢، ٢٣، ٢٦، ٢٧، ٧٣، ٧٤).

٣- **قاعدة الإدماج أو التركيب** : - وتعمل في القضايا التي اختيرت أساسا للبنية الدلالية للنّص وهي: (٦، ٩، ١٨، ٢١، ٢٢، ٢٣، ٢٦، ٢٧، ٧٣، ٧٤)، فينشأ من إدماج تلك القضايا دلالية كبرى وهي : (البشارة بنصر المملوك في غزوه عدوه الفرنج) .

فهذه القضية الدلالية الكبرى هي التي تمثل المعنى الكلي للنّص ، وهي التي تمثّل البؤرة النّصية التي تعود عليها كل القضايا الصغرى في النّص .

[١]) ينظر : نقد النثر / ٢٤٤- ٢٤٥

ثالثاً:- التغريض :-

يركّز علماء لغة النّص على العلاقة بين العنوان ومضمون النّص . والمنطلق في ذلك من أنّ وضع عنوان النّص يتأثر باعتبارات دلالية وبراجماتية ؛ ومن ثمّ يكون للعنوان قيمة إشارية تفيد في الوصف النصي [١] .

فمفهوم التغريض والبناء يتعلقان بالارتباط الوثيق بين ما يدور في الخطاب وأجزائه وبين عنوان الخطاب أو نقطة بدايته. [٢]

وأوّل ما يبدو واضحاً من ملامح التغريض في رسائل ابن الأثير هو أنّه غالباً ما يستهلّ الكاتب رسائله بما يدلّ على موضوعها ، ومن مظاهر دلالة الافتتاح على غرض الكلام أن يكون الدعاء الذي يتصدّر به ملائماً للمضمون. [٣]

ومن ذلك ما نجده في الرسالة رقم (٢١) ، التي كتبها إلى بعض الأخوان عيادة من مرض ، فهو يقول في مطلعها : ((جدّد الله أيام المجلس لسامي وأخدمه السعادة التي تخدم ، ومنحه الموهبة التي لا تُصرم ، وأقدم عليه وفد العافية أكرم مقدم ، وألبسه منها اللباس المعلم ، وحماه من مكاره الجذع الأزلم ، وأطال بقاءه إطالةً لا يمل معها ولا يسأم)) [٤] .

فما يكاد المتلقي يقف على مطلع هذه الرسالة حتى يقف على المحور الذي سوف يدور عليه النّص ، والذي سيتوالد ويتنامى حتى تحدد هويته الواضحة في ذهن المتلقي ؛ فيدرك المتلقي أنّ موضوع هذا النّص ذو صلة وثيقة بالمرض الذي نزل به .

ومثل ذلك ما نجد في الرسالة رقم (٢٥) ، التي كتبها عنايةً ببعض الأشخاص إلى أحد الملوك . يقول في مطلعها :((يقبل الأرض بين يدي مولانا الملك الأفضل نور الدنيا والدين ، جعله الله على الممالك قيماً ، وفي ذرى العلياء مخيماً ، وأحصن

---

[١]) ينظر : تحليل البنية النّصية من منظور علم لغة النّص ، دراسة في العلاقة بين المفهوم والدلالة في الدرس اللّغوي الحديث ، د.فائز الكومي ، مجلة القدس المفتوحة للأبحاث والدراسات ، العدد (٢٥) ٢٠١١أيلول/ ص٢١٥

[٢]) ينظر : لسانيات النّص ، مدخل إلى انسجام الخطاب / ٥٩

[٣]) ينظر : نقد النثر /٢٧٨-٢٨١

[٤]) رسائل ابن الأثير / المقدسي /١١٤

به عقائل المكارم ولا أبقى منهن أيماً ، ولا زالت أيامه مواسم الجود ، ومعالم الوفود ، ومناظم عقود الجدود ، وملاحم كمد العدو والحسود)). [١]

فقد ضمّن الكاتب في هذا المطلع بعض المعاني التي تهيئ ذهن المتلقي للتكهن بما سيدور عليه النّص من موضوع ، وهو (التكرّم على الشخص ببعض العطايا)، بدلالة الجمل (أحصن به عقائل المكارم ، لا زالت أيامه مواسم الجود ، ومعالم الوفود).

وفي الرسالة رقم (٢٦) التي كتبها إلى أحد الملوك يهنئه بملك مصر ، يفتتح رسالته بالآية القرآنية ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ الأنبياء /١٠٥، ثم يبدأ رسالته بقوله :((يقبّل الأرض بين يدي مولانا الملك الأفضل نور الدنيا والدين ، جعل الله الليالي والأيام من جنده ، وأظهر آيته في إعلاء أمره ، وتجديد جدّه ، ووهبه مُلكاً لا ينبغي لأحد من بعده ، وعقد له لواء نصرٍ لا شركة للناس في عقده))[٢]

ففي دلالة الآية القرآنية تصريح من الكاتب بموضوع النّص ، فضلاً عما تدلّ عليه الجمل بعدها في مطلع الرسالة ، وهي (وهبه ملكاً ،عقد له لواء نصر).

وإذا انتقلنا من مطالع الرسائل إلى ما بعدها من مقاطع في نصوصها لنرى الأشكال التي يتخذها التغريض في هذه النصوص ، نجد أنّ التغريض يتحقّق بوساطة تكرار استعمال ضمائر الإحالة إلى المراجع الرئيسة في النّص ، أو التكرار المباشر أو الجزئي ، أو بالصفة وغيرها من أشكال إعادة الذكر ، بحيث يعمد الكاتب إلى تكوين سلاسل اسمية أو ضميرية أو وصفية تمتد عبر الأجزاء النصية (الفقرات والمقاطع النصية) ، وعبر النّص بأكمله ، تعود كلها إلى المحور الدلالي الأول الذي يتخذه الكاتب موضوعاً لنصه .

مثال ذلك ما نجده في الرسالة رقم (١٣)[٣] التي كتبها إلى أحد الأمراء يشكره فيها على سجادة أرسلها هدية له ، فهو يذكر (السجادة) بالاسم الصريح مرتين في

---

[١]) رسائل ابن الأثير / القيسي ، هلال/ ٥٦

[٢]) المصدر نفسه /٩٠

[٣]) ينظر :رسائل ابن الأثير / هلال/ ١٨٠-١٨١

بداية الرسالة ، ثم تكون هذه الأسماء الصريحة مرجعاً متصلا للضمائر في النّص التي تبلغ (١٢) ضميرا ، مكونة أشبه ما تكون بشبكة تغطي أطراف النّص . مضافاً إلى ذلك ما ورد في النّص من صفات أضفاها على هذه السجادة ، مثل (روضة ، هدية ، ديباجة رومية ، بردة يمانية ، هذا الإحسان) .

وفي الرسالة رقم (١٧) [١] التي كتبها إلى أحد المشايخ يفخر بنفسه ، ويستنكر عليه تشبيهه بالقاضي الفاضل ، نجد أنّ التغريض قد تمثّل في مجموعة من المظاهر:-

١- استمرار الإحالة بالضمائر على ذات الكاتب التي شكلت بؤرة دلالية للنّص بما يتناسب مع موضوعه وهو الفخر بالنفس والأسلوب ، إذ بلغ عدد الإحالات (٣٥) إحالة.

٢- إسناد بعض الأسماء إلى ذات الكاتب بما يلائم غرض النّص وموضوعه ، مثل (فضيلتي ، أخطب ، كلمي ، لساني).

٣-تعبير الكاتب عن نفسه في ضوء إقامة مقارنات ضدية بينه وبين القاضي الفاضل ، مثل (الذهب والنحاس ، الحي والميت ، خاطر يضيء زيته وخاطر يضيء بلا زيت ، البدر وزحل ، الأول والأواخر).

وفي ضوء هذه المظاهر نلاحظ الحضور القوي والفعّال لذات الكاتب التي يأخذ بالتعبير عنها بصور متنوّعة ومختلفة .

وعلى هذا النحو في سائر نصوص الرسائل نلاحظ أن المحاور الرئيسة في النصوص تستحوذ على أكبر نسبة من الإحالات ، أو إعادة الذكر المباشر أو الجزئي ، أو بالصفة ، محققة بذلك حبكاً لأجزاء النّص حتى نهايته .

البنية العليا لنصوص الرسائل :-

يندرج فن الترسّل تحت صنف أدبي عام وهو فن النثر ، الذي يقابل بدوره فن الشعر، وينماز عنه بخلوه من الوزن والتقفية ، ((وقد عُني به العرب عناية خاصة

[١]) ينظر :رسائل ابن الأثير / المقدسي / ٣١١- ٣١٣

منذ أقدم العصور... فنوعوا أغراضه ، وحددوا مناهجه ، وميزوا أنواعه واستخلصوا قواعده وأصوله))[١].

فالرسالة هي ذلك الشكل النثري المعروف عند المتلقي ، الذي يستقلّ بنمط معين تدلّ عليه مجموعة من الإشارات ، كالعناوين الرئيسة ، وعبارات الافتتاح والاختتام ، وبعض العبارات الوظيفية[٢].

وعلى الرغم من تعدّد موضوعات الرسائل إلا أنّه يوجد نوع من الثبات للبنية العليا والبناء الهيكلي لنصوصها ، بعد أن تشكّل هذا الفن عبر عصور الأدب العربي إلى أن وصل إلى المرحلة التي استقرّ عليها ونضج فيها [٣] .

ويتمثّل هذا البناء الهيكلي للرسائل بأربعة أركان هي : المطلع والتخلص والموضوع والخاتمة[٤] ، وتختلف مضامين هذه الأركان وأشكالها تبعاً لاختلاف موضوع الرسالة والشخص الموجهة إليه .

أمّا المطلع ، فقد جعل ابن الأثير مطالع رسائله – كما مرّ ذكره في التغريض – دالّة على موضوع النّص ، ((فإن كانت تهنئة فلها عنده ألفاظها وعباراتها ، وإن كانت تعزية فلها من الألفاظ والعبارات ما يناسبها ، وكذلك الحال في بقية الأغراض والموضوعات))[٥].

وغالباً ما يتم توظيف المطالع في رسائل ابن الأثير في الدعاء للمرسَل إليه ، وهو إمّا أن يستهلّ كلامه قبل الدعاء بآية قرآنية ، أو بيت شعر ، أو عبارات لافتة أو أن يدخل في الدعاء مباشرة .

---

[١]) المعجم المفصّل في اللغة والادب / ٣٨١

[٢]) ينظر: علم لغة النّص، النظرية والتطبيق / ٢٤٤

[٣]) ينظر : فن الترسّل عند عبد الحميد الكاتب وابن العميد / ١٣(رسالة ماجستير)

[٤]) ينظر : نقد النثر /٢٧٨

[٥]) نقد النثر / ٤٧٣-٤٧٤

مثال ذلك ما ورد في الرسالة رقم (٥) التي كتبها إلى بعض الأخوان تتضمّن ذكر الشوق ، فهو يبدأها بقوله : ((رفع الله قدر سيدنا وجعل ربعه مأنوسا ، وحظه منفوساً ، وقسم الزمان بينه وبين أعدائه نعمى وبؤساً))[١].

فهو قد افتتحها بالدعاء مباشرة ثم انتقل بعده إلى موضوع الرسالة .

وقد يستهلّ كلامه بآية قرآنية يبدأ بعدها الدعاء للمرسل إليه ، كما مرّ بنا في الرسالة رقم (٢٦) : ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴾ الأنبياء / ١٠٥ يقبّل الأرض بين يدي مولانا الملك الأفضل نور الدنيا والدين ، جعل الله الليالي والأيام من جنده ، وأظهر آيته في إعلاء أمره ، وتجديد جده ، ووهبه ملكا لا ينبغي لأحد من بعده)). [٢]

أو قد يستهلّ كلامه ببيت أو بيتين من الشعر ، كما في الرسالة رقم (٢٧) :

((وإذا ارتَحَلتَ فَشَيَّعَتْكَ سَلَامَةٌ أَنَّى اتَّجَهتَ ودَيْمَةٌ مِدْرَارُ

وأراك دهرك ما تحاول في العدى حتى كأنّ صروفه أنصار

يخدم مجلس المولى مجاهد الدين ممهد الإسلام ، لا زال مواجهاً لسعادة في مقامه وظعنه ، محلياً للدهر بأيامه التي يفخر بها على ما تقدم من زمنه)). [٣]

وقد يبدأ كلامه بعبارات لافتة تسبق الدعاء ، كما في الرسالة رقم (١٠) التي يقول فيها :((إن كان الحج عبارة عن شحوب نفوس وأجساد ، وإنفاق يذهب بطريف من المال وتلاد ، فمن الناس من يحظى بثواب الحج وهو في ضمن داره ، ولا حاجة له إلى عقد أزمته ولا إلى رفع أكواره ، كالمجلس السامي قرن الله حجه بالسعي المشكور ، والعمل المبرور)). [٤]

وقد تفرض القضية الكبرى للنّص على الكاتب أن يترك هذا الترتيب في المطلع وأن يلجأ إلى الدخول المباشر في موضوع النّص اعتماداً على ما يمليه عليه سياق المقام وحال المتلقي ، فيصبح أمر مخالفة الترتيب المألوف لخطة النّص أكثر قبولاً

---

١) رسائل ابن الأثير / المقدسي / ١٢٠

٢) رسائل ابن الأثير / القيسي ، هلال /٩٠

٣) المصدر نفسه /١٠٩

٤) رسائل ابن الأثير / المقدسي / ١٧٩

، وهذا ((ما يؤكد على أنّ الأساس الدلالي والبراجماتي هو المتحكّم في البنية العليا والموجّه لها)) [١] ، مثال ذلك ما نجده في الرسالة رقم (١٣) التي كتبها إلى أحد الأمراء يشكره ويثني عليه لأجل سجادة أرسلها إليه فهو يدخل إلى موضوع الرسالة مباشرة في شكر المتلقي مراعاة للمقام في وجوب التعجيل برد الإحسان من دون تأخير ، فهو يقول في مطلعها : ((إحسان المولى قد أحاط بالخادم حتى لم ينظر إلى مواقع جوده،ولم يبق إلا موضع مصلاه فجاءته سجادة لموضع سجوده)).[٢] ومثل ذلك ما نجده في الرسالة رقم (٣٤) التي كتبها عن مخدومه الملك الأفضل إلى والده الملك الناصر صلاح الدين ، التي يبشّره فيها بالنصر على الفرنج ، فهو يبدأها بقوله : ((أبكار المناقب كأبكار الكواكب ، تزهي بجمالها ، وتنأى بوصالها، ولا تزف إلا لمن يقوم بأمرها ، ويسمح بإغلاء مهرها ، وقد فاز المملوك منهن بمنقبة كثيرة الأحساب ، قليلة الخطاب...وهي قود الجياد إلى مواطن الجهاد، وابتكار الفتح الذي تُملى فيه معاني القضب على ألفاظ الكتب)). [٣]

فالكاتب يحرص على أن لا يفصل بين التبشير بالنصر والمتلقي بفاصل ، فهو يريد أن تكون البشارة بالنصر أوّل ما يقرع سمع المتلقّي الذي يكون متلهفاً لمثل هذا الخبر ، وأوّل ما يستحوذ على اهتمامه ، فقد تم تغيير أجزاء البنية العليا بناءً على قصدية المنتج وحال المتلقّي .

وكذلك أبرز ما يمكن ملاحظته في الخروج عن ترتيب أجزاء البنية العليا هو ما يظهر في رسائل التعزية . فالكاتب يبدأ كلامه مباشرة بالتعزية ، أو قد يستهل كلامه ببيت أو أكثر من الشعر بما يلائم حال المتلقي ، وهذا ما نلاحظه في الرسالة رقم (١١) التي يبدأها بقوله : ((للمنية حكم لا ينجو منه أحد من الناس ، وإن قيل انّ لها كأساً ففي الغرق يصح سقيا ذلك الكأس)). [٤]

---

[١]) نظرية علم النّص / ١٧٤

[٢]) رسائل ابن الأثير / هلال /١٨٠

[٣]) رسائل ابن الأثير / القيسي ، هلال / ٦٥

[٤]) رسائل ابن الأثير / المقدسي / ٢١٣

وعلى هذا النحو نلاحظ أنّ الركن الأول من البنية الهيكلية لنصوص الرسائل هو المطلع الذي يوظفه الكاتب في الدعاء للمرسل إليه ، ولا يخرج عن هذا الركن إلا بما يمليه عليه سياق المقام أو القضية الكبرى للنّص ، فـ ((إذا كانت البدايات السابقة تشكّل الافتتاحات النمطية لرسائل (ابن الأثير) ، فإنّ رسائله عرفت بدايات غير نمطية ترتبط بالمناسبة ارتباطاً وثيقاً حتى لنظن أنها ليست مقدمة ، بل انتقالاً مباشراً إلى موضوع الرسالة وغرضها)). [١]

أمّا الركن الثاني من البنية العليا لنصوص الرسائل فهو (التخلّص) ، وهو الذي يأخذ بالمتلقّي وينقله من المطلع الى موضوع النّص .

ويوظف ابن الأثير بعض الألفاظ والصيغ لهذا الغرض ، منها (ويُنهي) ، كما في الرسالة رقم (٢٤) ، يقول بعد أن يفرغ من الدعاء للمرسل إليه : ((ويُنهي أن فلاناً وفد عليه زائراً)) [٢] .

ومنها صيغة (هذه المكاتبة) ، كما في الرسالة رقم (٨) التي يقول فيها بعد أن يفرغ من الدعاء : ((هذه المكاتبة ناطقة بلسان الشوق)) [٣] ، ومنها صيغة (ورد كتابه) أو (ورد الكتاب) وذلك في ردوده على الكتب المرسلة إليه ، كما في الرسالة رقم (١٧) ، إذ يقول بعد أن يفرغ من الدعاء:((ورد كتابه عشية يوم الاثنين))[٤]

ومنها صيغة (أمّا بعد)،كما في الرسالة رقم (٣١) :((أما بعد فإن ذؤابة المنبر))[٥] ، وقد يكون الدعاء هو صيغة التخلّص التي يعتمدها ابن الأثير في انتقالاته [٦] ، كما في الرسالة رقم (١) التي يقول فيها بعد الدعاء : ((وهذا الدعاء يلائم حاله في قدم صدقه ، واختياره جوار الله على جوار خلقه)). [٧]

---

١) نقد النثر / ٤٨٤

٢) رسائل ابن الأثير / القيسي ، هلال / ١٤٤

٣) رسائل ابن الأثير / المقدسي / ١٩٤

٤) المصدر نفسه / ٣١٢

٥) المصدر نفسه / ١٢٤

٦) ينظر : نقد النثر / ٤٨٩

٧) رسائل ابن الأثير / هلال /١٣٩

وقد يجعل ابن الأثير من الشعر مخلصه إلى موضوعه [١] ، كما في الرسالة رقم (١٢) التي كتبها إلى بعض الأخوان يعزيه بأخيه حيث يقول :

((تَأمّل إذَا الأحْزَانُ فِيكَ تَكَاثَرَتْ أعَاشَ رَسُولُ اللهِ أمْ ضَمَّهُ قَبْرُ

إذا كانت الأسوة كهذه فإنها تجعل للصبر متسعاً ، وللحزن مرتدعاً ، وتبعث على الوقوف بموقف لا يسلب عن صاحبه ثوب الوقار ، ولا يحرمه ثواب الأبرار ، وكذلك فعلت بسيدنا أحسن الله عمله)). [٢]

وعلى هذا النهج يسلك ابن الأثير لينتقل بالمتلقّي من المقدمة أو المطلع إلى موضوع النّص الذي يمثل البؤرة الدلالية الأساسية التي ترجع إليها كل القضايا الصغرى في النّص .

أما الركن الرابع والأخير بعد الموضوع الرئيس للنّص فهو الخاتمة ، ((وخواتيم رسائل ابن الأثير قد شكلتها موضوعات رسائله ؛ فختام رسائل التعازي يختلف عن ختام رسائل التهاني ، وختام رسائل الشوق يختلف عن ختام الاعتذار والشفاعة)) [٣] ، وهو ختام يكون مؤذناً بختام النّص عند المتلقّي ، كالدعاء له ، أو إعلان المودة ، أو الشوق للقائه ، أو أي خاتمة تكون مشتقّة من موضوع الرسالة .

إنّ التزام الكاتب الترتيب الهيكلي المرسوم للنّص ذو تأثير حاسم في تأويل النّص عند المتلقّي ؛ فهو يساعد على فهم وتذكّر النّص مرة أخرى [٤] ، وهو بمثابة خارطة طريق تقود المتلقّي للوقوف على الأجزاء الدلالية المكوّنة للدلالة الكلية للنّص . علاوة على ذلك إنّ معرفة القارئ بالبنية العليا تتدخل في تعميق فهمه للنّص ، ((فهي بناء ذهني يمثل معرفة المرء بالشكل النمطي لنوع النّص ، وتوقعه للمعلومات النّصية المرجوة ، ممّا

---

[١]) ينظر : نقد النثر /٤٩٢

[٢]) رسائل ابن الأثير / المقدسي / ٢٣٧- ٢٣٨

[٣]) نقد النثر/ ٤٩٣

[٤]) ينظر :علم لغة النّص ، النظرية والتطبيق / ٢٤٣

يساعد على تمكّنه من اختزال وتنظيم النّص في وحدة متماسكة وقابلة للفهم))[1].

فمعرفة المتلقّي لبناء الرسالة وترتيب أجزائها (المطلع والتخلّص والموضوع والخاتمة) تجعله قادراً على خلق قراءة نصّية منظّمة ومتماسكة قائمة على أساس إيجاد حبك دلالي بين هذه الأجزاء ، ولا سيّما إذا كانت هذه الأجزاء مشتقّة بعضها من بعض وكلّها تدور حول الموضوع الأساس للرسالة ، كما هو الحال في رسائل ابن الأثير الذي أجاد في جعل مطالع رسائله وخواتيمها دالّة على المعنى المقصود ومشتقة منه[2] ؛ فجعل أجزاء نصوصه آخذة بعضها برقاب بعض ، وكلامه كأنّما أُفرغ إفراغاً .

ومن هنا يتبيّن ((أنّ البنية العليا هي إحدى الروابط النّصية على المستوى الأعلى ، باعتبارها أداة تنظيمية تحدّد النظام الكلي لأجزاء النّص)). [3]

[1]) نظرية علم النّص / ١٥٧

[2]) ينظر : نقد النثر / ٤٧٣ ، ٤٩٣

[3]) نظرية علم النّص /١٥٧

الفصل الثالث

المعايير التداوليّة في علم لغة النّص وفي رسائل ابن الأثير

المبحث الأول : القصديّة والقبوليّة في علم لغة النّص وفي رسائل ابن الأثير

المبحث الثاني :التّناص في علم لغة النّص وفي رسائل ابن الأثير

المبحث الثالث : المقاميّة في علم لغة النّص وفي رسائل ابن الأثير

المبحث الرابع : الاعلامية في علم لغة النّص وفي رسائل ابن الأثير

المبحث الأول

القصديّة والمقبوليّة في علم لغة النّص

يقول د.سعيد بحيري :((إنّ النّصوص ليست سوى مجموعة من الرموز اللّغوية المعبّرة ، وإنّ وظيفتها إنّما هي الاتّصال الاجتماعي)) [١].

((فالمنطوقات اللّغوية (والبنى النّصية) تهدف في العادة إلى الإسهام في الاتّصال والتفاعل الاجتماعي ؛ لذلك فهي تتضمّن وظيفة دينامية ، ولمحاولة فهم كيف يعمل الخطاب يجب أن نأخذ في الاعتبار الجوانب القصدية والمقبولية لتشكيل الخطاب وتفسيره أيضاً)).[٢]

ومن ذلك يمكن أن نعدّ القصدية نقطة بدء النّص ، والمقبولية نهايته ، وبينهنّ تقع المعايير النّصية الأخرى ، و((بذلك نسعى لتمثيل فعلي لعملية إنتاج النّص ، ونحاول أن نبين ما صاحب تواجد النّص من عناصر لا غنى عنها ، مثل توافر القصد من قِبَل المرسل ، والقبول من قِبَل المتلقي ، وهي عناصر تساهم بجانب مجموعة عناصر أخرى في اكتمال مفهوم النّصية لأية تشكيلة لغوية)) [٣].

فهذان المعياران يبينان كيفية تآلف العناصر اللّغوية المكونة للنّص ، والكيفية التي تكتسب فيها هذه العناصر دلالاتها في النّص.

وتبدو أهمية هذين المعيارين واضحة ولا سيّما عندما نتعامل مع نصوص غير مكتملة السبك والحبك ، ((حينئذ يتوجب علينا إدخال اتجاهات مستعملي النّص ضمن معايير النّصية ؛ إذ إنّ النظر إليها يفسّر عدم الاكتمال في تلك النّصوص والقصد من ورائه (خاصة في المحادثة) إذ يبرز دور المتلقّي في فهم وتفسير الحذف والانقطاع داخل النّص)) [٤].

---

١) علم لغة النّص ، المفاهيم والاتجاهات / ١٤١

٢) علم لغة النّص ، النظرية والتطبيق / ٢٨

٣) نظرية علم النّص / ٤٧

٤) علم لغة النّص ، النظرية والتطبيق / ٢٨

أولا : مفهوم القصديّة:

يرى دي بوجراند أنّ القصدية تتضمّن ((موقف منشئ النّص من كون صورة ما من صور اللّغة نقصد بها أن تكون نصّاً يتمتّع بالسّبك والالتحام ، وإنّ مثل هذا النّص وسيلة من وسائل متابعة خطة معينة للوصول إلى غاية بعينها . وهناك مدى متغير للتغاضي في مجال القصد ،إذ يظل القصد قائماً من الناحية العملية حتى مع عدم وجود المعايير الكاملة للسّبك والالتحام))[١].

وقد أشار دي بوجراند في هذا التعريف إلى مبدأ التغاضي ، ويعني أن منتج النّص ((قد يتغاضى أو يتساهل أو يتسامح في مسألة تحقّق معياري السبك والحبك في النّص على الوجه الأكمل ، وقد يؤدي هذا إلى وقوع بعض المصاعب لدى مستقبِل النّص نتيجة للخلل الحاصل في معياري(السبك والحبك) فيعتمد مستقبل النّص عندئذٍ إلى تزويد مادة ما ، أو التساهل من جانبه بإزاء موضع الخلل، ويعد ذلك معالجة لتلافي الخلل وصولاً إلى تحقيق الغاية الاتصالية بين المنتج والمتلقي))[٢] .

وهناك من يجعل السبك والحبك هدفين نهائيين للقصدية ، فهي تعني ((قصد منتج النّص من أية تشكيلة لغوية ينتجها أن تكون قصداً مسبوكاً محبوكاً))[٣].

ويبدو أنّ رأي بوجراند هو الأقرب من الواقع ، فهناك مدى معين للتغاضي عن شروط السّبك والحبك لا يتعدّى إلى الحدّ الذي تنهار فيه عملية الاتّصال ، وقد أشار الدكتور تمام حسان إلى ذلك إلى ذلك:((ليس من قبيل النّص ما نسمعه من لغو الكلام ، وحشوه ، وكلام السكران ، والمُكرَه ، والناسي ، والمخطئ))[٤].

فالقصدية هي أحد المقومات الأساسية للنّص ، باعتبار أن لكلّ منتج خطاب غاية يسعى إلى بلوغها ، أو نيّة يريد تجسيدها ((ويستمد مفهوم القصد شرعية

---

[١]) النّص والخطاب والإجراء / ١٠٣

[٢]) أصول المعايير النّصّية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب / ٦٢(رسالة ماجستير)

[٣]) علم لغة النّص ، النظرية والتطبيق / ٢٨

[٤]) نحو الجملة ونحو النّص / ٢ ، نقلا عن نحو النّص ، اتجاه جديد في الدرس النحوي / ٨٠

وجوده في الدراسات اللسانية ،قديمها وحديثها، من أن كلّ فعل كلامي يفترض فيه وجود نية للتوصيل والإبلاغ((لا يتكلم المتكلم مع غيره إلا إذا كان لكلامه قصد))[١]

ثانيا : القصديّة ونظريّة أفعال الكلام :

إنّ منتج النّص (سواء كان النّص منطوقاً أو مكتوباً) يحاول بإنتاج هذا النّص أن يؤثّر في الملتقي ، ولما كان هذا الإنتاج هو نشاط يوجهه المنتج ليحقق غاية معينة ، فيمكن التعبير عنه بشكل أدق بأنه ((فعل لغوي يمكن أن يُعرف خلافاً للسلوك الذي يجري بشكل آلي (مثل التنفس والتثاؤب) بأنه سلوك مقصود)). [٢]

فهذا الفعل أو السلوك يرتبط بمقصد المتكلم ، وعلى السامع أو القارئ أن يبذل جهده في سبيل الوصول إليه ؛ ولهذا يؤدي مفهوم قصد المتكلم (القصدية) دورا مركزيّاً في نظرية أفعال الكلام .((فالقصد يحدد الغرض من أي فعل لغوي ،كما يحدد هدف المرسل من وراء سلسلة الأفعال اللغوية التي يتلفظ بها ، وهذا ما يساعد المتلقي على فهم ما أُرسل إليه ، ومن ثمّ يصبح توفر القصد والنية مطلباً أساسيّاً وشرطاً من شروط نجاح الفعل اللغوي الذي يجب أن يكون متحققاً ودالاً على معنى)).[٣]

((والاستعمال اللغوي ليس إبراز منطوق لغوي فقط ، بل أيضاً إنجاز حدث اجتماعيّ معين في الوقت نفسه ، وعلى هذا توجد أحداث كثيرة ننجزها من خلال النطق والشكوى... الخ ، ويُطلق على الشيء المنطوق منطوقاً لغوياً. أمّا الأحداث التي تنجز من خلاله فيطلق عليها أحداثا لغوية ، أو أفعالاً لغوية ، وعلى ذلك يكون لدينا مع الحدث نية أو قصد لإنجاز العمل فنحدد الحدث بوجه عام بأنه تأليف / جمع بين مقصد وعمل)). [٤]

فالفعل القولي يتوسّل ((تحقيق أغراض إنجازية (كالطلب ، والأمر ، والوعد والوعيد

---

١) مدخل إلى علم النّص ومجالات تطبيقية / ٩٦

٢) التحليل اللّغوي للنّص / ١٢٣

٣) الخطاب الأدبي ورهانات التأويل / ٩٤

٤) علم لغة النّص ، النظرية والتطبيق / ٢٨- ٢٩

...الخ) ، وغايات تأثيرية تخص ردود فعل المتلقي (كالرفض والقبول). ومن ثم فهو فعل يطمح إلى أن يكون فعلاً تأثيريّاً ، أي يطمح إلى أن يكون ذا تأثير في المخاطب اجتماعيّاً أو مؤسساتيّاً ومن ثم إنجاز شيء ما)) [١] .

ومن المؤكّد أنّ الفعل القولي وهو يتوسّل تحقيق هذه الأغراض لا بدّ أن يراعي ظروف العملية التواصلية كالسياق ، وخصوصية المتلقي . وهذا ما يؤكد من((وجود مجموعة من القيود التداولية يجب أن ترتبط بكلّ حدث لغوي(فعل كلامي)) [٢]، بل قد تكون للقرائن غير اللّغوية أهمية أكبر في تحديد الأهداف البراغماتية.[٣]

لقد ميّز كلّ من أوستين وسيرل أصحاب نظرية أفعال الكلام بين ثلاثة أفعال ، ((فلكي يعبّر المتحدث عن نفسه يقوم بتأدية ثلاثة أعمال ذات قوى مختلفة في وقت واحد ، أولها (القوة التعبيرية)، وهي التعبير الظاهري المتضمن في جملة الأصوات المتتابعة ،هذه الأصوات ذات معنى محدد في موقف معين .

أما القوة الثانية ، فهي قصد ، أو هدف ، أو نية المتحدث من إطلاقه هذا التعبير وهو ما يُعرف باسم (القوة اللاتعبيرية) ، أي محاولة المتحدث إنجاز غرض تواصلي معين.

أما القوة الثالثة فهي أثر أو نتيجة التعبير بالنسبة للمتلقي ، أو المستمع ، وهي ما تُعرف باسم(القوة التعبيرية الفوقية) ، هذه النتيجة أو الأثر رهن بالظروف الخاصة بالتعبير)). [٤]

و((لقد ميّز أوستين بين نوعين من الأقوال ... فمنها ما يُستعمل لوصف العالم ،وهذا النوع من الأفعال يمكن أن نحكم عليه بالصدق أو الكذب ، وهناك أقوال لا تقرر واقعا ولا تصفه ، كـ :الأمر /الاستفهام /الشكر /الاعتذار ، وهذه الأفعال يمكن الحكم عليها بمعيار التوفيق أو الإخفاق)) [٥].

---

[١]) التداولية عند العلماء العرب / ٤٠

[٢]) نظرية علم النّص / ٤٩

[٣]) ينظر : مقالات في تحليل الخطاب / ٦٢

[٤]) الاتجاهات الحديثة في علم الأساليب وتحليل الخطاب / ٥١ ، وينظر : نظرية أفعال الكلام العامة / ١٢٣

[٥]) لسانيات النّص ، النظرية والتطبيق / ١٩١-١٩٢

وتوصّل أوستين إلى خمسة أنواع تتفرّع عن الفعل الإنجازي في ضوء قياس القوة الإنجازية للفعل المؤدي وهي [1]:-

١- أفعال الأحكام : (كالقرار القضائي ،المحاكمة).
٢- أفعال القرارات : (الإذن ،الطرد ،التعيين ،الحرمان).
٣- التعهد : (الوعد ، الضمان ،التعاقب ،القسم).
٤- السلوك : (اعتذار ،شكر، مواساة ، تحدي)
٥- الإيضاح :(الاعتراض، تشكيل ،انكسار، موافقة ، تصويب، تخطئة).

وقد أفاد سيرل من هذا التقسيم للأفعال الإنجازية بالنظر إلى الغرض المنجز ، وشرط الإخلاص ، واتجاه المطابقة ، جاعلاً منها خمسة أنواع رئيسة هي [2] :-

١- التوجيهات :-(كالأمر، والنصح ، والاستعطاف ،والتشجيع ،والتحضيض، والطلب بأنواعه).
٢- الإخباراليات :- (الوصف ، تقرير الواقعة كما هي (صدق / كذب).
٣- إلتزاميات :- (الوعد ، الوصية).
٤- تعبيريات (الشكر ، التهنئة ، الإعتذار ، المواساة).
٥- إعلانيات:- (إعلان ، حرب ، هدنة).

ثالثا : القصديّة المباشرة والقصديّة غير المباشرة :

يسلك الكاتب أو المتكلم سبلاً متعددة في بيان مقاصده تبعاً لما تمليه عليه عناصر السياق ، وأهداف الكلام أو التخاطب ، وكلّ مقصد يستدعي ألفاظاً وهيئة من التركيب معينة تنجم عنها معانٍ أُوَل (صريحة) ، ومعانٍ ثانية (متضمنة).

فدلالة الأفعال اللغوية تتنوع في الدلالة على المقصد . وهذا التنوع في الأفعال اللغوية محكوم بقصدية المرسِل التي تستند إلى عناصر سياقية ، تفرض على المرسِل انتقاء أفعال معينة من دون غيرها لغرض المواءمة بين الشكل اللغوي

[1]) ينظر : الخطاب الأدبي ورهانات التأويل / ٩١
[2]) المصدر نفسه / ٩٣

والسياق المصاحب ، ((ولا يمكن أن يكون المعنى الحرفي للغة هو معنى الخطاب الوحيد ، وهذا أحد دواعي توسيع الدراسات التداولية ؛ فلم تقف عند حدود المعنى الحرفي للخطاب أو عند إنجاز الفعل بشكله اللغوي المباشر... بل اهتمت الدراسة بالمعنى التداولي وكيفية التعبير عنه بالفعل اللغوي غير المباشر)). [١]

وفي ضوء ذلك يمكن أن نفسّر القصدية المباشرة وغير المباشرة للفعل الإنجازي تفسيراً براجماتياً :((فالأفعال في اللغة العربية تقسم على أفعال طلبية (إنشائية عدا الاستفهام) ، وهي أفعال إنجازية مباشرة ، وأفعال خبرية وهي أفعال إنجازية غير مباشرة (مستنتجة)) [٢].

مثال :-

- (أمسح قدميك) : فعل إنجازي مباشر يلتزم رد فعل (مسح القدمين) بوصفه فعلا استلزاميّاً.
- (لقد نظفت الأرض للتو) : فعل انجازي غير مباشر (امسح قدميك) وسيلتزم من السامع مسح القدمين .

ولكن السامع الموجه إليه الجملة الأولى يختلف وضعه بالنسبة إلى المتكلم عن ذلك الذي وجهت إليه الجملة الثانية [٣].

رابعا : القصديّة والمتلقّي :

هناك ضوابط وسياقات لغوية وغير لغوية من جهة المتلقي تتحكّم في قصدية الكاتب أو المتكلم وهو يصوغ نصّه .

فهو يعمد إلى ((الاختيار من خلال مجموعة متغيرات (بدائل معجمية) ، أو مجموعة متغيرات (بدائل تركيبية) . هذه البدائل تختلف تبعاً للعوامل السمعية / الموقف الاتصالي والعوامل الاجتماعية))[٤].

---

١) استراتجيات الخطاب ، مقاربة لغوية تداولية / ٧٨

٢) نظرية علم النّص / ٤٩

٣) ينظر : المصدر نفسه / الموضع نفسه

٤) علم لغة النّص ، النظرية والتطبيق / ٣١

لقد قدّم غرايس مجموعة من المبادئ تتحكّم في القصدية و توجّهها توجّهاً صحيحاً للوصول إلى المتلقي بصورة مؤثرة وهي [١]:-

١- مبدأ التعاون :- ليكن إسهامك في المحادثة رهناً بما تقتضيه الغاية والمقبولة في تبادل الحديث الذي تشارك فيه .

٢- مبدأ الكمية :- اجعل نصيب إسهامك من الإعلامية بقدر ما هو مطلوب من دون أية زيادة .

٣- مبدأ الكيفية :- لا تقل شيئاً تعتقد أنه خطأ ، أو لست على بينة كافية منه .

٤- مبدأ العلاقة :- ليكن حديثك ذا صلة بالموضوع ، وقد نجد فقداناً متعمداً للصلة من أجل تحويل مجرى الخطاب إلى اتجاه يقصده المرسل.

٥- مبدأ الهيئة:- ويشتمل على عدة طرق لترتيب النصوص وتقديمها ، ويشتمل بدوره على عدة محددات.

فعلى منتج النّص أن يكون واضحاً ويتجنب الإبهام بالرغم من وجود دوافع معينة لذلك الغموض أحياناً وعليه أن يكون مرتباً بأن يعرض نصّه بحسب الترتيب الذي يقبله الآخرون أو يطلبونه.

إن الكاتب لا يقتصر في اتباعه هذه المبادئ على بناء نصه فقط ، وإنما يتدخل أيضا في كيفية التلقي ((مما يلاحظ أثره على طول وقت القراءة ، فقد يستخدم المتكلمون وسائل لغوية وغير لغوية لجعل ما يقصدونه بكلامهم يمكن تفسيره على نحو صريح)) [٢].

ومن هنا يبرز أثر القارئ الضمني الذي يؤديه الكاتب ، فالمتلقّي موجود في ذهن المبدع ، ويشارك المبدع في صياغة نصّه من بدايته حتى نهايته. فالكاتب أو المتكلم يمر بمرحلة التقمص لذهنية المتلقي وكيفية استقباله للنص ، ويقوم بعمليات فحص مستمرة لمدى تقبلية النّص من جانب المتلقي. فالقصدية من جانب المبدع والتقبلية من جانب مستقبل النّص هي التي ترسم حدود المبدع وتكم عليه أن يضفي على نصّه خصائص معينة من دون غيرها ويلجأ إلى نمط معيّن من دون غيره .

---

١) ينظر : نظرية علم النّص / ٥٠

٢) علم لغة النّص ، النظرية والتطبيق / ٣٣

خامسا : المقبوليّة :

إن كاتب النص إذا أراد لنصه أن يكون مفهوما ، لا بدّ وان يكون قد حمل في طياته عقد الصلة مع المتلقي فإن ((ما هو أساسي بالنسبة لقراءة كل عمل أدبي هو التفاعل بين بنيته ومتلقيه)) [١].

فالمنتج الذي يضع نصّاً متماسكاً مترابطاً له أهداف محدّدة ، لا بدّ من وجود متلقّ يجيد فكّ شفرات هذا النّص ، ويحلّل معانيه وصولاً إلى الأهداف التي أرادها صاحب النص. ((ومن هذا المنطلق التفاعلي تصبح المقبولية الوجه الآخر لقصد المنتج من عمليه الإنتاج ، فهي بالمعنى الواسع رغبة نشطة للمشاركة في الخطاب ، أي رغبة المتلقين في المعرفة وصياغة مفاهيم مشتركة)) [٢] . أو هو كما سمّاه دي بوجراند (القبول) ، ((ويتضمن موقف مستقبل النّص إزاء كون صورة ما من صور اللغة ينبغي لها أن تكون مقبولة من حيث هي نص ذو سبك والتحام)) [٣]؛ ولذلك كان التفكير بالمتلقي يواكب عملية الإبداع ؛ ((فثقافة المتلقي يجب أن لا تقل بأيّ حال عن ثقافة المبدع حتى يكون المشترك المعرفي متحقّقاً ، لكي يوظف المتلقي الأُطر المعرفية التي يمتلكها في تأويل النّص وكشف دلالاته)). [٤]

وتؤدي الظروف التي تحيط بكل من المنتج والمتلقي في سياق الموقف (لغويّاً أو غير لغوي) دوراً مهماً في الحكم على النّص بالقبول أو الرفض [٥].

إنّ ((قدرة القارئ على استخراج المعلومات وعمل الاستنتاجات الضرورية يعتمد على مدى اتساع وتنوع المعلومات المخزونة المشتملة على معرفة العالم ، والقصديّة ، والسببية ، وأعراف المحادثة ، وبدمجه للمعاني التي يدركها من الخطاب مع

---

١) القارئ في النّص ، مقالات في الجمهور والتأويل / ١٢٩

٢) علم لغة النّص ، النظرية والتطبيق / ٣٤

٣) النّص والخطاب والإجراء / ١٠٤

٤) المعنى خارج النّص / ١٠٤

٥) ينظر : نحو النّص / ٨٨- ٨٩

المعلومات التي يعرفها بالفعل فإن القارئ يحدّد السياق الذي يفهم من خلاله أجزاء النّص)) [١].

وقد يكون القارئ هو نفسه منتجاً آخر للنص ، ((فكأنه وهو يستقبل النّص ، يعيد كتابته كونه يسجل تأويلاته بعد دورانه حوله ومساءلة تقنياته التي اتخذ منها علامات ترمز إلى مدلولات معينة)) [٢].

ويبرز هذا الدور الذي يقوم به القارئ في إعادة بناء النّص حينما يصادف نصّاً فاقداً للسبك أو الحبك ((فعلى المتلقي في هذه الحالة أن يعيد بناء انسجام النّص (الممزقة أوصاله)) [٣].

فمستقبل النّص يعمد إلى تزويد مادة ما ، أو التساهل من جانبه بإزاء موضع الخلل لتلافي الخلل وصولاً إلى تحقيق الغاية الاتصالية بين المنتج والمتلقي ، ((ويدعم وجهة النظر هذه ما يذهب إليه دي بوجراند من قصد الكاتب أحيانا لانتهاك الأعراف اللغوية إذا ما دعته الحاجة لذلك ، وما يؤكّده من أنّ احتواء النّص على خلل في الربط المعنوي (الحبك) لا يؤدي إلى فقد النّص للتقبلية ما دام الخلل يقع في نطاق الأحداث القصدية التي تتجه إلى هدف ، حيث تشتمل التقبلية على مدى إغضاء (قبول) في الحالات الطفيفة التي بها الخلل والانقطاع)) [٤].

ويذكر بعض الباحثين[٥]، أنّ هناك مجموعة من العوامل والمعايير التي تتحكم بعملية قبول النّص منها :-

- أنّ النّص يمكن أن يحتوي على مقدمات سياقية تعين المتلقي على الفهم والتأويل.
- معرفة المتلقي بالمتكلم ونوع النص.
- وضوح المضمون العام للنص (أو البنية الكبرى).
- أهمية الرسالة بالنسبة إلى المتلقي .

---

١) نظرية علم النّص / ٥٤

٢) النّص الأدبي في التراث النقدي والبلاغي / ١٠٧

٣) لسانيات النّص ، مدخل الى انسجام الخطاب / ٥

٤) نظرية علم النّص / ٥٣

٥) ينظر : المصدر نفسه / ٥٥- ٥٦

- الجامع الخيالي (الذي يختلف من متلق إلى آخر) ومن ثمّ تتأثر درجة القبول بتباين هذا الجامع.
- تعدد أحوال القارئ الواحد ، وتعدد القراء بسبب خلفياتهم الفكرية والأيديولوجية.
- العوامل النفسية المصاحبة لقراءة النص.

كل هذه العوامل يجمعها السّياق اللّغوي وغير اللّغوي الذي يحيط بالمنتج والمتلقّي الذي يساعد على قبول النّص أو عدمه.

القصديّة في رسائل ابن الأثير

تبيّن لنا فيما سبق أنّ عناصر السياق (اللغويّ وغير اللغويّ) المحيطة بكلٍّ من الكاتب والمتلقّي هي التي تفتح للكاتب سُبُلاً متعددّة في بيان مقاصده تبعاً لِما تمليه عليه هذه العناصر ، فهناك سياق معين قد يستدعي للتعبير عن المقصد ألفاظاً وهيئات من التراكيب معينة تختلف عمّا يفرضه سياق آخر ، يساعد في ذلك ما يختزنه الكاتب من معرفة مسبقة بالمتلقّي ، ((حيث إن كاتب الرسالة يكون على علم بمتلقيه ، وبكل الظروف النفسية والاجتماعية المحيطة به بشكل محدّد ، ومن ثم فهو يضع في اعتباره كلّ هذه العوامل مجتمعة حتى يحقق برسالته نجاحاً تواصلياً)). [١]

فما يحيط بالكاتب والمتلقي من ظروف نفسية واجتماعية وثقافية ، هو الذي يحدد الكيفية التي تكون بها المقاصد التي يبتغيها الكاتب . فالكاتب الذي يكون بمستوى اجتماعي واحد مع المتلقي لا يتقيد بشيء ، وتأتي مقاصده مباشرة ، أو ظاهرة ، والأمر بخلاف ذلك لو كان المتلقي بمنزلة اجتماعية أعلى من منزلة الكاتب فهو يميل حينئذ إلى التلميح عن مقاصده دون التصريح ، و المستويات بين هذا وذاك متفاوتة تبعاً لثقافة الطرفين وحصيلتيهما اللغوية والأدبية . وابن الأثير ((يجري في رسائله مجرى أهل عصره من تأنّق في العبارات وتغارب في المصطلحات)) [٢]، تبعا للسّياق الثقافي الذي كان سائداً آنذاك .

ضمّت رسائل ابن الأثير موضوعات اجتماعية وسياسية مختلفة جاءت موزعة بين الرسائل الاخوانية والرسائل السياسية ، فمن الموضوعات التي جاءت بها الرسائل الإخوانية هي الموعظة ، والشكوى ، والشوق ، والتهاني ، والتعازي ، والشكر والعرفان ، والوصف ، والردود التي تتضمن الاعتداد بالنفس ، مضافا إليها موضوعات متفرقة أخرى .

أمّا الرسائل الديوانية فجاءت بموضوعات ، مثل : الشفاعة ، والتوصية ، وكذلك التهاني ، والتعازي ، والمراسيم الديوانية وغيرها من الموضوعات السياسية المتفرقة التي لا تجمعها وحدة الموضوع .

---

[١]) نظرية علم النّص / ٥٦

[٢]) رسائل ابن الأثير / المقدسي / ١٠ (مقدمة المحقق)

وقد عبّر ابن الأثير عن مقاصده لهذه الموضوعات في صورة واضحة في ضوء مقدمات الرسائل ، لكن ذلك لا يمنع من وجود مقاصد ضمنية ضمنها الكاتب رسائله ،هذا من جانب ، ومن جانب آخر قد تكون المقاصد الضمنية والمقاصد الصريحة هي مقاصد فرعية تسهم مجتمعة في تحقيق المقصد الأول والرئيس للكاتب.

وتأسيساً على ما تقدم يمكن تقسيم المقاصد في رسائل ابن الأثير على مقاصد صريحة ، ومقاصد ضمنية من جانب ، ومقاصد رئيسة ، ومقاصد فرعية من جانب آخر.

أولا : المقاصد الصريحة:

١- قصد المناسبة :

عبّر ابن الأثير بصورة مباشرة وصريحة عن مقاصده في أكثر رسائله ، وتبدو هذه المقاصد واضحة وجلية في ضوء عنوان الرسالة ومقدماتها في كثير من الأحيان ، وهذه المقاصد متنوعة بتنوع موضوعات الرسالة ومناسباتها التي ذكرناها سابقاً .

ففي بعض رسائله يقصد التصبير والمواساة والموعظة لصديق له بحلب ، وكان نقم عليه الملك وحبسه فهو يقول في مقدمة رسالته :((عزاء المرء بفقد نعمة كعزائه بفقد ذوي رحمه .وقد أُنهي إليّ خبر النكبة التي ألمّت بفلان ، شرح الله صدره ، ويسّر أمره وجبر كسره، وأرضى عنه دهره ، وأوفى في كشف ظلامته نذره . وهي النكبة التي سلبت العيون غمضها ، والحياة خفضها)) [١]

فهو يبيّن له أثر خبر النكبة فيه ، ويبيّن له مواساته ومشاركته له في هذه المصيبة التي وقعت عليه فهو يقول :((وجملة الأمر أنّي شريكه في نكبته ، وإن غاب شخصي عن شخصه ، وإذا قرص الصديق قارص كان صديقه شريكاً في ألم قرصه)) [٢].

---

١) رسائل ابن الأثير / المقدسي / ٣٠١

٢) المصدر نفسه / الموضع نفسه

ويستمر ابن الأثير في التعبير عن مقصده في التصبير والمواساة ، فهو يوصيه بالاستكثار من الشكر فهو الذخيرة الباقية ، ويوصيه بالصبر فإنّه الجنّة الواقية ، وأن لا يدع اليأس حاكماً عليه ، إلى أن يختم رسالته بقوله : ((والله يجعل عقبى أمرك حميدة ، ويأخذ بيدك إذا كانت الأيادي منك بعيدة ، أو يعيد سعادتك كما بدأها حتى تصبح عائدة وغايته لها معيدة ، والسلام إن شاء الله)) [١].

وفي رسالة أخرى كتبها ابن الأثير إلى بعض الأصدقاء يصرح بالشوق واللهفة للقاء هذا الصديق ويشكو له ألم الفراق ، فهو يفتتح رسالته ببيت الشعر :-

((وأَقَمْتَ فِي قَلبِي وَشَخْصُكَ سَائِرٌ لَا تَبْعُدَنْ مِن ظَاعِنٍ ومُقيم

أصدرت هذا الكتاب إلى مجلس فلان ... عن قلب مأنوس بقربه ،وطرف مستوحش لفراقه ، فهذا مروع بإظلامه ، وذاك ممتع بإشراقه)). [٢]

ويستمر في بيان وحشة الفراق وألم بُعده عن صاحبه حتى يجد المراسلة والمكاتبة خير تعزية لهذا الفراق ، فهو يقول :((وقد علم أنه ليس للشوق زاد في أيام البعاد ، إلا ما تهديه إليه اليد عن الفؤاد ، وذلك هو الكتب التي في نجواها لقاء لمن شطت محلته ، وفي قطرات أقلامها ري لمن اضطرمت غلته . فليجمع شملي بشملها إلى أن يقدر الله جمع الشمل بأهلها)). [٣]

وفي رسالة أخرى كتبها إلى أحد إخوانه ، يُهنّأه بالحجّ فهو يفتتحها بقوله :((إن كان الحج عبارة عن شحوب نفوس وأجساد ، وإنفاق يذهب بطريف من المال وتلاد ، فمن الناس من يحظى بثواب الحجّ وهو في ضمن داره ، ولا حاجة له إلى عقد أزمّته ولا إلى رفع أكواره كالمجلس السامي)). [٤]

---

١) رسائل ابن الأثير / المقدسي / ٣٠٣

٢) رسائل ابن الأثير / القيسي ، هلال / ٨٠

٣) المصدر نفسه / ٨١

٤) رسائل ابن الأثير / المقدسي / ١٧٩

فهو يبالغ في بيان الأجر والثواب الذي أصابه صاحبه ، فهو ينال بنيته ثواب الحجّ وهو في داره ، فكيف به إذا شد رحاله إلى الحج ؛ لذلك يقول فيه :((إلا أنه رغب من الله في الازدياد ، ولبى نداه فكان أطوع منادى من أكرم مناد)) [١].

ويستمر في مدح صاحبه إلى أن يختم رسالته بقوله :((وهذه الأسطر توجّهت إليه مهنية بسلامة الإياب وغيمة الثواب)) [٢].

وهكذا نلاحظ في هذه الرسائل وما شاكلها من بقية الرسائل مقاصد صريحة ، يصرح بها الكاتب من عنوان الرسالة ، أو مستهلاً بما يدل على قصدية الكاتب الصريحة والمباشرة .

فابن الأثير يعمد إلى التمهيد عن قصده المباشر في الرسائل ، وهو يستغرق بمدح الشخص الموجه إليه الرسالة ، والدعاء له ، فيجعل الدعاء في بداية الرسالة مشتقاً من المعنى الذي بُني عليه الكتاب ، وقد اشترط ابن الأثير نفسه هذا الركن وجعله من الأركان التي لا بد من إيداعها في كل كتاب بلاغيّ ذي شأن. [٣]

ففي رسالة كتبها إلى بعض الإخوان تتضمّن عيادةً من مرض أصاب صاحبه ، يقول في مقدمتها : ((جدّد الله أيام المجلس السامي وأخدمه السعادة التي تخدم ، ومنحه الموهبة التي لا تُصرم ، وأقدم عليه وفد العافية أكرم مقدم ،وألبسه منها اللباس المعلم ، وحماه عن مكاره الجذع الأزلم ، وأطال بقاءه إطالة لا يملُّ معها ولا يسأم))[٤].

ثم ينتقل بعد ذلك إلى قصده المباشر والصريح في العيادة من المرض ، فهذه الرسائل تعكس البعد الاجتماعي التواصلي لابن الأثير مع معاصريه بما تحمله من موضوعات مختلفة في التعازي ، والتهاني ، والشوق ، والشكر ، والشفاعة ، والتوصية ، وكذلك ما تحمله الرسائل الديوانية من مقاصد وأغراض صريحة ومباشرة .

---

١) رسائل ابن الأثير / المقدسي / ١٧٩

٢) المصدر نفسه / ١٨٠

٣) ينظر : المثل السائر : ٩٦/١

٤) رسائل ابن الأثير / المقدسي / ١١٤

٢- قصد المعارضة :-

هناك أكثر من رسالة في رسائل ابن الأثير كتبها ابن الأثير قصداً لمعارضة مشاهير الكتّاب في عصره آنذاك في رسائلهم [١] ، وأكثر من يعارض في هذه الرسائل هو القاضي الفاضل[٢] الذي كان يرأس ديوان الإنشاء لدى السلطان. وهناك أيضاً كتّاب مشاهير عارضهم ابن الأثير فمنهم من ذُكر اسمه ، ومنهم من لم يُذكر[٣]، ولابن الأثير في هذه المعارضات مقاصد خاصة ، ومقاصد عامة.

أمّا الخاصّة فهي ما تخصّ معارضته للقاضي الفاضل بالذات ، فابن الأثير كان يرى نفسه أحقّ برئاسة ديوان الإنشاء لدى السلطان من القاضي الفاضل ؛ فعمد لفتا لنظر السلطان وذوي الأمر إلى معارضة القاضي الفاضل في رسائله ، فإذا أنشأ القاضي الفاضل رسالة أنشأ هو مثلها ، وغرضه الرئيس في ذلك الكشف عن تفوّقه لعلّه يستأثر بديوان السلطان [٤].

وأمّا المقاصد العامة فتتجلى في نزعة ابن الأثير في اعتداده بنفسه ، وكتابته ؛ ولهذا ((كان الرجل كثير السوق لنفثات قلمه ، كثير الاستشهاد بما خطّه يراعه ،كثير التوقف عند تلك النماذج ، كثير الإعجاب بها ، شديد الحرص على لفت نظر القارئ إلى وجوه الحسن فيها ،شديد الاهتمام لأن يشاركه القارئ في إعجابه وصرخات استحسانه)). [٥]

---

[١]) ينظر :رسائل ابن الأثير / القيسي ، هلال / ٦٦- ٧٥

[٢]) ولد بعسقلان وانتقل الى مصر ،كان وزير السلطان صلاح الدين الأيوبي ، ومن مقربيه ولم يعمل لأحد من بعده وكان صلاح الدين يقول : لا تظنوا أنّي ملكت البلاد بسيوفكم بل بقلم الفاضل . من أئمة كتاب الرسائل . ينظر : النجوم الزاهرة ٦/ ١٥٦

[٣]) ينظر : رسائل ابن الأثير / المقدسي / ١٤٩، ١٩٠، ٢٨٢

[٤]) ينظر : رسائل ابن الأثير / القيسي ، هلال / ٧ (مقدمة المحققان)

[٥]) الجامع في تاريخ الأدب العربي / ٦٥١

ثانيا : المقاصد الضمنيّة:

لم تمنع المقاصد الصريحة التي جاءت بها الرسائل من أن يضمن ابن الأثير هذه الرسائل مقاصد ضمنية ما سنحت له الفرصة في ذلك ، فجاءت في بعض الرسائل مقاصد ضمنية تدور حول الاعتداد بالنفس ، والإعجاب بالأسلوب ، ويكون ذلك في الرسائل الإخوانية دون الديوانية ؛ لما في الرسائل الإخوانية من حرية في الخروج عن التقاليد الثابتة .

ففي كتاب كتبه إلى بعض الإخوان قد عرض فيه بشكوى الزمان ، يقول :((ومن عجب أني كسدت على الزمان ومعدن الجواهر في فمي ، ومنسج الوشي في لسان قلمي . فهل علم أن منطقي صار له نطاقاً ، وأنّ قلمي رفع له لواءً خفاقاً)). [١]

فهو يسوق فخره واعتداده بنفسه ضمن حديثه عن الزمان .

وقال في كتاب آخر كتبه إلى بعض الأصدقاء جوابا عن كتابه : ((وقد أعدت الجواب ولم استعر له نظما ملفّقاً ، ولا جلبت إليه حسناً منمّقاً ، بل أخرجته على رسله ، وغنيت بصقال حسنه عن صقله ... وقد منح الله لساني من ذلك ما حسده عليه الروض الموشع ، والسمط المرصع ، والقمر وهو ابن عشر وأربع)) [٢].

فبعد أن يبين لهفة استقبال كتاب صاحبه ويصفها ينساق للحديث عن نفسه ، وعن أسلوبه . وليس الأمر ذلك فحسب ، بل يعتمد إلى أن يضمّن كتبه وصف بعض الأشياء ويستغرق في وصفها ، فيرسم منها لوحة فنية تثير الإعجاب ، كوصف الشمعة والصيد بالفهود والبزاة [٣] ، وغيرها فهي أشبه ما تكون معارضة لكتّاب عصره ولكن بتلميح ، وإقرار بالفخر والأسبقية ولكن من دون تصريح ، وسيتبيّن كيف أنّ هذه المقاصد الفرعية (الصريحة والضمنية) تعمل مجتمعة لتخدم الغاية الرئيسة التي قصدها ابن الأثير في رسائله.

---

١) رسائل ابن الأثير / هلال / ١٢٣

٢) رسائل ابن الأثير / القيسي ، هلال / ٧٩

٣) ينظر : رسائل ابن الأثير / المقدسي / ٩١، ٩٣، ٩٦، ٩٧، ١٠٠، ١٩٥

ثالثا : المقصد الرئيس والمقاصد الفرعية:

عرفنا فيما سبق أنّ رسائل ابن الأثير فيها مقاصد صريحة كقصد المعارضة ، والمقاصد الفرعية الأخرى، ومقاصد ضمنية جاءت تعبّر عن الاعتداد بالنفس والأسلوب . وكلّ هذه المقاصد التي عبر عنها ابن الأثير برسائل متفرقة يمكن أن نطلق عليها المقاصد الفرعية ، التي تعمل مجتمعة في تكوين مقصد رئيس أراده ابن الأثير من مجموع هذه الرسائل.

فقد ذكر محققو هذه الرسائل أنّ هذه الرسائل جزء من (ديوان ترسّل) الذي ألّفه ابن الأثير[١]، بل إنّ استقلال كلّ مجموعة من هذه المجاميع الثلاث (التي قامت عليها الدراسة) عن بعضها ، وعدم تكرار الرسائل بينها – إلا في النادر – لا يمكن أن يأتي اعتباطاً ، وهو يقودنا إلى اعتبار حقيقة ، هي أن هذه المجاميع الثلاثة تمثل ثلاثة مجلدات متفرقة من ديوان رسائل ابن الأثير الذي ذكر مترجموه أنّه في عدّة مجلدات [٢].

فابن الأثير عمد بنفسه إلى جمع هذا التراث الأدبي واللغوي الضخم في ديوان مستقل سماه (ديوان ترسّل) ، وليس من وراء ذلك إلا قصد إبراز هذا التراث بوصفه عملاً ينمُّ عن قريحة أدبية بذّت أقرانه في زمانه ، فهو يقول :((لقد مارست الكتابة ممارسة كشفت لي عن أسرارها وأظفرتني بكنوز جواهرها . إذ لم يظفر غيري بأحجارها)) [٣]، وكذلك يقول :((وكما مارست أنا هذا الفن – أعني فن الكتابة – وقلبته ظهراً لبطن ،وفتشت عن دفائنه وخباياه ، وأكثرت من تحصيل مواده والأسباب الموصلة إلى الغاية منه ، سنح لي في شيء من المعاني المخترعة طريق سلكته)). [٤] وفي هذا ما يتفق مع ما عُرف عنه من نزعة الاعتداد بالنفس ، والفخر بالأسلوب ، وليس أدلُّ على ذلك من أنّه ضمّ بين دفتَي هذه الرسائل مقدَمات لرسائل

---

١) ينظر : رسائل ابن الأثير / القيسي ، هلال / ٤٦ (مقدمة المحققين)

٢) ينظر :رسائل ابن الأثير / هلال / ٦٧ (مقدمة المحقق)

٣) المثل السائر : ١٠١/١

٤) المصدر نفسه: ٢/ ٥٦

مقتطعة لم يذكرها كاملة ، وعنونها بـ(مبادئ عدة مكتوبات) [١]، وكذلك ضمّ بينها مقدّمة لكتاب أملاها على صديق له سأله أن يمليها عليه ليضعها في مقدّمة كتاب جمعه في أوصاف الصَبوح [٢]، وهي ليست من الرسائل في شيء. ولم يتوقف الأمر عند هذا الحدّ ، بل إنه ضمّ بين هذه الرسائل رسالة كتبها أحد السلاطين جوابا عن كتاب كتبه له ابن الأثير ، فيقول هذا السلطان :((وقفت على كتاب الشيخ الإمام السيد الصدر الكبير الجليل العالم العارف المتبحّر ضياء الدين شرف الإسلام جلال الوزراء سيد الصدور ... فوجدته في عيني أحسن من القمر والشمس ، وقبلته بناظري وفمي إجلالا له عن اللمس)) [٣] ، وبعدها يستطرد السلطان في مدح الكتاب وصاحبه .

ومهما يكن من أمر فلقد أراد ابن الأثير أن يبرز ما جادت به قريحته في هذه الصناعة التي يجهلها الكثير من متعاطيها ، فهو يقول :((والذي يعلمها منهم يرضى بالحواشي والأطراف ، ويقنع من لآلئها بمعرفة ما في الأصداف ، ولو استخرج منها ما استخرجتُ واستنتج ما استنتجتُ لهام بها في كلّ وادٍ ، وتزوّد إلى سلوك طريقها كلّ زاد)) [٤].

---

[١]) ينظر : رسائل ابن الأثير / المقدسي / ٢٤٩- ٢٥٢

[٢]) ينظر : المصدر نفسه / ٢٤٥

[٣]) رسائل ابن الأثير / هلال / ١٩٦

[٤]) المثل السائر : ١٠١/١

المقبوليّة في رسائل ابن الأثير:

يمكن القول:إنّ مسألة المقبولية ومدى تحقّقها في رسائل ابن الأثير تكاد تكون محسومة ، بل إنّها حققت أعلى درجات القبول عند متلقيها ؛ لما تحويه من فنون البلاغة ، وصنوف المعاني حتى ارتقى به فنّ الكتابة إلى مرتبة الوزارة وتصريف شؤون المملكة.[١]

فكأنّ ثقافة المتلقّي في ذلك العصر هي الحاكم على مقبولية رسائل ابن الأثير بجميع أغراضها ، فقد ضمت رسائل ابن الأثير أغراضاً وموضوعات عديدة جاءت انعكاساً لما يشغل المجتمع آنذاك ، فمن مصانعة للحكام إلى شكوى الزمان ، وشوق وحنين ، ومعارضة ، وتندر ، وتهكم ، ووصف ، وغيرها من الأغراض. [٢]

فكانت الحاجة موجودة إلى من يقوم بتجسيد هذه المعاني بأسلوب أدبي رفيع على النحو من أسلوب ابن الأثير الذي أُشبع بثقافة القرآن الكريم ، والسنة النبوية ، والتراث الشعري لكبار الشعراء العرب ، فقد كتب ابن الأثير الكثير من رسائله بناءً على سؤال بعض الأشخاص أن يمليها عليهم تضمّنت موضوعات مختلفة كالوصف ، والشفاعة ، والشوق وغيرها. [٣]

وعلى صعيد الرسائل الديوانية كانت رسائله ((إشارة واحدة من تلك الإشارات التي واكبت نهوضاً قومياً مميزاً ، وعبرت عن حالة كانت الأمة تقف فيها موقف التحدّي وهي ترد عدواناً عليها ، وتوقف زحفاً حاول أن ينتزع منها بقعة من بقاعها العزيزة لقدسيتها و منزلتها في قلوب العرب والمسلمين)) [٤] .

وهناك ملاحظة في رسائل ابن الأثير الديوانية لا بدّ من الإشارة إليها وهي أنّ الرسائل الديوانية التي كان يكتبها ابن الأثير تعرض أولاً على الخليفة أو السلطان أو

---

[١]) ينظر : ضياء الدين ابن الأثير ، سيرة ومنهج / ١٤٣

[٢]) ينظر : بلاغة الكتّاب في العصر العباسي / ١١٩- ١٢٧

[٣]) ينظر : رسائل ابن الأثير / المقدسي / ٧٢، ١٥٧، ١٦٢، ١٧١، ٢١٩، ٢٢١، ٢٢٣، ٢٤٥، ٢٦٠، ٢٧٣، هلال / ١٢٩ ، القيسي ، هلال / ١٤٢

[٤]) رسائل ، ابن الأثير / القيسي ، هلال / ٥٥

الشخص الذي يكتبها عنه ، ومن ثم يسيرها إلى الشخص المرسَل إليه وهو ما يمكن أن نطلق عليه (ازدواجية التلقّي والقبول) بين المتلقّي الأوّل(صاحب الطلب) ، والمتلقّي الثاني (المرسَل إليه) . فبمجرّد أن تُسيّر الرسالة إلى المتلقّي الثاني فهذا يعني أنّها كانت مقبولة عند الطرف الأول (المتلقّي الأول) .

ومهما يكن من أمر فقد جاءت رسائل ابن الأثير وكأنها استجابة مسبقة لمنطق التلقّي والمقبولية في ذلك العصر .

المبحث الثاني

التّناص في علم لغة النّص وفي رسائل ابن الأثير

أولاً : التّناص في علم لغة النّص :

التّناص هو المصطلح النّصي الأكثر شهرة وتداولاً في الدرس النّصي الحديث معبّراً عن مفهوم المصطلح (intertextuality) .

وهناك مصطلحات أخرى عبّرت عن مفهوم كلمة التّناص لكنّها لم يُكتب لها الذيوع والانتشار كما كُتب لمصطلح (التّناص) ، منها الاقتناص ،والتعالق النّصي ، والحوارية ، والتداخل النّصي ، والتشابك النّصي ، والنّصوص المتداخلة ، والنّصوص المتناصّة أو النّص الغائب[١].

فضلاً عن مصطلحات عرفتها الدراسات العربية القديمة كالاقتباس ، والتضمين ، والمعارضة ، والإغارة ، والإصطراف ، والاختلاس[٢] .

وكما تعدّدت مصطلحات التّناص كذلك تتعدّد تعريفاته بتعدّد التوجهات والمنطلقات المختلفة للدارسين ، إلا أنّها تدور بعمومها حول ((الطريقة التي يتماسّ بها النّص مع نصوص أخرى سابقة ؛ أو وضع النّصوص السابقة بطريقة أخرى في النّص ، أو كيف تُطَعّم النّصوص وتتّصل بنصوص أخرى)).[٣]

ومن هذه التعريفات هو تعريف بوجراند للتّناص بأنّه((علاقات بين نصّ ما ونصوص أخرى مرتبطة به وقعت في حدود تجربة سابقة سواء بوساطة أم بغير وساطة))[٤].وعرّفه سعيد بحيري بأنّه((تعبير عن تبعية النّص لنصوص أخرى))[٥] ، وحاول محمّد مفتاح أن يضع له تعريفاً جامعاً مانعاً مستخلَصاً من تعاريف مختلفة فذكر ((أنّ التّناص هو تعالق (الدخول في علاقة) نصوص مع نصّ حدث بكيفيّات مختلفة)).[٦]

---

[١]) ينظر : علم لغة النّص ،النظرية والتطبيق /٤٧-٧٥ ، والتّناص عند شعراء صنعة البديع العباسيين /٧٩

[٢]) ينظر : التّناص عند شعراء صنعة البديع العباسيين /٨١

[٣]) علم لغة النّص ، النظرية والتطبيق /٧٥

[٤]) النّص والخطاب الإجراء /١٠٤

[٥]) علم لغة النّص ، المفاهيم والاتجاهات /١٦٧

[٦]) تحليل الخطاب الشعري ، إستراتيجية التناص/١٢١

وهذه الكيفيّات إمّا أن تقوم على العفويّة وعدم القصد ، وإمّا أن تقوم على الوعي والقصد في ضوء الإشارة إلى النّص الآخر ، أو تحديده تحديدا كاملا يصل إلى درجة التشخيص.[١]

وهكذا فإنّ أغلب التعاريف تدور حول مجموع العلاقات الصريحة أو الضمنية التي تربط نصّاً ما بنصوص أخرى [٢].

أمّا عن طبيعة تلك العلاقات بين النّصوص داخل التّناص ، فيرى أصحاب لغة النّص أنّها علاقة كعلاقة السؤال بالجواب ، وعلاقة التّلخيص بالنّص الملخّص ، وعلاقة المسوّدة بالتّبييض ، وعلاقة المتن بالشرح [٣]، وغيرها.

وفي ضوء هذه العلاقات يكون التّناص عنصراً مهمّاً من عناصر النّص إذ يؤدي دوراً أساسيّاً في الربط بين أجزائه ، فحينما يتضمن النّص الواحد عبارة غامضة ثم يذكر ما يوضحها ، أو يتضمّن أمراً مجملاً ثم يذكر ما يفصّله ، أو يتضمن تركيباً يحمل أكثر من احتمال دلالي ثم يذكر مايُعيّن أحد هذه الاحتمالات ، أو يتضمّن سؤالاً ثم يذكر جوابه ، فإنّ ذلك كلّه يحدد المعنى ويؤكّده [٤].

ويأخذ التّناص أشكالاً متعدّدة يمكن أن نوضحها بالتقسيم الآتي :-

١-التّناص الشكلي والتّناص المضموني [٥] :-

ويشتمل التّناص الشكلي بنية النّص ، وترتيب أجزائه ، وطريقة تنظيم المعلومات داخل النوع (البنية العليا) .

فمع كلّ بنية عليا توجد أنماط كلية داخل النوع الواحد يتعارف الناس عليها إلا أن هناك من يخلق لنفسه طريقة جديدة لتنظيم المعلومات داخل النوع نفسه.

---

[١]) ينظر : نحو النّص ، اتجاه جديد في الدرس النحوي /٨٢

[٢]) ينظر : المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب /٧٧

[٣]) ينظر : الدرس النحوي النّصّي في كتب إعجاز القران/١٥٤

[٤]) ينظر : نحو النّص بين الأصالة والحداثة /٩٤

[٥]) ينظر : نظرية علم النّص / ١٩٩,٢١٧

أمّا التّناص المضموني فيشمل التفاعل الدلالي بين نصّ ونصوص أخرى سابقة أو لاحقة عليه ، على أساس أن كل نص هو استيعاب لعدد كبير من النصوص وتحويلها.

٢-التّناص المباشر والتّناص غير المباشر[١]:-

يكون التّناص المباشر باجتزاء قطعة من نصّ معيّن ووضعها في النّص الجديد بعد أن يختار لها المكان المناسب الذي تتلاءم فيه مع الموقف الاتّصالي الجديد.

أمّا التّناص غير المباشر فيكون باستحضار معنى أو فكرة لنصّ معيّن في نصّ آخر وهذا الاستحضار لا يكون بالحرفية التامّة ، أو باللّغة لتلك الفكرة ، وإنّما يتمّ بروحها ومعناها .

وتأسيساً على ذلك يمكن القول : إن التّناص في نحو النّص يعني علاقة تبعية بين نصّين أو أكثر ، قائمة على التشابه في مضمون النّص ، أو شكله يوظفها صاحب النّص بطرائق مختلفة.

[١]) ينظر : علم لغة النّص ، النظرية والتطبيق /٧٩-٨٠

ثانيا : التّناص في رسائل ابن الأثير

تنوّعت مصادر التّناص في رسائل ابن الأثير تبعاً لنوع ثقافته والألوان المعرفية التي انماز بها ، التي كانت انعكاسا لسعة محصوله الفكري والثقافي ، فكانت نصوص رسائله عبارة عن قوالب انصهرت فيها مختلف المواد المعرفية للكاتب كالعلوم الدينية التي تمثلت باقتباسه وتضمينه وحلّه للآيات القرآنية ، والأحاديث النبوية ، والوقائع الإسلامية ، وثقافته التاريخية التي تمثّلت بإشارته إلى حوادث الأمم ، وأسماء الأعلام المشهورة ، والأدبية التي تمثّلت بتضمينه الأبيات الشعرية ، واللّغوية والبلاغية كإشاراته الى النّحو والبلاغة والعروض ، والثقافية كتوظيفه للأمثال والحِكَم والأقوال المأثورة[١]. ويمكن تجلية هذه المصادر التي اعتمدها ابن الأثير في التّناص بتسليط الضوء على نماذج منها .

١-القرآن الكريم :-

شكّل التّناص مع القرآن الكريم النسبة الأكثر حضوراً في رسائل ابن الأثير (أسلوباً ومضموناً) ، حتى لا تكاد تخلو رسالة من رسائله من معنى ، أو أسلوب قرآني ، وأصبح النّص القرآني جزءًا من بناء الخطاب لديه ، يتّخذه الكاتب شهادة للاستدلال ، وأداة فنية للتأثير[٢].

ولقد أتاح التّناص مع القرآن لابن الأثير الفرصة للاستفادة من الإرث الثقافي الناجح لهذا المصدر سواء من الناحية الجمالية والأسلوبية ، أم من الناحية العقيدية بعدِّه المصدر الرئيس للمعاني الإسلامية .

واستلهام الكاتب للمعاني القرآنية يجعل التواصل بينه وبين القارئ تواصلا ناجحا من هاتين الناحيتين فضلاً عن أنّه يعطي رسالته ثقلاً أدبياً[٣] .

---

١) ينظر : نقد النثر/٥١٠

٢) ينظر : المصدر نفسه / الموضع نفسه

٣) ينظر : نظرية علم النّص /٢٢٢

((ولعلّ ابن الأثير ممن أدرك ما للنص القرآني من دلالات موحية وقوة تأثير عالية في النفوس ، حتى عُد مهيمناً أسلوبيّاً لا تكاد تخلو منه رسالة من رسائله ، بل في كل مفصل من مفاصل رسائله))[١].

يتنوّع الحضور القرآني في رسائل ابن الأثير بين حضور مباشر ، وحضور غير مباشر. يتمثّل الحضور المباشر بالاستشهاد بالآيات القرآنية ، فكان ابن الأثير يوظف الشاهد القرآني بحسب مقاصد النصوص وأغراضها ، ففي الرسالة رقم (١٨)[٢] ، التي كتبها إلى ابن أخيه الأكبر مجد الدين المبارك بعد خروجه من مصر ، يشرح له فيها ما لاقاه من عناء وشقاء بعد خروجه من مصر فيستفتحها بقوله – تعالى– ﴿كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (٢٥) وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ (٢٦) وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ﴾ الدخان/٢٥ .

فالكاتب في تناصّه مع هذه الآية القرآنية قد وظّف ما فيها من زخم معنوي لخدمة القضية الكليّة للنّص فكانت علاقة النّص القرآني بنصّ الرسالة علاقة الإجمال بالتفصيل ، أو علاقة المفُسِّر بالمفُسَّر .

ومثل ذلك ما ورد في الرسالة رقم (٢٦)[٣] ، التي كتبها إلى مخدومه الملك الأفضل يهنيه بملك مصر ، فهو يستفتحها بقوله –تعالى– ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ الأنبياء /١٠٥ ، فكان موفّقاً في إيجاد المناسبة الملائمة بين موضوع النّص ، وبين الشاهد القرآني الذي يستفتح به نصّه على نحو يجسد كلامه ويثري موضوعه .

ولا يقتصر التّناص المباشر مع آيات القرآن الكريم في نصوص الرسائل على الاستفتاحات فقط ، بل يحاول الكاتب أن يستثمر دلالته الآية القرآنية ليجعلها حلقة من حلقات البناء الدلالي للنص ولبنة من لبناته ، فيكون تناصّه مع هذه الآية أو تلك كأنما صُبَّ في قالب واحد مع قضايا النّص الأخرى ، وحُبِك حبكاً واحداً ؛

---

١) رسائل ابن الأثير ،دراسة أسلوبية /٩٧

٢) ينظر :رسائل ابن الأثير / القيسي ، هلال /١١٦

٣) ينظر : المصدر نفسه /٩٠

فجاءت متناسقة مع البناء الدلالي الأفقي للنّص ، ويعضده في ذلك ما لهذه الآيات القرآنية من فواصل ، أو جناس يتفق مع ما موجود في النّص ويتحد معه، فيكون التّناص مع النّص القرآني في نصوص الرسائل محبوكاً دلاليّاً ، ومسبوكاً صوتيّاً .

مثال ذلك ماورد في الرسالة رقم (١) التي كتبها إلى بعض أصحابه بعد أن حجَّ بيت الله الحرام ، فهو يقول : ((وما كان ليصبر على لأواء مكة الذي تغذى به العيون ، وتُشدّ له الأحجار على البطون ، إلا ليرقي عند الله إلى الدرجة العالية ، ويلحق بالذين يُقال لهم : ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ﴾ وتلك الأيام التي أنفقها في سكنى الحرم هي الأيام الصوالح))[١].

ومثل ذلك ما ورد في الرسالة رقم (٣٦) التي كتبها عن مخدومه الملك الأفضل إلى الملك العادل نور الدين أتابك أرسلان شاه تتضمّن الاستنجاد على عمّه الملك العادل . يقول فيها: ((والباعث على التوجّه إلى حلب حرسها الله إنّ العساكر المصرية راسلت الخادم طالبة للأوبة ، قارعة باب التوبة ، راجية عواطف الإحسان ، مستشهدة بقوله تعالى ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾ ، ولم تزل المراسلات تتكرّر، والقواعد تتقرّر ، والبيعة على هذا الأمر منتظمة)) [٢] ، وكذلك ما ورد في الرسالة رقم (٤٠) التي كتبها إلى الديوان العزيز النبوي عن الملك الناصر صلاح الدين بسبب انقطاع ورود الأنعام ، فهو يقول :((الخادم يبلغ خدمته إلى ذلك الجناب الذي تمطره الشفاه قُبَلاً ، وتوسعه العفاة أملاً ، وترى الخَوَل به ملوكاً والملوك خَوَلاً، فطاعته هي محل الأعمال التي أُشير إليها بقوله تعالى ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ ، ولا يقوم بهذه الخدمة إلا من سَعِد ورشد)) [٣].

فابن الأثير في تناصّه المباشر مع هذه الآيات القرآنية استثمر ما تتضمّنه من معانٍ تتناسب مع موضوع النّص ، مع ما تضفيه هذه النصوص القرآنية من قيمة دلالية وصوتيّة تسهم في تقوية المعنى وأثره في نفس المتلقّي .

---

١) رسائل ابن الأثير / هلال /١٣٩-١٤٠

٢) رسائل ابن الأثير / القيسي ، هلال /١٢١

٣) رسائل ابن الأثير / المقدسي /٣١٠

ومضافاً إلى ما يظهر في رسائل ابن الأثير من تناص مباشر مع آيات القرآن الكريم ، كذلك يظهر بوضوح التّناص غير المباشر المتمثل بحلّ الآيات في النصوص .

وهذا النوع من التّناص كثير في رسائل ابن الأثير حتى لا تكاد تخلو رسالة من رسائله منه ، وهو يعكس قدرة الكاتب على الإفادة من المعاني والألفاظ القرآنية بما يخدم موضوع النّص .

مثال ذلك ما ورد في الرسالة رقم (٦) من قوله : ((فما ذكرت إساءة من إساءاته إلا غفرتها بحسنى ودّه ، وأضربت عن ذم صنعه بما رَدِفه من صنائع حمده ، ولم يزل الآخر يمحو الأول ورسمه ، ولا يذكر ما مرّت مرارته إذا حلّى الدهرُ طعمه ، فيا ليت قومي يعلمون بما حازته يداي ، وانتهى إليه مداي)) [١] .

فقوله (ياليت قومي يعلمون) تناص مع قوله –تعالى– ﴿قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ (٢٦) بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ﴾ يس / ٢٦–٢٧.

وكذلك ما ورد في الرسالة رقم (١٠) من قوله :((وجعل بيته الحرام سبيلاً له إلى البيت المعمور ، وألحقه بدرجة من يسعى نوره بين يديه يوم يُسأل في اقتباس النور ، إلا أنّه رغب من الله بالازدياد ... فالعجب من وجوب الحجّ عليه وجوده لم يبقِ زاداً ولا راحلة ، وشيمة الأبكار لم يكن لها ذو رحم محرم حتى تكون معه راحلة ، لكن لله أولياء يسهل لهم وعور الأسباب ، ويطوي لديهم الأرض طيّ السجل للكتاب)).[٢]

فقوله ((وألحقه بدرجة من يسعى نوره بين يديه يوم يُسأل في اقتباس النور)) تناصّ مع قوله –تعالى– ﴿ يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١٢) يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا

---

[١]) رسائل ابن الأثير / هلال / ٨٥

[٢]) رسائل ابن الأثير / المقدسي / ١٧٩–١٨٠

انْظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ﴾ . الحديد /١٢-١٣

وقوله :(ويطوي لديهم طيّ السجل للكتاب) تناصّ مع قوله –تعالى– ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ . الأنبياء /١٠٤

وعلى هذا النحو في سائر الرسائل ، يعمد الكاتب إلى جعل النّصوص القرآنية (بصورة مباشرة أو غير مباشرة) جزءاً من الخطاب ، معوّلاً على ما تحمله النصوص القرآنية من معانٍ مكثّفة ، وبيان رائع ، تسهم كلّها في تعزيز المعنى عند المتلقّي .

٢-الأحاديث النبوية الشريفة :-

تُمثّل الأحاديث النبوية الشريفة مصدراً آخر من مصادر التّناص عند ابن الأثير ، فهو يعتمد عليها مثلما يعتمد على الآيات القرآنية للاستدلال على فكرة معينة ، ولتأييد موضوع من موضوعات رسائله ، مستغلاً ما للأحاديث النبوية المطهرة من وقع وقدسية في نفوس المتلقين.

ويتنوع التّناص مع هذا المصدر في نصوص الرسائل بين تناص مباشر يتمثل بإيراد الحديث النبوي بلفظه ومعناه ، وتناص غير مباشر يتمثل بإيراد الحديث النبوي بالمعنى دون اللفظ .

فمن أمثلة التّناص المباشر ما ورد في الرسالة رقم (١) من قوله : ((ويكفيه منها ثواب الحج المبرور الذي واظب عليه فرضاً ونفلاً ، وما شدّ إليه رحله إلا وقد حط إلى الجنّة رحلاً ، قال النبي _ صلّى الله عليه وسلم – (الحجّ المبرور ليس له جزاء إلا الجنّة)[١] وقال: (الإسلام يهدم ما قبله)[٢]))[٣].

---

[١]) ينظر : مسند الإمام أحمد بن حنبل /٦١/٤

[٢]) ينظر : صحيح مسلم /٣٩

[٣]) رسائل ابن الأثير / هلال /١٤٠

فاستحضار الكاتب هذه الأحاديث النبوية الشريفة في نصوص رسائله يعبّر عن تواصل إيجابي بين الموروث الديني والكاتب من جهة ، وبين الموروث والمتلقّي من جهة أخرى ، عن طريق هذه النّصوص التي تمثّل أوعية لنقل هذا الموروث الديني إلى المتلقّي .

وإلى جانب هذا التّناص المباشر يوجد تناص غير مباشر مع الأحاديث النبوية الشريفة ، يتمثّل بإيراد الحديث النبوي بمعناه دون اللفظ ، كما ورد في الرسالة رقم (٤) التي يقول فيها :((وبعد ، فإنّي أسأله أن ينوب عني في خدمة الموالي السادة شرف الدين نقيب العلويين ، وأولاده حفظهم الله من عصابة خُصّت بشرف الأبوة ، وجُعلت كلمة باقية في عقب النبوة ، ويكفيهما شرفاً أنّها أحد الثقلين المخلفين عن رسوله ، وأن مودتها في هذه الأمة هي فحوى مسؤولة ، والسلام إن شاء الله تعالى))[١].

فقوله : (ويكفيها شرفاً أنها أحد الثقلين المخلفين عن رسوله) تناص مع الحديث النبوي الشريف : ((إنّي تارك فيكم الثقلين أحدهما أكبر من الآخر كتاب الله حبل ممدود من السماء على الأرض وعترتي أهل بيتي ، وإنّهما لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض))[٢] ، ومثل ذلك ما ورد في الرسالة رقم (١٧) التي يقول فيها : ((وعلى عقب هذا القول فإنّي أبرأ إليك من الإعجاب ، وأعلم أنّ الله لا ينظر إلى من جرّ أطراف الثياب، ولو سكت عنه لدلّ على نفسه، والشمس لا تُستر بنقاب))[٣] .

فقوله :(وأعلم أنّ الله لا ينظر إلى من جرّ أطراف الثياب) تناصّ مع الحديث النبوي الشريف : ((من جرّ ثوبه خيلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة))[٤].

وكذلك ما ورد في الرسالة رقم (٢٣) من قوله :((فإنّ الأوقات ظروف تشتمل على مساوئ الأشياء ومحاسنها ، ولا تعطيك إلا ما ادّخرته من بواطنها ، وهي كالرياح

---

١) رسائل ابن الأثير / القيسي ، هلال /١١٩

٢) مسند الإمام أحمد بن حنبل : ٣٧/٥

٣) رسائل ابن الأثير / المقدسي /٣١٣

٤) مسند الإمام أحمد بن حنبل : ٢٣٤/٣

العاصفة ، والبروق الخاطفة ، فمن يرد الله به خيرا يفقّهه في عمارتها بالإعمال الصالحة ، ذوات الموازين الراجحة))[١] .

فقوله :(فمن يرد الله به خيراً يفقهه في عمارتها بالإعمال الصالحة) تناص مع الحديث النبوي الشريف : ((فمن يرد الله به خيراً يفقّهه في الدّين))[٢].

إنّ تضمين الكاتب هذه المعاني المستقاة من الأحاديث النبوية الشريفة في نصوص الرسائل ، يضفي عليها مسحة دينية تعمل على زيادة القدرة الإقناعية فيها ، ومن ثم توثر في مدى مقبولية النّص عند المتلقي بما يحمله من موروث ديني يشترك فيه مع الكاتب ونصّه .

٣-الشعر :-

لقد أفاد ابن الأثير من التراث الشعري الضخم ، واستثمره في نصوص الرسائل ، معتمداً على ما يحويه من خلاصة للحكمة ، وما يعبر عنه من معان جليلة ولطيفة ، فكان يوظف الأبيات الشعرية في بعض استفتاحات رسائله ، جاعلاً البيت الشعري في بداية النّص دالاً على موضوعه ، بخاصة في الرسائل الإخوانية التي في أغلب أحيانها تعبر عمّا يشعر به الكاتب ، بعيداً عن رسمية العبارة في الرسائل الديوانية [٣] .

((إنّ استلهام الشعر في إطار نصّ نثري ممّا يتيح للكاتب دعم نصّه بنصّ له قبول ثقافي واجتماعي إلى أبعد مدى ، فالشعر ديوان العرب ومبعث فخرهم ، والشعر يمثّل ثقافة شفاهية عميقة الجذور في الفكر العربي القديم))[٤] .

مثلما نجد في الرسالة رقم (٢)[٥] ، التي كتبها إلى صديق له كان قد نقم عليه الملك وحبسه ، فاستفتحها بقول الشاعر :

---

[١]) رسائل ابن الأثير / هلال /١١٣

[٢]) مسند الإمام أحمد بن حنبل : ٤/ ٢٢

[٣]) ينظر : رسائل ابن الأثير ، دراسة أسلوبية /١٠٢

[٤]) نظرية علم النّص /٢٢٢

[٥]) ينظر :رسائل ابن الأثير / المقدسي /٣٠٠

قلنا لَعَاً لمّا عَثَرت ولا تَزَل نُوَب اللّيالي وهيَ عنك رواجع[١]

وكذلك ما ورد في الرسالة رقم (١٢)[٢] ، التي كتبها إلى بعض الإخوان يعزّيه بأخيه ، فهو يستفتحها بقول الشاعر :

تَأمّل إذَا الأحزانُ فِيكَ (تَكَاثَرَتْ)[٣] أَعَاشَ رسولُ اللهِ أمْ ضَمَّهُ قَبْرُ[٤]

((وقد حقّق ابن الأثير بهذا الافتتاح الشعري ما عرف عند البلاغيين ببراعة الاستهلال ، حيث المناسبة بين غرضه وبين ما يسوقه من شعر))[٥]. فهي بدايات تنبئ عن القضية الكبرى للنص وتعطي أشبه ما يكون بالتلخيص لما سيتم إجماله في نص الرسالة.

ولا يقتصر التّناص مع الشعر في مضمون الرسائل على هذه الصورة المباشرة التامّة ، بل قد يعمد الكاتب إلى التّناص مع جزءٍ من البيت الشعري (صدره أو عجزه) ، كما نجد في الرسالة رقم (٣٠) التي يقول فيها : ((ولو قبل الدهر الفداء لوجد أرواحاً تقي تلك الأرواح ، أو لو حَمَى منه حامٍ لكثر حولها اعتصاب الأقوام وإعداد السلاح – وتقتلنا المنون بلا قتال–)) [٦].

فقوله :(وتقتلنا المنون بلا قتال) تناص مع قول الشاعر :

نُعِدُّ المَشرَفِيَّةَ والعَوَالِي وتَقتُلُنا المَنونُ بِلا قِتالِ[٧]

---

[١]) ديوان البحتري : ١٣٠٧/٢

[٢]) ينظر: رسائل ابن الأثير / المقدسي /٢٣٧

[٣]) وردت في الديوان (تكاثفت)

[٤]) ديوان ديك الجن / ١٧١

[٥]) نقد النثر /٥٢٤-٥٢٥

[٦]) رسائل ابن الأثير / المقدسي/٣٠٦

[٧]) شرح ديوان المتنبي : ٣ / ١٤٠

بل يذهب الكاتب إلى أبعد من ذلك ، فيعمد إلى اقتطاع جزء من صدر البيت أو عجزه ويضمنه في نصه ، مثل ما ورد في الرسالة رقم (٣) إذ يقول :((ومن علقت منه بإخائه لم يترك لي أخاً ولا صديقاً ، ولم يحل عني فأقول لو كان العقيق عقيقاً ، ومن ذلك أنه شقيقي في أدبي وإن لم يكن شقيقي في نسبي)) [١] .

فقوله : (لو كان العقيق عقيقاً) تناصّ مع قول الشاعر :

هذا العَقِيقُ وفيه مَرأىً مُونِقٍ للعَينِ ، لَو كَانَ العقيقُ عقيقاً[٢]

وتبرز في نصوص الرسائل صورة أخرى من صور التّناص مع الشعر ، وهو التّناص غير المباشر الذي يتمثّل بحلّ الأبيات الشعرية في نصوص الرسائل التي تسهم في إثراء معاني النّص بما تتضمنه هذه الأبيات من معان مكثفة ، ومثال ذلك ما نجده في الرسالة رقم (٢) التي يقول فيها : ((وما حبسك وهو لمثلك بيت كرامة ، ومعبر سبيل لا دار إقامة ، وفيه فائدة الذكرى بمواقع النعم ، وطلعة البدر لا تفتقد إلا في سواد الظلم)) [٣].

فقوله (وطلعته البدر لا تفتقد إلا في سواد الظلم) تناص مع قول الشاعر :

سَيَذكُرُنِي قَومِي إذَا جَدَّ جِدُّهُمُ وفِي اللَّيلةِ الظّلماءِ يُفتَقَدُ البَدْرُ[٤]

فالكاتب وظّف هذا المعنى واستثمره في خدمة قضية النّص الكبرى في ضوء ما يحمله من دلالات تسهم في زيادة الزخم الدلالي عند المتلقي .

وكذلك ما نجده في رسالة أخرى وهي الرسالة رقم (٨) التى يقول فيها : ((ولو علم قرطاسه بما تضمّنه لمشى من خفّة ومن طرب ، ورقص رقص الزجاجة بما فيها

---

[١]) رسائل ابن الأثير / هلال /١٢٣

[٢]) ديوان البحتري : ١٤٥٠/٣

[٣]) رسائل ابن الأثير / المقدسي /٣٠٢

[٤]) ديوان ابي فراس الحمداني / ١٦٥

من الحبب ، وإذا عُورض بغيره من كتب الأشواق قِيل في الخمر معنى ليس في العنب))[١] ، فقوله : (في الخمر معنى ليس في العنب) تناصّ مع قول الشاعر :

وإنْ تَكُن تَغلُبُ الغَلبَاءُ عُنصُرَهَا فإنَّ فِي الخَمرِ مَعْنًى ليسَ فِي العِنَبِ[٢]

ويعتمد الكاتب في تناصه مع الشعر أحياناً على الإشارة فقط إلى الأبيات الشعرية من دون ذكرها باللفظ أو بالمعنى ، كما نجد في الرسالة رقم (٣٨) التي يقول فيها : ((فالبدار البدار ما دام الأمر يمكن تلافيه ، والرهن لم يغلق بما فيه ، وأبيات الشعر المنقولة عن ابن سيار هذا وقت إنشادها ، غير أنّ المملوك يرجو أن لا يكون هذا الوقت وقت ميعادها والسلام))[٣] .

فقوله (وأبيات الشعر المنقولة عن ابن سيار هذا وقت إنشادها) تناص مع قول الشاعر ابن سيار:

أَرَى خُلَلَ الرَّمَادِ وَمِيضَ نارٍ ويُوشِكُ أنْ يكونَ لَها ضَرَامُ[٤]

فالكاتب اكتفى بالإشارة إلى هذه الأبيات ولم يصرّح بها لا باللّفظ ، ولا بالمعنى؛ اعتماداً منه على الخلفية الثقافية للقارئ ،فوعي القارئ الثقافي بالنّص الذي يقرؤه يسهم في إنماء قدرته على القراءة ،ويمكّنه من مواجهة الصعوبات حال تعامله مع النّص ، ويدفعه إلى السعي إلى ما وراء النّص لتحديد المرجعية السياقية .[٥]

---

[١]) رسائل ابن الأثير / المقدسي /١٩٤

[٢]) شرح ديوان المتنبي : ١/ ٢٢٠

[٣]) رسائل ابن الأثير / المقدسي /٢٧

[٤]) ورد في الديوان : أرى تحت الرماد وميض جمرٍ ويوشك أن يكون له ضرام .
ينظر : ديوان نصر بن سيّار الكناني / ٤٠

[٥]) ينظر : نظرية علم النّص /٣٠

إنّ تناص الكاتب مع الشعر يضفي نوعاً من القوة التعبيريّة على نصوص الرسائل في ضوء ما تحمله هذه الأبيات أو معانيها من إيحاءات تجد موقعها المناسب في نفس المتلقي ؛ لأنّ في الشعر من المعاني المسبوكة والآراء المسكوكة ما يطابق كلّ حال ، وهنا تبرز براعة الكاتب في إعادة إنتاج هذه الدلالات ونظمها في سياق خاص ليولد منها نصّاً تمتزج فيه القدرة الإبداعية والمخزون الثقافي لديه [١].

٤-الأمثال :-

وظّف ابن الأثير الأمثال في نصوص رسائله ، واعتمد عليها بوصفها مصدراً خِصْباً يثري دلالات نصوص الرسائل ؛ لما فيها من حِكَم وإيجاز واختصار ، فكانت العرب ((تبلغ بها ما حاولت من حاجاتها في المنطق بكناية غير تصريح ، فيجتمع لها بذلك ثلاث خِلال : إيجاز اللفظ ، وإصابة المعنى ، وحسن التشبيه))[٢] .

والتّناص مع الأمثال بما تحمله من هذه الصفات تكون ذات أثر كبير في النّص إذا ما أخذنا بالحسبان علاقة التشبيه ، أو ترادف الدلالة ، أو تأكيدها ، أو علاقة المفسِّر بالمفسَّر ، أو علاقة الغامض بما يوضح معناه بين المثل ونصّ الرسالة.

ويسلك ابن الأثير في تناصه مع الأمثال طريقين : طريق التّناص المباشر ، ويكون بإيراد المثل باللفظ والمعنى . وطريقة التّناص غير المباشر ، الذي يتمثل بإعادة صياغة المثل بطريقته ، وأسلوبه الخاص ، فهو تناص مع المعنى والفكرة من دون اللفظ .

ومن أمثلة التّناص المباشر ما ورد في الرسالة رقم (٣) من قوله : ((لا ينبغي أن تضمّن كتب الأحباب إلا ما يعد من تحف الآداب ؛ ولهذا قطعت كتبي عن مجلس

---

[١]) ينظر : رسائل ابن الأثير ، دراسة أسلوبية /١٠٧(رسالة ماجستير)

[٢]) كتاب الأمثال /٣٤

سيدنا – أسمعه الله ما سره ، وملأ طرفه بما أقره – وما ذلك إلا صوناً لسمعه عن معرفة أخباري الراكدة ، وسوقي الكاسدة ، وأحوالي هي صلف تحت الراعدة))[١].

فقوله (أحوالي هي صلف تحت الرعدة) تناص مع المثل :((رُبّ صَلَف تحت الرّاعدة) [٢] ، الذي يُضرب للرجل البخيل مع الوجد والسعة [٣] .

فقد وظّف ما في هذا المثل من زخم دلالي في النّص ، وجعله مرادفاً ومؤكداً لما سبق من كلامه ، فهو يريد أن يبين انّ سبب انقطاع كتبه هو مراعاة حال المتلقي ، وليس العجز عن الكتابة ، فهو يقول بعدها ((ومن عجب أنّي كسدت على الزمان ومعدن الجواهر في فمي ، ومنسج الوشى في لسان قلمي)) [٤].

فالتّناص مع هذا المثل شكّل أشبه ما يكون ببؤرة دلالية ارتبطت بما قبلها بعلاقة الترادف ، وبما بعدها بعلاقة التفسير.

ومن الأمثلة الأخرى للتناص المباشر ما ورد في الرسالة رقم (١٧) من قوله : ((أمّا تشبيهه إياي بفلان الكاتب ، فرُبّ كلمة تقول لصاحبها دعني ، ولقد وضعني بقوله هذا وهو يرى أنّه رفعني ولم يضعني))[٥] .

ففي قوله هذا تناص مع المثل (رُبَّ كلمةٍ تقولُ لصاحِبِها دَعنِي)[٦] ، وهو مثل يُضرَب في النهي عن الإكثار مخافة الإهجار[٧].

فالكاتب بتناصّه مع هذا المثل يقدّم اعتراضاً غير مباشر للمتلقي ، وينهاه عن تشبيهه بالقاضي الفاضل بما يتلاءم مع المقام ؛ لأنهّ كان كثير الاستعمال للأمثال لإبراز آرائه ، ولاسيما الحادّة والهجومية منها [٨].

---

١) رسائل ابن الأثير / هلال /١٢٣

٢) مجمع الأمثال :٢٩٤/١

٣) ينظر : مجمع الأمثال : ٢٩٤/١

٤) رسائل ابن الأثير / هلال /١٢٣

٥) رسائل ابن الأثير / المقدسي /٣١٣

٦) مجمع الأمثال :٣٠٦/١

٧) ينظر : مجمع الأمثال : ٣٠٦/١

٨) ينظر : نقد النثر/٥٤٠

أما التّناص غير المباشر مع الأمثال ، فيبرز في المعاني التي أخذها الكاتب من الأمثال وكساها بأثواب وحُليٍّ جديدة ، ووضعها في سياقها المناسب ، فأتت مسبوكة ، محبوكة مع بقية أجزاء النّص الأخرى .

ومن أمثلة التّناص غير المباشر ما ورد في الرسالة رقم (٣) من قوله : ((فلا يظن اختصاري على نسبة ما أجده ولا إبرادي على حسب ما أورده ، فربّ إطالة تجد عندها طائلاً ، ولمحة تجد دونها ضميراً قائلاً)) [١].

فقوله :(ولمحة تجد دونها ضميراً قائلاً) تناصّ غير مباشر مع المثل :((رُبّ طرف أفصح من لسان))[٢] ، وكذلك ما ورد في الرسالة رقم (١٧) من قوله : ((فتفضّل يا مولاي وأعطني دولة كتلك حتى أخطب عنها خطابة تكسوها فوق مجدها مجداً ، وتكره ألسنة الأعداء أن تنطق لها حمداً ، وتتمثل على وجهها غرة ، وفي جيدها عقداً ، ويُقال عند ذلك:إن القلم أغنى عن السيف ، فلم يحوجه أن يفارق غمداً))[٣].

فقوله (إنّ القلم أغنى عن السيف فلم يحوجه أن يفارق غمداً) تناص غير مباشر مع المثل ((رُبّ قولٍ أشدّ من صَول))[٤] .

وممّا ورد في رسالة أخرى من التّناص غير المباشر هو قوله في الرسالة رقم (٢٠) : ((فما بالُ قوم يلبسونَ إهاب شاةٍ ومن تحته جلدُ نمر)) [٥].

فقوله هذا تناص مع المثل ((لبستُ له جلدَ النمر)) [٦] .

وعلى هذا النحو نلاحظ أن استعمال ابن الأثير الأمثال في نصوص رسائله كان له أثر كبير في تقريب المراد وتوضيح الغائب [٧] ، وما يتبع ذلك من تكوين علاقات دلالية ناتجة من تعالق النّص السابق بالنّص الجديد.

---

١) رسائل ابن الأثير / هلال /١٣٤

٢) مجمع الأمثال : ٣٠٦/١

٣) رسائل ابن الأثير / المقدسي /٣١٣

٤) مجمع الأمثال : ٢٩٠/١

٥) رسائل ابن الأثير / هلال / ١٣٨

٦) مجمع الأمثال : ١٨٠/٢

٧) ينظر : نقد النثر /٥٤٠

٥-المصطلحات :-

في رسائل ابن الأثير صور لتناص مع مصطلحات من حقول معرفية متنوعة ، ضمّنها الكاتب كلامه استظهارا لقدرته على نسج هذه المصطلحات مع نصوصه ، واستثمارا منه لتلك المصطلحات في توليد المعاني بما يخدم غرض النّص . وهو في ذلك يعكس حالة من التواصل بين النّص والمخزون المعرفي للكاتب بروافده المتعددة من جهة ، وبين النّص والمتلقي الذي يقوم بعملية استدعاء للمخزون الثقافي الذي أُخذ منه النّص ، والمعرفة بالعالم الذي أُنتج النّص في ظله من جهة أخرى [١].

ومن أمثلة هذا التّناص ما ورد في الرسالة رقم (٤) من قوله : ((وأنا أشرح له أحوالي ، فإنها مما تزيد القلوب صدأ ، وليس بمنكر أن تغدو خبرا ان كانت الحوادث له مبتدأ))[٢] . ففي قوله هذا تناص مع مصطلحات علم النحو(المبتدأ والخبر) .

وكذلك ما ورد في الرسالة رقم (٨) من قوله :((وإن شاء فليعد ذلك من فروض وداده ، وإلا فليعتد به من نوافل إحسانه))[٣] ، ففي قوله (فروض – نوافل) تناص مع مصطلحات الفقه .

ومثل ذلك ما ورد في الرسالة رقم (١٤) من قوله :((وهذا لا يقال على حكم المجاز ، بل على حكم الحقيقة)) [٤] ، ففي قوله هذا تناص مع مصطلحات علم البلاغة (الحقيقة والمجاز).

وكذلك ما ورد في الرسالة رقم (٢٤) من قوله : ((وهما عنده متلازمان كالصلة والموصول ، والنتيجة والمقدمة))[٥] ، ففي قوله هذا تناصّ مع مصطلحات النّحو وعلم المنطق.

---

[١]) ينظر : دراسة لسانية للعلاقات النّصية في مطولات السياب / ٢٣٢-٢٣٣

[٢]) رسائل ابن الأثير / القيسي ، هلال /١١٨

[٣]) رسائل ابن الأثير / المقدسي /١٩٥

[٤]) المصدر نفسه /٢٧٥

[٥]) رسائل ابن الأثير / القيسي ، هلال /١٤٤

فهذه الصور من التّناص تعكس ثقافة الكاتب ذات الروافد المتعدّدة وترتبط كذلك بمتلقٍ على قدر من الثقافة تؤهّله لاستيعاب هذه الصور التي يرسمها الكاتب.

٦-الوقائع والإشارات التاريخية :-

حفلت رسائل ابن الأثير بصورة أخرى من صور التّناص ، وهي صورة استحضار حادثة ، أو واقعة تاريخية عن طريق الإشارة إليها في النّص ، وهو ما يطلق عليه بعض الباحثين (التّناص الإشاري)[١] ، الذي يقوم على استحضار النّص النثري ، أو الحادثة التاريخية ، أو أي نص آخر عن طريق الإشارة المركزة التي تكون بمثابة النّص الكامل لتلك الحادثة ، ((ويتميّز هذا النوع من التّناص بقدرة كبيرة على التكثيف والإيجاز ، مع الدقّة في التعبير ، إذ تثير المفردة المستحضرة وجدان المتلقي ومشاعره ، وتنقله إلى أجواء النّص المستحضر بسرعة فائقة ، وبأقل قدر ممكن من الكلمات))[٢].

وأغلب صور التّناص مع الوقائع التاريخية في رسائل ابن الأثير قائمة على استحضار وقائع التاريخ الإسلامي ، كما ورد في الرسالة رقم (١٩) من قوله :((وتواسينا فيه مؤاساة أصحاب الصفة))[٣] ، ففي قوله هذا تناص مع واقعة أصحاب الصُّفة[٤].

وكذلك ما ورد في الرسالة نفسها من قوله : ((ويودّ لو وقفت لنا به الشّمس كما وقفت لعليٍّ ويوشع))[٥] ، فهو يستحضر حادثة ردّ الشّمس للإمام عليّ (عليه السلام)

---

١) ينظر : دراسة لسانية للعلاقات النّصية في مطولات السياب / ٢١٣

٢) دراسة لسانية للعلاقات النّصية في مطولات السياب /٢١٣

٣) رسائل ابن الأثير / المقدسي /٧٣

٤) وهم المسلمون المهاجرون بالمدينة الذين لم يكن لهم دار ، ولا مأوى ؛ بسبب كثرة المهاجرين ، أنزلهم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) المسجد ، وسماهم أصحاب الصفة ، فكان يجالسهم ، ويقدم لهم الطعام ، ويتعهدهم بنفسه ، فيزورهم ويتفقد أحوالهم ويعود مرضاهم . (ينظر: السيرة النبوية الصحيحة :٢٦٦/١)

٥) رسائل ابن الأثير / المقدسي /٧٤

، ويوشع وصيّ النبي موسى (عليهم السلام)[١].

ومثل ذلك ما ورد في الرسالة رقم (٢٨) من قوله :((وما يدّعي أحد تخصيصاً بذلك إلا قيل له قد تحجّرت واسعاً))[٢] ، فقوله (تحجّرت واسعا) تناصّ مع حادثة الأعرابي الذي قال له رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلم) :((لقد تحجّرت واسعاً))[٣].

إنّ الكاتب وهو يستحضر هذه الوقائع في نصوصه يعمد إلى خلق موقف يتفاعل فيه المتلقي مع النّص عِبر استدعائه لتلك المواقف والوقائع القديمة وربطها بواقع الكاتب ، إذن فهناك عالمان : عالم النّص وعالم الوقائع ، والعلاقة بينهما ليست علاقة انعكاس بسيط ، أو رؤية مطابقة ، وإنّما هي علاقة تتدخل مقاصد منتج النّص في تحديدها ، فإما أن يقوم منتج النّص برصد العالم الخارجي كما هو ، وإما أن يقدم الموقف برؤية خاصة به تكون كفيلة بتفاعل المتلقي مع النّص [٤].

هذه هي المصادر التي اعتمدها ابن الأثير في التّناص ، مع ورود نسب قليلة من التّناص مع مصادر أخرى كالأعلام ، والأماكن ، وهي قليلة نسبيّاً ولا ترقى إلى المستوى الذي ظهرت فيه المصادر المذكورة سابقاً ، التى وردت بنسب متفاوتة في نصوص الرسائل يوضحها الجدول الآتي :

---

[١]) ينظر : فروع الكافي : ٢/ ٥٦١ ، وكنز العمال : ١١ / ٥٢٤

[٢]) رسائل ابن الأثير / المقدسي /٣٢٠

[٣]) ينظر : الجامع الكبير :١ /١٩٢ ومعناه ضيّقت رحمة الله التي وَسِعت كلّ شيء.

[٤]) ينظر : علم لغة النّص ،النظرية والتطبيق /٦- ٧

مصادر التّناص في رسائل ابن الأثير

رقم الرسالة	القرآن الكريم		الحديث النبوي		الشعر		الأمثال		المصطلحات	الوقائع
	مباشر	غير مباشر	مباشر	غير مباشر	مباشر	غير مباشر	مباشر	غير مباشر		
١	٨	٢	٢	--	--	--	٢	--	١	--
٢	--	١	--	١	٢	٢	--	--	--	--
٣	--	--	--	١	١	١	١	١	١	--
٤	--	--	--	١	٦	--	--	--	٢	--
٥	--	١	--	--	--	--	--	--	٢	--
٦	--	١	--	--	٣	--	--	--	--	--
٧	--	٢	--	--	١	--	--	--	--	--
٨	--	--	--	--	١	٣	--	--	٢	--
٩	--	--	--	١	--	--	--	--	١	--
١٠	--	٤	--	--	--	--	--	--	--	--
١١	--	١	١	--	١	--	--	--	--	--
١٢	--	٣	--	--	٢	--	--	--	--	--
١٣	--	--	--	--	--	--	--	--	--	١
١٤	--	١	--	--	--	--	--	--	١	--
١٥	--	٢	--	١	٢	--	١	--	--	--
١٦	--	١	١	--	١	١	--	--	--	--
١٧	--	٦	--	١	٢	١	١	١	--	--
١٨	١	٣	--	--	١	--	--	--	--	١
١٩	--	٤	--	--	١	--	--	--	--	٢
٢٠	--	٣	١	--	--	--	--	١	٢	--
٢١	--	--	--	١	--	--	--	--	--	--
٢٢	--	--	--	--	--	١	--	--	--	١
٢٣	--	٢	--	٢	١	--	--	--	--	--
٢٤	--	١	--	--	٣	--	--	--	٢	--
٢٥	--	٢	--	--	١	--	--	--	--	--
٢٦	١	٣	--	١	٣	--	--	١	٢	٢
٢٧	--	٢	--	--	٧	--	--	--	--	--
٢٨	--	١	--	--	١	١	--	--	--	١
٢٩	--	--	--	١	١	--	--	--	--	--
٣٠	--	٢	--	--	٣	٢	--	--	--	--

٣١	١	٣	٤	--	--	--	--	--	--	٤
٣٢	١	٦	--	--	٣	١	١	--	--	٢
٣٣	--	٢	--	--	٥	--	--	--	١	--
٣٤	--	٢	--	--	٢	٢	--	١	--	١
٣٥	--	٣	--	--	٣	--	--	--	--	١
٣٦	١	١	--	١	--	--	--	--	--	٢
٣٧	--	٣	--	--	١	--	--	--	--	١
٣٨	--	٣	--	--	--	--	٢	١	--	--
٣٩	--	--	--	--	٢	--	٢	١	١	١
٤٠	١	٢	--	١	--	١	--	--	--	١
المجموع	٧	٧٩	٩	١٣	٦٠	١٦	١٠	٧	١٨	٢٢

جدول رقم (٧)

يتّضح من الجدول السابق أنّ التّناص مع القرآن الكريم سجّل النسبة الأكثر حضوراً في الرسائل بصورتيه المباشرة وغير المباشرة ، يليه التّناص مع الشعر ، ثم الأحاديث النبويّة الشريفة والوقائع.

توطئة

هناك مجموعة من المعايير التداولية لا بـدّ أن تتوافـر في النّصوص لتتحقّق فيها خاصّية النّصيّة ، وهي(القصدية ، والمقبولية ، والتناص ، والمقامية ، والاعلامية). وهذه الخاصيّة النّصيّة ما كانت لتتحقّق بمجرّد الترابط الشّكلي والمضموني للنّص الذي يجسّده معيارا السّبك والحبك، بل لا بُدّ من ((مراعاة دور التداولية اللغوية أيضاً التي تعنى بالعلاقة بين بنية النّص وعناصر الموقف التواصلي المرتبطة به بشكل منظّم))[١].

فالمتكلّم أو الكاتب يسعى جاهداً إلى أن يؤثر في المتلقّي عن طريق النّصوص ، أو المنطوقات إلى أن يصل إلى هدفه بتحقيق الوظيفة التواصلية للنّص. ومن المؤكّد أنّ هذه المواقف التواصلية تؤثّر في تشكيل بنية النّصوص بشكل جوهري ؛ وعليه لا بدّ أن تتّسع النظرة في تحليل أيّ نصّ لتشمل الأبعاد الثلاثة المكوّنة له وهي[٢]:-

- البُعد التركيبي
- البُعد الدّلالي
- البُعد التداولي

[١]) الخطاب الأدبي ورهانات التأويل / ٥٥

[٢]) ينظر : استراتيجيات الخطاب / ٢١

المبحث الثالث

المقاميّة في علم لغة النّص وفي رسائل ابن الأثير

أولا : المقاميّة في علم لغة النّص:

المقامية هي أحد المعايير النّصية التي اقترحها بوجراند وجعلها أساساً مشروعاً لإيجاد النّصوص واستعمالها .

ومفهوم المقامية هو جزء من مفهوم السّياق في الدرس اللّغوي الحديث ، فقد برز في هذا الإطار – إي إطار مفهوم السياق – ضربان من السياقات : السياق اللغوي ، وهو ما يحيط بالمفردات من عبارات تساعد على فهمها وحفظ دلالتها .

والسياق الخارجي الذي يتمثل في مجموعة الشروط الحافة بإنتاج النَص أو الخطاب وهي التي تبني عالمه الخارجي[١] .

والمقامية على وفق المفهوم الثاني هو الذي جعله بوجراند ودرسلير من معايير النَص ، فقد ذكر بوجراند أنّ المقامية ((تتضمّن العوامل التي تجعل النَص مرتبطاً بموقف سائد يمكن استرجاعه ، ويأتي النَص في صورة عمل يمكن له أن يراقب الموقف وأن يغيره))[٢] .

وذكرها بوجراند ودريسلر في مكان آخر انّها ((تشتمل على العوامل التي تجعل النَص ذا صلة بموقف حالي ، أو بموقف قابل للاسترجاع))[٣] .

وممّا تجدر الإشارة إليه أنّ هناك مصطلحات أخرى عبّرت عن هذا المفهوم منها ما ورد في الدراسات العربية القديمة كالسياق ،أو الموقف ،أو الحال ،أو المقام.[٤]

---

[١]) ينظر : المصطلح اللّساني وتأسيس المفهوم / ١٩١ ، وينظر : مدخل إلى علم اللّغة / ١٥٩

[٢]) النَص والخطاب والإجراء / ١٠٤

[٣]) مدخل الى علم لغة النَص / ١٢

[٤]) ينظر : دلالة السياق بين التراث وعلم اللّغة الحديث /٢٨

ومنها ما ورد عند المحدثين كرعاية الموقف [١] ،أو الموقفية [٢] ، أو السياق أو سياق الموقف أيضاً[٣].

إلا أنّ أغلب الباحثين يميلون الى استعمال مصطلح (المقامية) [٤].

تهدف المقامية إلى أن يؤخَذ بالاعتبار البُعد التداولي للنّص ؛ وذلك انطلاقاً من أهميّة الظروف المحيطة والمصاحبة لإنتاج النَص في فهمه[٥] ، فإنّ أيّ نصّ كلامي – ملفوظاً كان أو مكتوباً – لا يوصل إلى معناه الحقّ الكامل بدارسته وحده مستقلاً ، بل لا بد من الوقوف على كثير من الظروف التي كان يستعمل فيها الكلام [٦] .

فاللّغة إذن نشاط تواصلي – اجتماعي ولا تُفهم إلا من هذا المنظار .

لقد اعتنى العلماء المحدثون بالسياق ، وأولوه أهمية كبيرة ، ويعد دي سوسير من أبرز المهتمين بالسياق ، وذلك عندما بيّن انّ الكلمة إذا وقعت في سياق ما لا تكتسب قيمتها إلا في ضوء علاقتها بما يسبقها أو يلحقها أو معهما في وقت واحد.[٧]

وظهر ما يُعرف بالمنهج السياقي الذي يتزعمه (فيرث) الذي أكّد الوظيفة الاجتماعية للغة ، ويرى أصحاب هذا المنهج أن معنى الكلمة يكون في (استعمالها في اللغة) أو (الطريقة التي تُستعمل بها) أو (الدور الذي تؤديه)، [٨] ((وعلى هذا

---

١) ينظر : النَص والخطاب والإجراء /١٠٤

٢) ينظر : مدخل إلى علم لغة النَص / ١٢

٣) ينظر : مقالات في اللّغة والأدب :٦٥/٢

٤) ينظر : نحو النص ، اتجاه جديد في الدرس النحوي /٨٤ ،ونحو النص بين الأصالة والحداثة/٩٥، وعلم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق :٣٤/١

٥) ينظر : مدخل إلى علم النَص ومجالات تطبيقه/ ٩٧

٦) ينظر : اللغة والمجتمع ، رأي ومنهج / ٢٩-٣١

٧) ينظر : علم اللغة العام /١٤٢

٨) ينظر : علم الدلالة / ٦٨

فدراسة معاني الكلمات تتطلب تحليلاً للسياقات والمواقف التي ترد فيها ، حتى ما كان منها غير لغوي))[١].

ثم توالت بعد فيرث محاولات العلماء لبيان دور السياق في فهم النَص وتماسكه ، فقد ذهب بوجراند إلى أنه ينبغي للنّص أن يتصل بموقف تتفاعل فيه مجموعة من المرتكزات ، والتوقعات ، والمعارف . وهذه البيئة الشائعة تسمّى سياق الموقف[٢] .

((ويرى هاليداي ورقية حسن أنّ مصطلحَي السياق والنَص متلازمان مع بعضهما ، فهما مظهران للعملية نفسها ، فلكلّ نصّ يوجد نصّ آخر مصاحب له وهو السياق))[٣]، وتسهم لديهم عناصر السياق المصاحب أو سياق الموقف في تفسير النَص وهي [٤]:-

١- حقل الخطاب :- ويشير إلى طبيعة الحدث الذي ينطلق منه الخطاب.

٢- أدوار الخطاب :- ويشير إلى طبيعة العلاقة بين المشاركين في الخطاب ، وأدوارهم الاجتماعية ، والعلاقات بينهم .

٣- لغة الخطاب :- وتعني اللغة التعبيرية المستعملة في الخطاب (رسمية أو غير رسمية) ، (مكتوبة أو منطوقة) .

وهكذا تتطلّب دراسة النّصوص عند هؤلاء العلماء تحليل السياقات والمواقف التي ترد فيها ، فاقترح بعضهم تقسيماً للسياق يشمل كلّ ما يتّصل باستعمال الكلمة من علاقات لغوية ، وظروف اجتماعية ، وخصائص وسمات ثقافية ونفسية وغيرها .

فكان السياق عندهم يتضمّن أربعة أقسام من السياقات هي[٥] : -

١- السياق اللغوي :- وهو حصيلة استعمال الكلمة مع الكلمات الأخرى المجاورة لها ، مما يكسبها معنى خاصّاً محددّاً .

٢- السياق العاطفي :- وهـو الذي يحدد طبيعة اسـتعمال الكلمة بين دلالتها

---

[١]) علم الدلالة / ٦٩

[٢]) ينظر : النَص والخطاب والإجراء /٩١

[٣]) علم لغة النَص ، النظرية والتطبيق / ٨

[٤]) ينظر : علم لغة النَص ، النظرية والتطبيق / ٨-١٠

[٥]) ينظر : مبادئ اللسانيات / ٣٥٤- ٣٦٠ ، وينظر : علم الدلالة / ٦٩- ٧١

الموضوعية ، ودلالتها العاطفية ، فيحدد درجة القوة والضعف في الانفعال ، مما يقتضي تأكيداً ، أو مبالغة ، أو اعتدالاً.

٣- سياق الموقف :- يدل سياق الموقف على العلاقات الزمانية والمكانية التي يجري فيها الكلام.

٤- السياق الثقافي :- ويظهر في استعمال كلمات معينة في مستوى لغوي محدد ، وتحديد المحيط الثقافي أو الاجتماعي الذي يمكن أن تستعمل فيه هذه الكلمات .

ثانيا : المقامية في رسائل ابن الأثير

أولا:- سياق الموقف :-

عاش ابن الأثير في عصر عُرِف بالاضطراب في جميع المجالات ، كان عصراً مضطرباً من الناحية السياسية ، خارجيّاً مع الأعداء الأجانب ، وداخليا بين أبناء المجتمع الواحد .

فمن الناحية الخارجية عُرِف هذا العصر بالتفاني الحربي بين الدول الإسلامية والإمارات الإفرنجية بالشام المعروفة بمستعمرات الصليبيين [١] .

فهو عصر اندلاع الحروب والمعارك التي شنّها صلاح الدين ضدّ الصليبيين ، فمن معركة حطّين التي انتصر فيها صلاح الدين على الصليبين إلى فتح بيت المقدس ، ثمّ الحرب الصليبية الثالثة في عكّا[٢]. فكانت هذه الحروب تعكس صوراً من الصراع بين الإسلام والمسيحية ((وأخذت تلهب العواطف ، وتفيض القرائح ، وتحرق القلوب ، وتهيج النفوس ، فأخذ النثر منها سبيلاً سياسيّاً حماسيّاً رائعاً ، وأخذ الشعر منها طريقة حماسية لاذعة ، وكثرت المراسلات المستنفرة ، والأناشيد الحافزة))[٣] .

وكانت رسائل ابن الأثير انعكاساً لكلّ هذه الأحداث ، فكانت تاريخاً أدبياً متسلسلاً للأحداث التي مرّت بها الأمة ، فـ ((عند حديثه عن بعض الفتوحات كان يشير إلى

---

[١]) ينظر : الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور / ٣ (مقدمة المحقق)

[٢]) ينظر : الحروب الصليبية في المشرق والمغرب /٨٤-٩٢

[٣]) الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور / ٣ (مقدمة المحقق)

الخطط المعدة ، وأوضاع الجند ، والسلاح المستخدم ، وحفر الخنادق ، ويستدق في ذكرها حتى يميزها عن خنادق الآبار للاستقاء ، فهي كبيوت اليرابيع ، ثم يذكر أعمال النقابين الذين يأخذون على عاتقهم انباط الأسوار ... ، ورسائله في صياغتها ودلالتها تمثل لوحات حربية ووثائق تاريخية تواكب مسيرة الملك الناصر صلاح الدين ، وهي تتحدث عن حصن (الكرك) مرة ، و(تل حطّين) أخرى بعد أن خذل الله الفرنج ... وهو يعد انتصار صلاح الدين في هذه المعارك فتحاً جليلاً ، ودحره للفرنج في معركة حطين عيداً للنصر))[١] .

ونجد ابن الأثير في كثير من رسائله يشير إلى استنهاض الهِمَم ،واستصراخ العزائم لإنقاذ البلاد ، وتخليص الأرض ، ويؤكّد فيها انّ الجهاد حقّ ، وإنّ الدعوة إلى الوقوف بوجه المحتلين من المشركين دعوة مشروعة ، وهو يحاول أن يشبّه جيوش المؤمنين وهي تطرد الغزاة بالمؤمنين الذين قاتلوا المشركين في عصر الرسالة [٢] .

وهكذا نلاحظ أن رسائل ابن الأثير كانت على صلة قريبة من الأحداث التي تتعرض لها الدولة آنذاك ، فهي ((إشارة واحدة من تلك الإشارات التي واكبت نهوضاً قومياً ، وعبرت عن حالة كانت الأمة تقف فيها موقف التحدي وهي ترد عدواناً عليها ، وتوقف زحفاً حاول أن ينتزع منها بقعة من بقاعها العزيزة لقدسيتها ومنزلتها في قلوب العرب والمسلمين))[٣].

هذا ما كان انعكاساً للظروف الخارجية التي تعرضت لها الأمة في زمن ابن الأثير ، أما ما يتعلق بالظروف الداخلية ، فقد كان زمن ابن الأثير مسرحاً للصراع بين الملوك من أبناء صلاح الدين الذين تقاسموا دولته بينهم ، وكان أثره بارزاً في هذا الصراع بوصفه وزير الملك الأفضل وكاتبه ، وكان لسانه المعبّر في صراعه مع أخيه الملك العزيز ، وعمّه الملك العادل ، وكانت رسائله حافلة بأحداث هذه المدّة التي قضاها في خدمة الملك الأفضل والملك الظاهر وحتى استقراره في الموصل

---

[١]) رسائل ابن الأثير /القيسي ، هلال / ٥٦ (مقدمة المحققين)

[٢]) ينظر : المصدر نفسه /٥٧ (مقدمة المحققين)

[٣]) المصدر نفسه /٥٥ (مقدمة المحققين)

لخدمة ناصر الدين أرسلان شاه [١] . ومنها الرسالة رقم (١٨) [٢] ، التي يصف فيها خروجه من مصر خوفا من عقاب الملك العادل الذي كان ناقما عليه [٣] ، وكذلك الرسالة رقم (٣٦) [٤] ، التي كتبها عن الملك الأفضل الى الملك نور الدين أرسلان شاه وضمنها الاستنجاد على عمه الملك العادل ، وغيرها من الرسائل الى كانت انعكاساً للأحداث الداخلية التي تعتري حياة ابن الأثير بوصفه رجل دولة وقلم.

أمّا الحياة الاجتماعية في هذه المدة الزمنية من حياة المجتمع العربي فقد انمازت بمساوئ كثيرة ، إذ استُحدث نوع من النظام الإقطاعي ، وانقسمت رقعة العالم الإسلامي في المشرق على مقاطعات يحكمها أمراء وقواد أقوياء استفادوا من صرامة النظام العسكري [٥] ؛ فولدت هذه الحالة نوعاً من الطبقيّة في المجتمع ، وانتشار الوساطات لتمشية أمور بعض الأشخاص ، وقد حفلت رسائل ابن الأثير بنماذج عكست هذه الحالة كالرسالة رقم (٢٣) [٦] التي كتبها شفاعةً لبعض مشاهير التجار ، وكذلك الرسالة رقم (٢٠) [٧] التي كتبها جواباً عن كتاب ورد من بعض الإخوان يتضمن الاستعطاف على بعض الأشخاص ، والرسالة رقم (٢٤)[٨] ، و (٢٥) [٩] التي كتبها عنايةً ببعض الأشخاص.

كلّ هذه النصوص تنطق عمّا كان سائداً آنذاك من طبقية اجتماعية ألقت بظلالها على نتاج ابن الأثير ؛ فجاءت بعض رسائله استجابة للطلبات التي أفرزتها الحياة الاجتماعية في عصره .

---

[١]) ينظر : ضياء الدين ابن الأثير ، سيرة ومنهج /٢١-٢٩

[٢]) ينظر :رسائل ابن الأثير / القيسي ، هلال /١١٦

[٣]) ينظر : ضياء الدين ابن الأثير ، سيرة ومنهج /٢٤

[٤]) ينظر : رسائل ابن الأثير / القيسي ، هلال /١٢٠

[٥]) ينظر : أدبية الخطاب في المثل السائر / ٧٣

[٦]) ينظر : رسائل ابن الأثير / هلال / ١١١

[٧]) ينظر : المصدر نفسه / ١٣٧

[٨]) ينظر : رسائل ابن الأثير / القيسي ، هلال /١٤٤

[٩]) ينظر : المصدر نفسه /١٥٦

وحتى النسيج الاجتماعي في هذه الحقبة التاريخية من حياة المجتمع الإسلامي في المشرق ، قد انماز بخليط من الأقوام والأجناس المختلفة فيما بينها أخلاقيّاً و، فكريّاً ، ودينيّاً . فكان المجتمع خليطاً من عرب ، وفرس ، وأتراك وغيرهم ، وسرعان ما بدأت مقاليد الأمور تكون بيد هولاء المماليك من غير العرب [١] .

وهنا لا بدّ من انتفاضة تتحقّق بأيّ شكل من الأشكال لإبراز الهوية العربية والإسلامية وتأكيدها ، فكانت انتفاضة ابن الأثير الذي حمل تمسكه بعروبته وإسلامه شكلاً من أشكال المقاومة والتحدّي من جهة ، والحفاظ على الأصالة والهوية من جهة أخرى .[٢]

لقد بدا واضحاً هذا التمسك بالهوية عند ابن الأثير ، وبرز في مصادره الثقافية التي يعتمد عليها في رسائله ، كاعتماده على القرآن الكريم ، والحديث النبوي الشريف ، والشعر العربي ، والحِكَم ، والأمثال ، والوقائع العربية [٣] ، وهو ما سبق تناوله في مبحث التناص .

فكان تمسكه بهذه المصادر وتأكيدها في رسائله ردة فعل لما كان سائداً آنذاك في محيطه الاجتماعي .

ولم تكن رسائل ابن الأثير مرآة انعكس عليها ما مرّ ذكره من محيطه السياسي والاجتماعي فحسب ، بل وُجدت فيها مساحات واسعة بثّ الكاتب فيها مشاعره وأحاسيسه بصفته إنساناً إنسان في تواصله مع اخوانه وأصدقائه في مناسبات متنوّعة كالشكر والعرفان ، والتهاني ، والتعازي ، والعيادات.

وهكذا كانت رسائل ابن الأثير تجسيداً لما تمثله شخصيته وموقعها في ذلك الوقت ، فهو رجل الدولة والقلم وهو الإنسان .

وكلّ هذه الجوانب من حياته يمكن أن نطلق عليها بمصطلحات هاليدي ورقية حسن (حقل الخطاب) .

---

[١]) ينظر: الفن ومذاهبه في النثر العربي / ٣٧٦ ، وينظر : أدبية الخطاب في المثل السائر / ٧٣

[٢]) ينظر : نقد النثر / ٢٠٥

[٣]) ينظر : المصدر نفسه / الموضع نفسه

أما عن (أدوار الخطاب) ، فيمكن القول :إن نصوص الرسائل بصورة عامة ترتبط بين طرفين ، أو دورين هما دور المُرسِل ، ودور المُرسَل إليه (دور الفاعل الأصلي ودور المتلقي) ، أمّا في رسائل ابن الأثير فإننا نلحظ أكثر من هذه الأدوار ، وهي: –

١– **الدور الأول :(دور الفاعل الأصلي الأول)** :– ويتمثّل هذا الدور بشخص ابن الأثير في جميع رسائله (الديوانية والاخوانية) ، إلا أنّ بصمة هذ الدور تظهر في الرسائل الإخوانية وتتلاشى في الديوانية لكونها رسائل رسمية تمثّل رأي الدولة .

٢– **الدور الثاني : (دور الفاعل الثاني)** : ويتمثّل هذا الدور بوجهة نظر الدولة في المراسلات الديوانية ، التي تمثلها رسائل ابن الأثير التي تختص بشؤون الدولة ، فالخليفة أو الملك هو من يمثل هذا الدور الثاني ، والكاتب في هذا الدور ((يضع نفسه في غير قالبه الذاتي ، ويتزي غيره ، ويتنكر في صورة حاكم ، أو خليفة ، أو وال أو قائد ، ويخشى الزلل والتعثر ، فهو ملتزم بخطّ محدد ودقيق لا يستطيع أن يحيد عنه قيد أنملة)). [١]

٣– **الدور الثالث (دور المتلقي)** :– وهو الذي تحدده الرسالة أخوانية كانت ، أو ديوانية.

أما (لغة الخطاب) ، فإنّ طبيعة العلاقة بين المتخاطبين التي تكون محدّدة على وفق الأدوار السالفة هي التي تحدّد نوع اللغة المستعملة ، ((فهناك لغة تعبّر عن التعالي بين الحاكم والمحكوم ، والشيخ والتلميذ ، وهناك لغة أخرى تعكس درجة القرب من الأصدقاء)). [٢] وهذا ما نحاول معرفته في ضوء تفاعل نصوص الرسائل مع السياق الثقافي .

ثانيا : السياق الثقافي :–

---

[١]) نقد النثر / ٤٠٨

[٢]) نظرية علم النَص / ٢٨

تُعَدُّ رسائل ابن الأثير بما تحمله من أعراف أدبية ولغوية امتداداً طبيعيّاً لفنّ الكتابة وما اعتراه من تطوّر ونضج على مرّ العصور ، شأنها شأن سائر الجوانب الاجتماعية ، والثقافية ، والعلمية وغيرها . ((فالكتابة تنفرد – من بين فروع الأدب – بأنّها وليدة العقل الناضج ، والأفق الواسع ، ومن ثم كانت – في مختلف العصور – تزدهر بإزدهارها وتضمحل باضمحلالها)) [١].

فنحن لا نكاد نمضي في العصر العباسي حتى نحسّ انّ الحياة العربية تغيّر إطارها تغيّراً تامّاً ، فقد أصبحت الحياة في هذا العصر مؤطرة بإطار من الزخرف والتصنيع ، وأخذ الناس يعيشون معيشة حضارية مترفة لا تتصل بالبادية ، ولا بالحياة العربية القديمة ، إنما تتصل بالأناقة ، والترف ، والزينة [٢] .

وقد ألقى هذا التغيير ظلاله على الأدب ، ولا سيّما الكتابة التي طُبِعت في عصر ابن الأثير بطابع الصناعة اللفظية .

كانت مدارس الكتابة وما مرت به من أدوار ، وما استقرّت عليه ، تمثل سياقاً ثقافيّاً لرسائل ابن الأثير أسهم كثيراً في تكوين لغة الرسائل عنده، فـ((عندما نتحدّث عن السياق الثقافي للنّص ، فإنّنا نعني سمات الثقافة المتّصلة بوقت كتابته ، والمسيطرة على كاتبي النصوص ، من أعراف أدبية ولغوية)) [٣].

لقد أصبحت الكتابة في عصر ابن الأثير حرفة ترتقي بصاحبها إلى أماكن مرموقة في الدولة؛ لذلك يشترط في من يشغل أو يمارس هذه الحرفة أن تجتمع لديه الكثير من الأدوات التي تؤهّله لممارستها [٤] .

لقد انعكس هذا التعقيد بطبيعة الحال على طبيعة لغة الرسائل وبنائها (رسمية أو شبه رسمية) ، فالتقاليد الكتابية للرسائل الديوانية تختلف عن التقاليد الكتابية للرسائل الاخوانية ، وكذلك تختلف الكتب الصادرة من الأدنى الى الأعلى عن

---

[١]) بلاغة الكتّاب في العصر العباسي / ٨٠

[٢]) ينظر : الفن ومذاهبه في النثر العربي / ١٩١

[٣]) نظرية علم النَص / ٣٠

[٤]) ينظر : نقد النثر / ١٤٨

غيرها من الكتب [١] ، وكان ابن الأثير في رسائله يراعي أدوار الخطاب وما يتطلبه منه كل دور من لغة وأسلوب وبناء ، فكان يرتب صيغ الافتتاح على وفق مراتب متلقيه ومنازلهم [٢] ، وكان يميز صيغ مخاطبة الملوك من صيغ مخاطبة العامة ، فكان يخاطبهم مخاطبة الغائب لا الحاضر، وكان يجري الخطاب في صيغة الاستفهام.[٣]

وكان ينوّع في الأساليب بين الإيجاز والإطناب تبعاً لما يفرضه الموضوع ، ومراعاة لأصول المخاطبين [٤].

فكان في الرسائل الديوانية يلتزم جادة واحدة ، على حين أنه في الرسائل الإخوانية يطلق النفس على سجيتها ، يتعامل مع من يحبّ ، ويعبر عمّا يحبّ ، يشارك في أفراح أقرانه ، ويجامل ، ويشكر ، ويعاتب [٥] .

كل ذلك كان ينظمه بلغة مثقلة بالفنون البديعية كالجناس ، والسجع ، ومضمنة الكثير من المعاني والاقتباسات القرآنية ، والأحاديث النبوية ، والأمثال ، والشعر .

ويفرض السياق الثقافي على الكاتب أيضاً استعمال بدائل معجمية وأسلوبية دون سواها تبعاً لموضوع النَص ، وطبيعة العلاقة بين الطرفين (المرسِل والمتلقي) ، كعبارة (يقبّل الأرض) ، و(المجلس السامي) ، و (أعزّ الله سلطان المقام العالي) ، و(أدام الله ظلّ الجناب أو المجلس) ، والألفاظ (المملوك – الخادم) وغيرها.[٦]

وكان يلتزم نمطاً معيناً من الابتداءات تبعاً لنوع الرسالة ، فإذا كانت الرسالة ديوانية صدّرها بمثل قوله (أصدر العبد كتابه هذا ...) ، أو (إذا همّ العبد بإصدار كتابه لزم الأدب) ، وإن كانت شبه رسمية كتبها عن نفسه إلى أحد الملوك ، صدّرها

---

[١]) ينظر : نقد النثر / ٢٩٨

[٢]) ينظر : المصدر نفسه / ٢٩٨

[٣]) ينظر : المصدر نفسه / ٣٠١

[٤]) ينظر : المصدر نفسه / ٣٤١

[٥]) ينظر: المصدر نفسه / ٤٠٨

[٦]) ينظر : المصدر نفسه / ٢٩٩ ، ٣٠٠ ، ٣٠٤

بقوله: (أصدرت هذه الخدمة إلى الجناب الشريف) ، وإن كانت إخوانية صدّرها بمثل قوله (هذا الكتاب صادر إلى المجلس السامي) ، أو (صدر هذا الكتاب إلى حضرة سيدنا الأجل السيد فلان).[١]

((يمثل معجم الكاتب إذا مرآة تنعكس عليها خواصّ كلّ من مجال الخطاب وطبيعته ، والعلاقة بين المتخاطبين)).[٢]

وهكذا نلاحظ أن رسائل ابن الأثير جزء من السياق الثقافي الذي كان سائداً آنذاك ، تؤثر فيه وتتأثّر به وتتفاعل معه ، فكان الترسّل فن وحرفة لا يمارسها إلا من توافرت لديه أدواتها التي تؤهّله لأن يجيد البناء والمضمون بشكل لا يشذّ عن السياق الثقافي السائد في ذلك العصر ، ويتفاعل معه ، ((فالتفاعل بين النَص والسياق الاجتماعي – الثقافي لا يحدِّد فحسب القواعد والمعايير الضرورية ، إنّما مضمون النصوص ووظائفها ، وذلك ضمن أُطر واضحة)). [٣]

[١]) ينظر : نقد النثر / ٤٧٤

[٢]) نظرية علم النَص / ٣٩

[٣]) التلقّي والسياقات الثقافية / ١٣

المبحث الرابع

الإعلامية في علم لغة النّص وفي رسائل ابن الأثير

أولاً: الإعلامية في علم لغة النّص:

الإعلامية هي إحدى المعايير النّصية السبعة التي اقترحها بوجراند ودريسلر ، وبعضهم يطلق عليها مصطلح (الإخبارية)[١] ، وموضوعها ((مدى التوقّع الذي تحظى به وقائع النّص المعروض في مقابل عدم التوقّع ، أو المعلوم في مقابل المجهول))[٢] .

فالإعلامية في النصّ ((لا من حيث كونه يدلّ على المعلومات التي تشكّل محتوى الاتصال ، بل من حيث يدلّ بالأحرى على ناحية الجِدة ، أو التنوّع الذي تُوصَف به المعلومات في بعض المواقف ... فإنّ إعلامية عنصر ما لتكمن في نسبة احتمال وروده في موقع معين (أي إمكانه وتوقعه) بالمقارنة بينه وبين العناصر الأخرى من وجهة النظر الاختيارية . وكلّما بَعُد احتمال الورود ارتفع مستوى الكفاءة الإعلامية))[٣] .

فإذا كان المتلقّي يتوقع المعلومات الجديدة ، فإنّ النصّ يوصف أنّه أقلّ إعلامية. وإذا كان المتلقّي لا يتوقع هذه المعلومات ، فإنّ النص يُوصَف أنّه أكثر إعلامية.

فكلّما كان هناك ابتعاد عن التوقع ، وكثرة المعتاد ، و المألوف زادت الكفاءة الإعلامية للنصّ [٤] .

وينبغي لمنتج النصّ هنا أن يلتزم جانب الحيطة والحذر كي لا تنوء قدرة المستقبلين على معالجة المعلومات بالعبء إلى الحدّ الذي يتعرّض فيه الاتّصال للانهيار [٥] .

---

١) نحو النص ، بين الأصالة والحداثة / ٩٦

٢) مدخل إلى علم لغة النص / ٣٢-٣٣

٣) النص والخطاب والإجراء / ٢٤٩

٤) ينظر : علم لغة النص ، النظرية والتطبيق / ٦٨

٥) ينظر : مدخل إلى علم لغة النص / ٣٣

وفي المقابل من الممكن أيضاً أن تؤدي الإعلامية المنخفضة جدّاً إلى رفض النص من قِبَل المتلقي . ومن ذلك تبيّن انّ الإعلامية نسبية تختلف باختلاف المتلقي وعمليات استقباله للنصّ [١] . وتعتمد على المخزون المعرفي والثقافي لديه ، ومدى مطابقته للمعلومات المقدّمة في النصّ الجديد .

وذهب بعض الباحثين إلى أنّ هذا التوجّه في تحديد الإعلامية (التوقع وعدم التوقع) يحصرها في مجال ضيّق ؛ إذ يربطها بالإبداع في الصياغة أو الفكر ، وقد قام بتوسيع مفهوم الإعلامية وتحديدها في ثلاثة مفاهيم مستندًا في ذلك إلى دراسته التي أجراها على نصوص من رسائل إخوانية ، وهذه المفاهيم هي[٢] :

١- يدور المفهوم الأول حول صفة (الإعلامية) بمعناها العام ، وهو (الرغبة في الإخبار) ، فأي رسالة أو خبر لا بد أن يقدم خبراً ما ، وجميع النصوص تشترك في هذه الوظيفة ، وربما يكون هذا المفهوم أساسياً بالنسبة لنصوص الرسائل القائمة على تبادل المعلومات بين طرفين ، أو إرسال المعلومة من طرف الى طرف آخر .

٢ – يشير المفهوم الثاني للإعلامية إلى الجِدة في عرض المعلومات في مواقف معينة ، وهذه الجِدة يحددها المتلقي بمعيار عدم التوقع . ولا تقتصر هذه الجِدة على الصياغة فقط ، ولكنها تمتد لتشمل كذلك المضمون أو المحتوى .

٣ – ينطلق المفهوم الثالث للإعلامية من فكرة الدعاية لـ /ضد شخص ما أو فكرة أو مذهب ، وأكثر ما ينطبق هذا المفهوم على الرسائل التي تأخذ منحى سياسيا . ويبدو أن هذا المفهوم الثالث لا يختلف كثيرا عن المفهوم الأول الذي يصب في (الرغبة في الإخبار) ؛ فالمعنى الوظيفي للمفهوم الأول قائم على تزويد المتلقي بمعلومة معينة من شأنها أن تدفع بالمتلقي إلى سلوكيات معينة ، وكذلك الإعلامية بالمفهوم الثالث الذي يدور على فكرة الدعاية (لـ/ ضد) ، فهي قائمة على تزويد

[١]) ينظر : علم لغة النص ، النظرية والتطبيق / ٦٨

[٢]) ينظر : نظرية علم النص / ٦٦

المتلقي بمعلومات تدفع به إلى اتخاذ موقف معين (سلبًا أو إيجابًا) من هذه القضية أو تلك.

فكِلا المفهومين يدور في المحور نفسه ، إلا أنّ القصدية هي التي تحدّد اتجاه المفهوم .

ومهما يكن ، فإنّ هذا التوسيع في مفهوم الإعلامية حافظ بشكل ما على نصيّة النصوص التي تكون منخفضة الإعلامية أو معدومة، فلم يحصر صفة الإعلامية بالأفكار أو الصياغات المبتدعة غير المتوقعة ، بل جعل لكلّ نصّ إعلامية ذات درجة معينة أقلّها أن يكون النص حاملاً لخبر معين إلى المتلقي .

ثانيا : الإعلامية في رسائل ابن الأثير:

انطلاقا من مفهوم (الإعلامية) الذي يدور حول (الرغبة في الإخبار) ، يمكن القول إنّ جميع نصوص رسائل ابن الأثير تحمل هذا المفهوم وتتمتّع بدرجة عالية من الإعلامية .

فهي تحمل أخبارًا ودلالات متنوعة يريد الكاتب إيصالها الى المتلقي ، سواء كانت الرسائل ديوانية أم إخوانية .

فالرسائل الديوانية تمثل وثائق تاريخية تتضمن ملامح حركة الدولة ونشاطها آنذاك بما تحمله من موضوعات وطلبات متبادلة بين الملوك والأمراء ، أو بين ابن الأثير نفسه ورجالات الدولة الذين عاصروه ، كالعهود ، والتقاليد ، والمراسيم ، والمنشورات ، والتوقيعات ، وكذلك كتب الوعيد والإنذار بالحروب ، وكتب الاستغاثة والشفاعة إلى جانب رسائل الصداقة والسلام[١].

وكذلك الأمر في الرسائل الإخوانية ، فهي تتعلّق بتصوير العلاقات الاجتماعية بين الكُتاب وأصدقائهم أو أخوانهم ، فالقارئ يرى فيها التهنئة ، والتعزية والمواساة ، والشكر ، والشفاعة ، فهي تؤدي مهمة التعبير الوجداني عن الحياة الشخصية لمبدعها فرحا ، وطربا ، واحتفاء ، وحزنا ، وتهنئة ، واستبشارا ، وشوقا وغيرها [٢] ، كل هذه الموضوعات يُنشىء فيها الكاتب نصوصاً يكون ذهن المتلقي خالياً منها ، فبمجرد الاطلاع عليها تتحقق له قيمة إخبارية لم تكن موجودة عنده سابقا ، وبذلك تحقق هذه النصوص كفاءة إعلامية بدرجة معينة .

أمّا ما يتعلّق بالمفهوم الثاني للإعلامية الذي يدور حول الجِدة في عرض المعلومات ، وعدم التوقع من قِبَل المتلقي لهذا العرض ، فإنه يمكن إبراز العديد من الملامح التي تتحقق بها صفة الإعلامية في رسائل ابن الأثير.

وأول هذه الملامح هي المعارضات التي كتبها ابن الأثير ليعارض بها كُتاب عصره ، فقد حاول ابن الأثير أن يكسر نطاق المألوف في كتابات الآخرين ويأتي بتصوير

---

[١]) ينظر : نقد النثر / ٣٦٦

[٢]) ينظر : المصدر نفسه / ٢١٨- ٣٦٧

جديد (شكلاً ومضموناً) للموضوعات نفسها التي تحملها هذه الرسائل ، فهو يعارضها بما يبتدعها من أفكار ، وما يأتي به من علاقات تشبيهية جديدة غير مطروقة ، كما في الرسالة رقم (٣٥) [١] ، التي عارض فيها القاضي الفاضل ، فهي تحمل الموضوع نفسه للرسالة المعارضة ولا جِدَة فيها غير إعادة التصوير بأسلوب جديد ، ومعانٍ مبتكرة غير متوقعة عند المتلقي ليكسب نصّه درجة من الإعلامية.

ومثل ذلك ما نجده في رسائل الوصف ، فهي رسائل قائمة على وصف شيء أو قضية معينة بأسلوب وتصوير غير متوقع عند المتلقي ، فقضية النص معروفة عنده ولا جِدة فيها ، إلا أنّ ما يتعطّش لمعرفته ذهن المتلقي هو براعة هذا التصوير وجودته ،وما يحمله من صور ومعانٍ جديدة لا عهد له بها ،كالرسالة رقم (٧)[٢] التي يصف فيها شمعة بأوصاف بديعة يتمتّع بها المتلقي ، وكيف يربط بين حال الشمعة وحاله في الشوق ببراعة .

وكذلك الرسالة رقم (١٩)[٣] ، التي ضمّنها وصف مجلس شرب سأله بعض الأخوان أن ينشئها له . فالمتلقي يتطلّع لرؤية ما يجود به الكاتب من دقّة في الوصف ، وجمال في التعبير وابتكار في المعاني لوصف المجلس ، كلّ ذلك من شأنه أن يكسب النّص درجات عالية من الكفاءة الإعلامية .

وقد جاء في رسائل ابن الأثير من المعاني الغريبة المبتكرة الشيء الكثير الذي يدل على موهبة إبداعية فريدة ، وقريحة فنية خصبة ، وخيال عريض لماح [٤] .

فهو يستثمر المصادر التي اعتمدها في التناص كالقرآن الكريم ، والحديث النبوي ، والشعر ، والأمثال في خلق صورة جديدة ومبتكرة غير متوقعة عند المتلقي ، كقوله في الرسالة رقم (٣٨) :((قد افتتح المملوك كتابه بمفتتح سورة النحل ، ورأى

---

[١]) ينظر : رسائل ابن الأثير / القيسي ، هلال /٧١

[٢]) ينظر : رسائل ابن الأثير / المقدسي / ٩١

[٣]) ينظر : المصدر نفسه / ٧٢

[٤]) ينظر : نقد النثر / ٥٩٣

الخطب مستوعرا فأخبر عنه بالكلام الوعر دون السهل))[١] ، فقوله (بمفتتح سورة النحل) إشارة إلى الآية الكريمة ﴿ أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ النحل /١. وفيه من المفاجئة وعدم التوقّع ما يبعث في المتلقي نوع من اليقظة والانتباه والتفكير بين استحضار نص الآية القرآنية في الذهن من جهة ، وبين محاولة التنبؤ ومعرفة هذا الأمر العظيم الذي يحذّر منه الكاتب من جهة أخرى ، وهنا تكمن الدرجة العالية من الإعلامية في هذا النص. ومثل ذلك ما ورد في الرسالة رقم (١٧) من قوله:((أمّا تشبيهه إياي بفلان الكاتب ، فرُبّ كلمة تقول لصاحبها دعني)) [٢] ، فتعبير الكاتب عن رفضه ، واعتراضه ، وعدم رضاه بتشبيهه بفلان بطريقة غير مباشرة وباستعمال المثل (ربّ كلمة تقول لصاحبها دعني) فيه من الجِدَة وعدم التوقّع ما يدفع بالمتلقي الى إعمال الفكر ، والغوص في دلالة هذا المثل ليكتشف بعدها وجهة نظر الكاتب واعتراضه ، وفي ذلك أعلى درجات الإعلامية .

ومن المظاهر الأخرى للإعلامية في رسائل ابن الأثير هي البدايات المبتكرة والجديدة لبعض الرسائل ، ((فإنّ رسائله عرفت بدايات غير نمطية ترتبط بالمناسبة ارتباطاً وثيقاً))[٣] ، كما ورد في الرسالة رقم (١٠) ، فهو يفتتحها بقوله : ((إن كان الحجّ عبارة عن شحوب نفوس وأجساد ، وإنفاق يذهب بطريف من المال وتلاد ، فمن الناس من يحظى بثواب الحج وهو في ضمن داره ، ولا حاجة له إلى عقد أزمّته ولا إلى رفع أكواره ، كالمجلس السامي)) [٤] ، وكذلك الرسالة رقم (١١) التي يفتتحها بقوله : ((للمنية حكمٌ لا ينجو منه أحدٌ من الناس ، وإن قيل انّ لها كأسا ففي الغرق يصحّ سقيا ذلك الكأس ، وقد حرمت ماء دجلة أن يمرّ لي بمجرى الوريد ، وكرهته حتى لو عُرض علي لعدلت إلى التيمّم بالصعيد ، وما ذاك إلا لأنّها ذهبت بمن عزّ ذهابه)) [٥] .

---

[١]) رسائل ابن الأثير / المقدسي / ٢٦

[٢]) المصدر نفسه / ٣١٣

[٣]) نقد النثر / ٤٨٤

[٤]) رسائل ابن الأثير / المقدسي / ١٧٩

[٥]) المصدر نفسه / ٢١٣- ٢١٤

وكذلك ما ورد في الرسالة رقم (١) التي يفتتحها بقوله : ((خير المودّات ما لم يبعد ببعد المكان ولا يتغير بتغير الأزمان ، وكان اللّسان فيه موافقًا للقلب لا القلب مخالفاً لّلسان ، ولولا التزكية لقلت هذه صفة مودتي التي لا يُخشى في الدنيا إضاعتها ، لكن يرجى في الآخرة شفاعتها))[١] .

فهذه البدايات فيها جِدَة وخروج عن المألوف والسائد في رسائل أخرى.

لقد حقّق ابن الأثير في رسائله ما ورد عن بعض الباحثين الذين ذهبوا إلى أنّ ((للنثر الفنّي وظيفتان : اّللذة ، والإفادة))[٢] ، جاءت اّللذة في رسائله متمثّلة بالمعاني المبتكرة ، والصور الفنية الجديدة التي يصوّر بها فكرة النّص ، وهي التي تجعل المعالجة من لَدُن متلقي النّص تحدّيا مثيراً [٣] ، فهي جديدة غير مألوفة ، وفي كلّ جديدٍ لذّة . علاوة على ذلك ما تحمله هذه النصوص من رغبة في إخبار المتلقي معنى أو موضوعاً ما وهنا تكمن الفائدة.

[١]) رسائل ابن الأثير / هلال / ١٣٩

[٢]) نقد النثر / ٢١٧

[٣]) ينظر : علم لغة النص ، النظرية والتطبيق / ٦٩

الخاتمة

الخاتمة

في الختـام لا بُدّ من الإشارة إلى أنّ هذه الدراسة حاولت الإفادة من مناهج البحث التي أنتجتهـا النظريات اللّسانيـة الحديثة ، وتطبيقها على نصوص عربية في ضوء تقديم وصف لغويّ تحليليّ لنصوص الرسائل ، وقد أثبتت هذه المناهج قابليتها على التّطبيق على هذه النّصوص ، بل إنّ بعض خصائص اللّغة العربية قد وسَّعـت قاعدة التطبيـق في هذه المناهج ، وزادت عليها جوانب لم تكن موجودة في غيرها من اللُّغات ، ولم تُشِر إليها المناهج الغربية ، كالجانب الصّوتي المتمثل بالسجع ، والجناس ، التي أثبتت الدراسة دورها في سبك النّصوص.

وقد وصلت الدراسة إلى مجموعة من النتائج هي :-

١- خلُصت الدراسة إلى أنّ النّصية ماثلة في نماذج رسائل ابن الأثير المُطبَّق عليها ، ممّا يؤكد مثاليّة مادة البحث للدراسـة النّصية ؛ لكون الرسالة نصّاً إتّصاليّاً يقع بين طرفين محدّدين (المرسِل و المتلقي).

٢- أنّ التطور الذي حصل في لغة الرسائل ، وما آلت إليه من توظيف لفنون الزخرف اللّفظي زاد في تحقيق صفة النّصية في الرسائل ، وذلك لما حقّقته هذه الفنون من غايات تأثيرية وإقناعية في نفس المتلقي ، وما عملته من زيادة في إحكام الربط بين بُنى النّص.

٣- أن أدوات السّبك والحبك التي أعتمدها الدارسون في دراساتهم لإبراز الوحدة الشكلية والدلاليـة للنّصوص كثيرة ومختلفة من باحث لآخر ، وبحسب ما تفرضه طبيعة اللّغة المدروسة ، إلا أنّ هناك حدّاً مشتركاً ومتفقاً عليه في تحديد البينة الكلية للنّص.

٤- أنّ أدوات السّبك التي تناولها العلماء والدارسون ، ليست إبتكاراً جديداً في اللّغـة ، فهي الروابط نفسهـا في نحـو الجملة ، إلا أنّ النظرة إليها قد اتّسعت في الدرس اللّغوي الحديث ، وأصبح يُنظر إليهـا على أنّها روابط تتجـاوز الجملة الواحدة لتربط العديد من الجمل في سبيل تكوين القضية الكبرى للنّص.

٥- هناك أدوات أسهمت في سبك نصوص الرسائل وعلى ثلاثة مستويات ، المستوى النّحـوي ، والمستـوى المعجمي ، والمستوى الصّوتي .

٦- على المستوى النّحوي ، كان للبنية الإحالية بأنواعها كافة (الضمير ، أسم الإشارة ، الاسم الموصول ، الظرف) أثر كبير في خلق سمة النّصية في نصوص الرسائل ، فهي من الوسائل الأكثر قوة في صنع تماسك النّصوص ، وتعليق الكلام بعضه ببعض ، والربط بين عناصره سواء أ كانت تلك الإحالة قبلية أم بعدية.

٧- تؤثّر حروف العطف بشكل كبير في سبك النّصوص ، في ضوء معانيها التي تخرج للإضافة والجمع بين الألفاظ ، وما ينتج من توظيفها من اختصار ، وإيجاز بالكلام بالاشتراك مع الحذف .

٨- على المستوى المعجمي ، كان للتكرار (المباشر والجزئي) أثر واضح في نسبة الحضور ، الأمر الذي يؤكّد أهمية هذا العنصر في سبك النّصوص ، وفي إبراز القضايا الأساسية والثانوية في نصوص الرسائل .

٩- اعتمد ابن الأثير على السجع في بناء وحدات نصوصه الصّغرى ، ممّا أسهم في إحكام الربط بين هذه الوحدات في النّص ، فكان ينتقل بالقارئ من بنية دلالية صغرى إلى بنية أخرى عن طريق السجع .

١٠- زيادة على ما حقّقته أساليب البديع من إيجاد علاقات لفظية بين مستويات النّص ، كانت لها وظيفة جمالية لما أوجدته هذه الأساليب من تناسب بين الأجزاء والفقرات بما يؤلِّف إيقاعاً وموسيقى مؤثّرة في نفس المتلقي.

١١- برزت الوحدة الدِّلالية لنصوص الرسائل عن طريق مجموعة من الآليات ، فالعلاقات الدِّلالية في النّص كعلاقة الإضافة ، والترادف ، والمقارنة ، والإجمال والتفصيل ، والوصف ، والسّبب والنتيجة ، هي علاقات تعمل على تنظيم وحدات النّص الصغرى على شكل بناء هرمي وصولاً إلى القضية الكبرى للنّص .

١٢- ظهرت في رسائل ابن الأثير العديد من المقاصد ، بعضها مقاصد صريحة وبعضها مقاصد ضمنية وغير مباشرة من جانب ، وبعضها مقاصد رئيسة وبعضها مقاصد فرعية من جانب آخر .

١٣- كان للسّياقين الثقافي والإجتماعي السائد آنذاك أثر كبير في تحقيق المقبولية في رسائل ابن الأثير ؛ لما تضمّنته من معانٍ ، وجاءت به من أسلوب بلغ به الذروة في فنّ الكتابة .

١٤- أظهر التّناص في رسائل ابن الأثير ذلك التداخل بين نصوص الرسائل ومصادر الثقافة العربية ، والدينيـة ، والتاريخية ، وهو تداخل يعكس قصدية الكاتب لتفاعل القارئ مع النّص.

١٥- تحقّقت صفة الإعلامية في رسائل ابن الأثير عن طريق المعاني المبتكرة ، والصور الفنية الجديدة التي يصوّر بها فكرة النّص ، التي لها أثر كبير وفعّال في كسر المألوف والرتابة في عملية التلقّي ٠

الملحق

تسلسل الرسالة في الدراسة	المجموعة التي تقع فيها الرسالة	تسلسل الرسالة في المجموعة
١	هلال ناجي	٣٢
٢	أنيس المقدسي	١٤٥
٣	هلال ناجي	٢٤
٤	القيسي ، هلال	٤١
٥	أنيس المقدسي	٥٤
٦	هلال ناجي	٥
٧	أنيس المقدسي	٣٦
٨	أنيس المقدسي	٨٨
٩	أنيس المقدسي	٥٠
١٠	أنيس المقدسي	٧٨
١١	أنيس المقدسي	٩٨
١٢	أنيس المقدسي	١١٣
١٣	هلال ناجي	٤٩
١٤	أنيس المقدسي	١٢٩
١٥	أنيس المقدسي	١٤٢
١٦	هلال ناجي	٢
١٧	أنيس المقدسي	١٥١
١٨	القيسي ، هلال	٣٩
١٩	أنيس المقدسي	٢٣
٢٠	هلال ناجي	٣١
٢١	أنيس المقدسي	٤٩
٢٢	أنيس المقدسي	١٦٥
٢٣	هلال ناجي	١٧
٢٤	القيسي ، هلال	٦٢
٢٥	القيسي ، هلال	٧٥
٢٦	القيسي ، هلال	١٩
٢٧	القيسي ، هلال	٣٦
٢٨	أنيس المقدسي	١٥٦
٢٩	أنيس المقدسي	١٤١
٣٠	أنيس المقدسي	١٤٧
٣١	أنيس المقدسي	٥٦
٣٢	هلال ناجي	١١
٣٣	القيسي ، هلال	١
٣٤	القيسي ، هلال	٢
٣٥	القيسي ، هلال	٥
٣٦	القيسي ، هلال	٤٣
٣٧	القيسي ، هلال	٥٣
٣٨	أنيس المقدسي	٥
٣٩	أنيس المقدسي	١٢٥
٤٠	أنيس المقدسي	١٥٠

((الملحق))

المصادر والمراجع

المصادر والمراجع

أولاً: الكتب :

القرآن الكريم

- الاتجاهات الحديثة في علم الأساليب وتحليل الخطاب ، الدكتور علي عزت ، شركة أبو الهول للنشر ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٦ .
- أدباء العرب في الأعصر العباسية ، بطرس البستاني ، الطبعة الأولى ، القاهرة ، ٢٠١٤.
- أساس البلاغة ، الزمخشري ، تحقيق : محمد باسل عيون السود ، الطبعة الأولى ١٤١٩ هـ – ١٩٩٨ م ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان.
- استراتيجيات الخطاب ، مقاربة لغوية تداولية ، عبد الهادي بن ظافر الشهري ، الطبعة الأولى ، ٢٠٠٤ ، دار الكتاب الجديد المتحدة.
- الإيضاح في علوم البلاغة ، المعاني والبيان والبديع ، الخطيب القزويني ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، د.ط ، د.ت.
- البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية ، الدكتور جمال عبد المجيد ، الهيئة المصرية العامة للكتب ، د.ط ، د.ت.
- البديع في نقد الشعر ، أسامة بن منقذ (ت٥٨٤هـ)، تحقيق : الدكتور أحمد بدوي ، الدكتور حامد عبد المجيد ، د.ط ، د.ت.
- بلاغة الخطاب وعلم النص ، الدكتور صلاح فضل ، د.ط ، د.ت.
- بلاغة الكتّاب في العصر العباسي ، دراسة تحليلية نقدية لتطور الأساليب ، الدكتور محمد نبيه حجاب ، الطبعة الثانية ١٤٠٦ هـ – ١٩٨٦ م.
- البيان والتبيين ، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت٢٥٥هـ)، تحقيق وشرح : عبد السلام محمد هارون ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، د.ط ، د.ت.
- تاريخ آداب اللغة العربية ، جرجي زيدان ، طبعة دار الهلال ، د.ط ، د.ت.
- تاريخ الأدب العربي ، عمر فروخ ، الطبعة الخامسة ١٩٨٩.

- ❖ تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية التناص) ، الدكتور محمد مفتاح ، الطبعة الثالثة ١٩٩٢ ، المركز الثقافي العربي.
- ❖ التحليل اللغوي للنّص ، مدخل إلى المفاهيم الأساسية والمناهج ، كلاوس برينكر ، تجمه ومهد له وعلق عليه : أ.د. سعيد حسن بحيري ، الطبعة الثانية ١٤٣١هـ – ٢٠١٠م ، مؤسسة المختار.
- ❖ التداولية عند العلماء العرب ،الدكتور مسعود صحراوي ، الطبعة الأولى ٢٠٠٥ ، دار الطليعة للطباعة والنشر.
- ❖ الترابط النّصّي في ضوء التحليل اللساني للخطاب ، إعداد: خليل ياسر البطاشي ، الطبعة الأولى ١٤٣٤ هـ – ٢٠١٣م ، دار جرير للنشر والتوزيع.
- ❖ التلقي والسياقات الثقافية ، الدكتور عبد الله ابراهيم ، الطبعة الأولى ٢٠٠٠ م ، دار أويا للنشر والتوزيع.
- ❖ التناص عند شعراء صنعة البديع العباسيين ، الدكتور ياسر عبد الحسيب ، الطبعة الأولى ٢٠١٠ ، مكتبة الآداب ، القاهرة.
- ❖ الجامع الكبير ، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي (ت٢٧٩هـ) ، حقّقه وخرّج أحاديثه وعلّق عليه الدكتور بشّار عوّاد معروف ، الطبعة الأولى ١٩٩٦ ، دار الغرب الإسلامي.
- ❖ الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور ، ضياء الدين بن الأثير الجزري (ت ٦٣٧هـ) ، قام بتحقيقه والتعليق عليه الدكتور مصطفى جواد ، والدكتور جميل سعيد ، ١٩٥٦م – ١٣٧٥ هـ مطبعة المجمع العلمي العراقي.
- ❖ الجامع في تاريخ الأدب العربي ، حنّا الفاخوري ، الطبعة الأولى ١٩٨٦ دار الجيل ، بيروت ، لبنان.
- ❖ الحروب الصليبية في المشرق والمغرب ، محمد العروسي المطوي ، الطبعة الثانية ١٩٨٢ م ، دار الغرب الإسلامي.
- ❖ الخطاب الأدبي ورهانات التأويل ، قراءة نصّية تداولية حجاجية ، الدكتور نعمان بوقرة ، الطبعة الأولى ٢٠١٢ ، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع.

- دراسات في الأدوات النحويّة ، الدكتور مصطفى النحّاس ، الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م ، شركة الربيعان للنشر والتوزيع.
- الدرس النّحوي النّصّي في كتب إعجاز القرآن الكريم ، الدكتور أشرف عبد البديع عبد الكريم ، مكتبة الآداب ، ٢٠٠٨ ، د.ط.
- دلالة السّياق بين التراث وعلم اللّغة الحديث ، الدكتور عبد الفتاح عبد العليم البركاوي ، د.ط ، د.ت.
- ديوان أبي فراس الحمداني ، شرح خليل الدويهي ، الطبعة الثانية ١٤١٤ هـ – ١٩٩٤م دار الكتاب العربي.
- ديوان البحتري ، عُني بتحقيقه وشرحه والتعليق عليه حسن كامل الصيرفي ، الطبعة الثالثة ، دار المعارف بمصر ، د.ت.
- ديوان ديك الجن ، حقّقه وأعد تكملته الدكتور أحمد مطلوب ، وعبد الله الجبوري ، دار الثقافة ، بيروت ، د.ط ، د.ت.
- ديوان نصر بن سيّار الكناني ، جمعه وحقّقه عبد الله الخطيب ، الطبعة الأولى ١٣٩٢هـ – ١٩٧٢م ، مطبعة شفيق ، بغداد.
- الربط بين الجمل في اللّغة العربية المعاصرة ، الدكتور محمد حسن عبد العزيز ، الطبعة الأولى ٢٠٠٣، القاهرة.
- رسائل ابن الأثير ، حرّرها وحقّقها : أنيس المقدسي ، طبعة المجمع العلمي العراقي ١٩٥٩ م ، د.ط.
- رسائل ابن الأثير ، دراسة وتحقيق الدكتور نوري حمودي القيسي ، هلال ناجي ، منشورات جامعة الموصل ، د.ط ، د.ت.
- رسائل ابن الأثير ، حرّره وحقّقه وقدّم له : هلال ناجي ، الطبعة الأولى ١٤٠٢ هـ– ١٩٨٢ م ، منشورات جامعة الموصل.
- السّبك في العربية المعاصرة بين المنطوق والمكتوب ، الدكتور محمد سالم أبو عفرة ، الطبعة الأولى ١٤٣١ هـ – ٢٠١٠ م مكتبة الآداب.
- السياق وتوجيه دلالات النّص ، الدكتور عيد بلبع ، الطبعة الأولى ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨ م .

- السيرة النبوية الصحيحة ، الدكتور أكرم ضياء العمري ، الطبعة السادسة ١٤١٥ هـ – ١٩٩٤ م مكتبة العلوم والحكم ، المدينة المنورة.
- شرح ديوان المتنبي ، وضعه عبد الرحمن البرقوقي ، الطبعة الثانية ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٦ م ، بيروت ، لبنان.
- الصاحبي في فقه اللّغة العربية ومسائلها وسُنَن العرب في كلامها، أبو الحسن أحمد بن فارس (ت٣٩٥هـ) ، علّق عليه ووضع حواشيه :أحمد حسن بسج ، الطبعة الاولى ١٤١٨ هـ – ١٩٩٧ م ، دار الكتب العلمية.
- صبح الأعشى ، الشيخ أبي العباس أحمد القلقشندي (ت٨٢١هـ) ، طبع بمطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة ١٣٤٠ هـ – ١٩٢٢ م ، د.ط.
- صحيح مسلم ، للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت ٢٦١ هـ) ، ترقيم وترتيب : محمد فؤاد عبد الباقي ، دار الاصالة – الجزائر ، الطبعة الاولى ، ٢٠١٠ م .
- ضياء الدين ابن الأثير ، سيرة ومنهج ، الكتور أحمد مطلوب ، الطبعة الأولى ١٩٨٨.
- علم الدلالة ، أحمد مختار عمر ، الطبعة الخامسة ١٩٩٨ ، عالم الكتب.
- علم اللّغة العام ، فرديناند دي سوسور ، ترجمة الدكتور: يوئيل يوسف عزيز ، طبعة دار آفاق عربية ١٩٨٥ ، د.ط.
- علم لغة النّص ، المفاهيم والاتجاهات ، أ.د.سعيد حسن بحيري ، الطبعة الثانية ١٤٣١ هـ – ٢٠١٠ م ، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع.
- علم لغة النّص ، النظرية والتطبيق ، عزّة شبل محمد ، الطبعة الأولى ١٤٢٨ هـ – ٢٠٠٧ م مكتبة الآداب.
- علم لغة النّص والأسلوب ، الدكتورة نادية رمضان النجار ، طبعة ٢٠١٣ ، د.ط.
- علم اللّغة النّصّي بين النظرية والتطبيق ، الدكتور صبحي ابراهيم الفقي ، الطبعة الأولى ١٤٣١ هـ – ٢٠٠٠ م ، دار قباء.

- علم النّص ، دراسة جمالية نقدية ، الدكتور مدحت الجيّار ، الطبعة الأولى ٢٠٠٥ م ، القاهرة.
- علم النّص ، مدخل متداخل الاختصاصات ، تون ا.فان دايك ، ترجمة وتعليق الدكتور سعيد حسن بحيري ، الطبعة الأولى ٢٠٠١ ، دار القاهرة للكتاب.
- العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ، أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي (ت ٤٥٦هـ)، حققه وفصله وعلق حواشيه : محمد محيي الدين عبد الحميد ، الطبعة الخامسة ١٤٠١ هـ – ١٩٨١ م ، دار الجيل للنشر والتوزيع والطباعة.
- عناصر تحقيق الدلالة في العربية ، دراسة لسانيّة ، الدكتور صائل رشدي شديد ، الطبعة الأولى ٢٠٠٤ ، الأهلية للنشر والتوزيع.
- فروع الكافي ، ثقة الإسلام محمد بن يعقوب الكليني (ت٣٢٩هـ)، ضبطه وصحّحه وخرّج أحاديثه وعلّق عليه : محمد جعفر شمس الدين ، دار التعارف للمطبوعات ، ١٤١٣ هـ – ١٩٩٢ م، بيروت ، لبنان.
- الفنّ ومذاهبه في النثر العربي ، الدكتور شوقي ضيف ، الطبعة التاسعة ، دار المعارف ، د.ت.
- في بلاغة الخطاب الأدبي ، بحث في سياسية القول ، عبد الله البهلول ، الطبعة الأولى ٢٠٠٧ م ، مطبعة التسفير الفني ، صفاقس.
- في اللّسانيات ونحو النّص ، الدكتور إبراهيم محمود خليل ، الطبعة الثانية ١٤٣٠ هـ – ٢٠٠١ م ، دار المسيرة .
- القارئ في النّص ، مقالات في الجمهور والتأويل ، تحرير : سوزان روبين سليمان ، إنجي كروسمان ، ترجمة : الدكتور حسن ناظم ، علي حاكم صالح ، الطبعة الأولى ٢٠٠٧ دار الكتاب الجديد المتحدة .
- كتاب الأمثال ، الأمام الحفظ أبي عبيد القاسم بن سلام ، حقّقه وعلّق عليه وقدّم له : الدكتور عبد المجيد قطاش ، الطبعة الأولى ١٤٠٠ هـ – ١٩٨٠ م دار المأمون للتراث.

❖ كتاب حروف المعاني ، أبو القاسم الزجّاجي(ت ٣٤٠ هـ) ، حقّقه وقدّم له الدكتور علي توفيق الحمد ، الطبعة الثانية ١٤٠٦ هـ- ١٩٨٦ م ، مؤسّسة الرسالة.

❖ كنز العمال في سُنن الأقوال والأفعال ، العلّامة علاء الدين علي المتقي الهندي ، ضبطه وفسّر غريبه : الشيخ بكري حياني ، صحّحه ووضع فهارسه ومفتاحه :الشيخ صفوة السقا ، الطبعة الخامسة ١٤٠٥ هـ – ١٩٨٥ م ، مؤسسة الرسالة.

❖ لسان العرب ، ابن منظور ، الطبعة الأولى بالمطبعة الميرية ببولاق سنة ١٣٠٢ هـ ، د.ت.

❖ لسانيات النّص ، مدخل إلى انسجام الخطاب ، محمّد خطّابي ، الطبعة الثانية ٢٠٠٦ ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، المغرب.

❖ لسانيات النّص ، النظرية والتطبيق ، ليندة قيّاس ، الطبعة الأولى ١٤٣٠ هـ – ٢٠٠٩ م مكتبة الآداب

❖ اللّغة العربية ، معناها ومبناها ، الدكتور تمّام حسان ، الطبعة الخامسة ١٤٢٧ هـ – ٢٠٠٦ م مكتبة الآداب.

❖ اللّغة والمجتمع ، رأي ومنهج ، الدكتور محمود السّعران ، الطبعة الثانية ، ١٩٦٣ ، دار المعارف.

❖ مبادئ اللّسانيات ، الدكتور محمد قدور ، الطبعة الأولى ١٤٤٣ هـ – ٢٠١١ م ، الدار العربية ، بيروت ، لبنان.

❖ المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ، ضياء الدين ابن الأثير(ت٦٣٧هـ) ، قدّمه وعلّق عليه : الدكتور أحمد الحوفي ، والدكتور بدوي طبانة ، الطبعة الثانية ، د.ت ، دار نهضة مصر للطبع والنشر.

❖ مدخل إلى علم اللّغة ، الدكتور محمود فهمي حجازي ، دار قباء للطباعة والنشر والتزيع ، القاهرة ، د.ط ، د.ت.

- مدخل إلى علم لغة النّص ، روبرت ديبوغراند ، ولفغانغ دريسلر ، إلهام أبو غزالة ، علي خليل أحمد ، الطبعة الأولى ١٤١٣ هـ – ١٩٩٢ م ، مطبعة دار الكتاب.
- مدخل إلى علم النّص ، مشكلات بناء النّص ، زتسيسلاف وأورزنياك ، ترجمه وعلّق عليه : أ.د. سعيد حسن بحيري ، الطبعة الثانية ١٤٣١ هـ – ٢٠١٠ م ، مؤسّسة المختار.
- مدخل إلى علم النّص ومجالات تطبيقه ، الدكتور محمد الأخضر الصبيحي ، الطبعة الأولى ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨ م ، منشورات الإختلاف.
- مسند الإمام أحمد بن حنبل (ت٢٤١هـ) ، حقّقه ووضع حواشيه ورقّم أحاديثه : محمّد عبد القادر عطا ، الطبعة الأولى ٢٠٠٨ ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان.
- المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب ، دومينيك مانغونو ، ترجمة محمد يحياتن ، الطبعة الأولى ١٤٢٨ هـ – ٢٠٠٨م ، الدار العربية للعلوم ناشرون.
- المصطلح اللساني وتأسيس المفهوم ، الدكتور خليفة الميساوي ، الطبعة الأولى ١٤٣٤ هـ – ٢٠١٣ م ، منشورات الاختلاف.
- معجم المصطلحات النّحوية والصرفية ، الدكتور محمد سمير نجيب اللّبدي ، الطبعة الأولى ١٤٠٥ هـ – ١٩٨٥ م ، مؤسسة الرسالة.
- المعجم المفصّل في اللّغة والأدب ، الدكتور أميل بديع يعقوب ، الدكتور ميشال عاصي ، الطبعة الأولى ١٩٨٧ م ، دار العلم للملايين.
- المعنى خارج النّص ، فاطمة الشّيدي ، دار نينوى للطباعة والنشر ، دمشق ٢٠١١ ، د.ط.
- مقالات في تحليل الخطاب ، بسمة بلحاج رحومة الشكيلي ، كورنيليان فون راد صكوحي ، نور الهدى باديس ، بسمة عروس ، هشام القلفاط ، د.ط ، د.ت.
- مقالات في اللّغة والأدب ، الدكتور تمام حسان ، الطبعة الأولى ١٤٢٧ هـ – ٢٠٠٦ م ، عالم الكتب.

❖ النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، جمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تغري بردي الأتابكي (ت٨٧٤هـ) ، الطبعة الأولى ١٣٤٨ هـ – ١٩٢٩ م ، دار الكتب المصرية ، القاهرة.

❖ نحو النّص ، إتجاه جديد في الدرس النحوي ، الدكتور أحمد عفيفي ، الطبعة الأولى ٢٠٠١ ، مكتبة زهراء الشرق.

❖ نحو النّص بين الأصالة والحداثة ، الدكتور أحمد محمد عبد الراضي ، الطبعة الأولى ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨ م ، مكتبة الثقافة الدينية.

❖ نسيج النّص ، بحث في ما يكون به الملفوظ نصّاً ، الأزهر الزناد ، الطبعة الأولى ١٩٩٣ م ، المركز الثقافي العربي.

❖ النّص الأدبي في التراث النقدي والبلاغي ، الدكتور إبراهيم صدقة ، الطبعة الأولى ١٤٣١ هـ – ٢٠١١ ، عالم الكتب الحديث.

❖ النّص اللّغوي بين السبب والمسبّب ، أ.د. نهاد فليح العاني ، الطبعة الأولى ، بغداد ٢٠٠٧ ، دار الشؤون الثقافية.

❖ النّص والخطاب والإجراء ، روبرت دي بوجراند ، ترجمة : الدكتور تمّام حسان ، الطبعة الثانية ١٤٢٨ هـ – ٢٠٠٧ م ، عالم الكتب.

❖ نظام الارتبارط والربط في تركيب الجملة العربية ، مصطفى حميدة ١٩٩٧ ، دار نوبار للطباعة ، القاهرة.

❖ نظرية أفعال الكلام ، أوستين ، ترجمة :عبد القادر قنيني ، د.ط ، د.ت.

❖ نظرية علم النّص ، رؤية منهجية في بناء النّص النثري ، الدكتور حسام أحمد فرج ، الطبعة الأولى ١٤٢٨ هـ – ٢٠٠٧ م ، مكتبة الآداب.

❖ نقد النثر ، النظرية والتطبيق ، الدكتور عرفة حلمي عبّاس ، الطبعة الأولى ١٤٣٠ هـ – ٢٠٠٩ م ، مكتبة الآداب.

❖ الوشي المرقوم في حلّ المنظوم ، ضياء الدين ابن الأثير(ت٦٣٧هـ) ، تحقيق : الدكتور جميل سعيد ، الطبعة الثانية ، د.ت.

❖ وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، لأبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان (٦٠٨ هـ-٦٨١هـ) ، حقّقه الدكتور إحسان عبّاس ، ١٩٧٧م – ١٣٩٧ هـ ، د ط ، دار صادر – بيروت .

ثانياً : الرسائل والأطاريح الجامعية :

❖ أدبيّة الخطاب في المثل السائر ، أطروحة دكتوراه ، مولود بغورة ، كلية الآداب واللغات ، جامعة الجزائر ، ٢٠٠٥ – ٢٠٠٦.

❖ أساليب البديع في نهج البلاغة ، دراسة في الوظائف الدلالية والجمالية ، أطروحة دكتوراه ، خالد كاظم حميدي الحميداوي ، كلية الآداب ، جامعة الكوفة ، ١٤٣٢ هـ – ٢٠١١ م.

❖ أصول المعايير النّصيّة في التراث النقدي والبلاغي عند العرب ، رسالة ماجستير ، عبد الخالق فرحان شاهين ، كلية الآداب جامعة الكوفة ، ١٤٣٣ هـ – ٢٠١٢ م.

❖ دراسة لسانيّة للعلاقات النّصية في مطوّلات السيّاب ، أطروحة دكتوراه ، جبّار سويس حنيحن ، كلية الآداب ، الجامعة المستنصرية ، ١٤٣٠ هـ – ٢٠٠٩ م.

❖ رسائل ابن الأثير(٦٣٧هـ) ، دراسة أسلوبية ، رسالة ماجستير ، أسماء أديب عباس ، كلية التربية للبنات ، جامعة بغداد ١٤٣٤ هـ – ٢٠١٣ م .

❖ فن الترسّل عند سهل بن هارون وعمرو بن مسعدة ، دراسة موضوعية فنية ، رسالة ماجستير ، فائد محمود محمد سلمان ، كلية الدراسات العليا ، جامعة النجاح الوطنية ، فلسطين ، ٢٠١١.

❖ فن الترسّل عند عبد الحميد الكاتب وابن العميد ، رسالة ماجستير ، فيصل حسين طحيمر العلي ، كلية الدراسات العليا ، جامعة النجاح الوطنية ، فلسطين ، ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠١ م.

❖ الموصولات في اللغة العربية ، التأصيل والإحالة ، رسالة ماجستير ، زكريا محمد حسن الحريرات ، قسم اللغة العربية وآدابها ، جامعة مؤتة ، ٢٠٠٩ م .

ثالثاً : البحوث المنشورة في الدوريات والمجلّات :

- تحليل البنية النّصّية من منظور علم لغة النّص ، دراسة في العلاقة بين المفهوم والدلالة في الدرس اللّغوي الحديث ، د. فايز أحمد محمد الكومي ، مجلة القدس المفتوحة للأبحاث والدراسات ، العدد الخامس والعشرون (٢) ، أيلول ٢٠١١.
- نحو آجرومية للنّص الشعري، د. سعد مصلوح ، دراسة في قصيدة جاهلية مجلة فصول ، مج ١٠ ، العددان الأوّل والثاني ، أغسطس ١٩٩١م .

إقرار المشرف

أشهد أنّ إعداد الرسالة الموسومة بـ (رسائل ابن الأثير ، دراسة في ضوء علم اللّغة النّصّي) التي قَدّمها الطالب (علي صبري عطوان) إلى كليّة التربية في الجامعة المستنصريّة قد جرت تحت إشرافي ، وهي جزء من متطلّبات نيل شهادة الماجستير في اللّغة العربيّة وآدابها ٠

التوقيع :

المشرف :أ.م .د .فراس فخري ميران

التاريخ : / /٢٠١٥م

بناءً على التوصيات المتوافرة أرشّح هذه الرسالة للمناقشة ٠

التوقيع :

الاسم : أ.م.د. صالح زامل حسين

رئيس قسم اللّغة العربيّة

التاريخ: / /٢٠١٥ م

Summary

This study sought to reveal the text attributes for the sample from literary heritage and art of prose arts as (Ibn AL-Atheer message) .

Read and re-read the new non tradition by linguistics text .

This anew trend in linguistic lession obtained a plenty of care and attention and they many researchers to enrich the curriculum in search and working to develop it since the fifties of the last century .

Since that time the course of linguistic studies standing heading to text as unit of linguistic and semantic evidence one .

And seen the relationship which connected the seutences inside the text .

It also looks that relations linking the text its context exceed stand at the borders of sentences that was over the ancient language studies .

Many researchers and scholars Arab interested to rooting the new theory in the Arab heritage and others studies presented and applied the principles of the theory on ancient literary texts , in an attempt to link heritage with modernity and re-read this heritage lingual reading contemporary .

And hence this study was to re-read the text read contemporary literary heritage and importance of studying the texts of the messages in it is a good field to study the text because the text message located between two specific (sender and receiver) share the same time and the one linked in the same context .

It's perfect modern communicative between two people and represents idial material for the study textual the school adopted the standards of the seven textual provided by.

Ministry of Higher Education and scientific Research

Al-mustansiriya University

Collage of Education

Department of Arabic

Ibn AL-Atheer message a study in the light of science of text language

Ali sabri atwan

To the council of college of Education

Al-mustansiriya University which is in partial fulfillment for the requirements of obtaining Master Degree in Textual Linguistics

Supervised by

The assistant Master Doctor ;

Firas fakhri miran

1435 A.H 2014 A.D

Ministry of Higher Education and scientific Research

Al-mustansiriya University

Collage of Education

Department of Arabic

Ibn AL-Atheer message a study in the light of science of text language

Ali sabri atwan

To the council of college of Education

Al-mustansiriya University which is in partial fulfillment for the requirements of obtaining Master Degree in Textual Linguistics

Supervised by

The assistant Master Doctor ;

Firas fakhri miran

1435 A.H 2014 A.D